مجلّة

المجمع الجزائري للّغة العربيّة

مجلة لغوية علمية محكمة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية

العدد 29 السنة السادسة عشرة / شوال 1440هـ - الموافق جوان 2019 م

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

مؤسس المجلة

د.عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس التحرير

عثمان شبوب

اللجنة العلمية

د. محمد صاري

د.أحمد حساني د. تواتي بن التواتي

د. بشير إبرير د. عبد الجليل مرتاض

عنوان المراسلة : 06 شارع العقيد محمد بوقرة-الأبيار – الجزائر

ص.ب-402- الأبيار – الجزائر

هاتف: 90 07 23 021 213 الفاكس: 81 07 23 021 213 / 71 07 23 021 213

البريد الإلكتروني: académie@aala.dz

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أولم تنشر
* كل باحث مسؤول عن آرائه

محتويات العدد

1- اللسانيات التاريخية بين المفهوم اللساني والواقع التاريخي

د. رضا دغبار.....9

2- التناسب الجِمالِيّ في شعر محمد بن عواض الثبيْتِي (ت 143 هـ-2011م) «مقاربة تحليلية نقدية»

د.سامي حسين علي القصوص.....31

3- «حتى» بين دقائق علم النحو ولطائف علم المعاني

أ.د. علي فراجي.....73

4- النقل الديداكتيكي لنظرية التلقي واستثمارها في قراءة النصوص المدرسيّة

د.سميرة وعزيب 99

5- المفعول المطلق وترجمته في سورة الإسراء إلى اللغة الإنجليزية دراسة تحليلية مقارنة

أ.ابتسام برّي 117

6- تعدد المصطلح العلمي المدرسي في كتب علوم الطبيعة والحياة -شعبة العلوم تجريبية أنموذجا-

د. سارة لعقد.....131

7- عود الضمير هاء الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره.
-أواخر سورة البقرة نموذجا [من الآية 170 إلى الآية 280]-

أ.د.جمال بوكو.....153

8- اجتهادات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية

د.سعاد شرفاوي.....169

اللسانيات التاريخية بين المفهوم اللساني والواقع التاريخي

د. رضا دغبار. أستاذ محاضر أ.
كلية العلوم الإسلامية –جامعة الجزائر -1
deghbarreda@gmail.com

ملخّص:

تعتبر اللسانيات التاريخية من التخصّصات اللسانية المهمّة التي استفادت من معطيات ومفاهيم علم التاريخ للوصول إلى الحقائق اللغوية القديمة، خاصّة فيما يتعلّق بالتغيّرات التي طرأت على اللغات القديمة وكذا صلات القرابة بينها، ممّا أتاح لنا الفرصة لمعرفة ما لا يُستهان به من المعلومات والمعطيات فيما يخصّ كيفية نشأة اللغات القديمة وانحدار اللغات الحديثة عنها أو ما يُعرف بشجرة اللغات، وصلات القرابة بين الشعوب التي تربطها تلك القرابات اللغوية، وكثيرٍ من الحقائق الفكرية والدينية والاجتماعية والثقافية عنها التي لم نستطع التوصّل إليها إلاّ من خلال الدراسات اللسانية التاريخية لتلك اللغات وما توصّلت إليه من نتائج علمية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، علم التاريخ، اللسانيات التاريخية، صلات القرابة...

Abstract

Historical linguistics is considered as the most important field . In fact it has benefited much from the science of history to establish many interesting facts about ancient languages , the changes that occured on them and the relationship that exist between them. This interesting field has permitted us to acquire lot of valued information and data as far as the birth and the

development of the old languages as well as the derivation of the modern languages from them. Moreover , it lets us to consider the link that exists between the communities under the same branch and also the lets us to discover a lot of religious,social, cultural and ideological facts . Thus historical linguistics is a central field which has a great impact on other sciences.

Key words: linguistics, Historical linguistics, The link.

المقدّمة:

لقد ارتبط الفكر اللغوي عمومًا بالوجود البشري على وجه الأرض، حيث عمل الإنسان دائمًا على مرّ الأزمنة والعصور على إيجاد تفسيرات وتأويلات مقنعة تشفي فضوله تجاه الظاهرة اللغوية، وهي الاهتمامات نفسها التي شغلت فكر العلماء والفلاسفة في مختلف التخصّصات والفنون، وخاصّة علماء اللسان والآثاروالتاريخ، حيث عمِل علماء اللسان على فكّ رموز الظاهرة اللغوية بناءً على معطيات لغوية بحتة، وبحثوا في أصول اللغات ومنشئها الأوّل وكيف نشأت، وصلات القرابة بينها وهلمّ جرا، ليثبتوا صلات القرابة بين اللغات ثمّ الصلات العرقية بين الشعوب والأمم، بينما عمل علماء الآثار في بحثهم الدائم عن الحقيقة الأثرية للوجود البشري فاضطرّوا بدورهم إلى فكّ الرموز اللغوية المختلفة التي خلّفها الإنسان في مختلف حقبه التاريخية لعلّهم يصلون إلى مقاربات علمية من خلال تلك الآثار اللغوية للاستدلال على المعطيات التاريخية والكثير ممّا أُشكِل عليهم فهمه أو تأصيله في تاريخ الإنسانية ومختلف حضاراتها، بينما عمل علماء التاريخ على استغلال كلّ ما توصّل إليه علماء الآثار وعلماء اللسان لتثبيت الأحداث والوقائع التاريخية علميًا بالأدلّة اللغوية والأثرية، لأنّ هذين العاملين مهمّان جدًّا في رصد التاريخ وإعطائه تفسيرات علمية، ولهذا كان الارتباط بين علم التاريخ وعلم اللسان وثيقًا، حيث يكمّلُ أحدهما الآخر في شكل تلاحمي، جعل منهما وجهين لعملة واحدة عند علماء اللسان وعلماء التاريخ على السواء فأطلقوا عليه تسمية علم اللسان التاريخي)اللسانيات التاريخية(أو اللسانيات المقارنة...، وهذا ما

جعلنا نختار هذا الموضوع للدراسة محاولين إجلاء حقائقه وأهميته العلمية في كلا التخصّصين، ولذلك صغنا الإشكالية التالية:

أوّلًا: الإشكالية:

إلى أيّ مدى استفادت الدراسة اللسانية من البحوث التاريخية؟ وما هي أوجه التداخل والتفاعل بين علم اللسان وعلم التاريخ؟ وهل يمكن لعلماء اللسان أن يستغنوا عن علم التاريخ في إثبات بعض الظواهر اللسانية القديمة كالقرابات أو الصلات اللغوية؟ وإلى أيّ مدى استفاد علماء التاريخ بدورهم من الدراسات اللسانية في الاستدلال على الظواهر التاريخية وإثبات علميتها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال المحاور الآتية.

ثانيًا: علما اللسان والتاريخ: أيّة علاقة؟ وأيّ تفاعل؟

إنّ النّظر والتأمّل في اللغة من الناحية التاريخية قديم جدًّا قدم الإنسانية، التي تكلّمت باللغة منذ وجودها على وجه الأرض، بالرغم من أنّ البحث فيها ودراستها تعدّ حديثة نسبيًا، حيث ارتبط ذلك النّظر والتأمّل بتصوّرات البشر عن اللغة، إذ هي جزءٌ من المجتمعات وتراثها الثقافي ودينها وتاريخها وتعدّد لغاتها واختلافها[1] وهلّم جرا.

وإنّ الدراسات اللغوية التاريخية جديرة بالقضاء على عقبات الزمن، حيث تعمل على التتبّع الحثيث لأثر التطوّرات والتغيّرات التي تطرأ على الجوانب الصوتية (الفونولوجية)، النحوية، والإفرادية، والدلالية الخ... في اللغة الواحدة في مختلف حقبها التاريخية (إذ تُعتبر حالات لغوية للدراسة والبحث)، أي هي دراسات لغوية تاريخية تهتمّ بالحركة التطوّرية البحتة[2]، حيث إنّ الألسن المختلفة في تطوّر مستمر ما دامت في صلة دائمة- ولا يمكن أن نفصلها بأيّ حالٍ من الأحوال عن شعوبها الناطقة بها- مع مجتمعاتها وشعوبها التي تتطوّر باستمرار دون توقّف لأنّ الزمن يتقدّم إلى الأمام ولا

(1)-محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص317.

(2)-المرجع نفسه، ص245-244.

يتوقّف ولا يعود إلى الوراء، فالألسن تتكيّف مع حاجيات المجتمعات والشعوب الناطقة بها والمتطوّرة)المتغيّرة(باستمرار، وبالتّالي فرؤيتها تتجدّد دائمًا أيضًا، ولهذا كان للألسن تاريخ مَثَلها في ذلك مثل الجماعات الناطقة بها، لأنّها أمور حادثة وليست ثابتة[1].

ويُسهم علم اللسان التاريخي من خلال الصلات اللغوية)والوحدة اللغوية(في معرفة بعض المعلومات والمعطيات عن الأقوام التي تكلّمت بتلك اللغات القديمة، مَثله في ذلك مثل علم الآثار اللغوي[2]، كموطنها الأصلي وأعمالها وحرفها وخصائص أرضها وأنواع أشجارها...، وكذا الوحدة العرقية والاجتماعية لتلك الأقوام، ونوع تديّنها وحضارتها ودفاعها المشترك...[3]، ولعلّ أبسط نظرة تأمّل في تراث الفكر الإنساني يجرّنا إلى الملاحظة أنّ حركة التعاقب الحضاري تُبنى على مرتكزات النظام اللغوي، وهذا ما جعل فئة ليست بالقليلة من المفكّرين والفلاسفة تنبهر بمقارنة الظاهرة اللغوية منذ زمنٍ، ويظهر ذلك جليًّا من خلال التعقّب المرحلي للأعمال الفكرية في الحضارات القديمة[4].

---

(1)-روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات إبيستيمولوجيا أوليّة لمجال علمي، ترجمة د. عبد القادر المهيري، مراجعة د. الطيّب البكوش، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظّمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، أيلول)سبتمبر(، 2007، ص141.

(2)-حيث تنقسم المراجع التي في اللغات السامية إلى قسمين: القسم الأوّل خصّص لتاريخ اللغات السامية، مثل كتب المستشرقين: نلدكه، كارل بروكلمان، وبرجشترستر، وغيرها من كتب النحو والصرف في اللغات السامية، والقسم الثاني فيضمّ مؤلّفات في علم الآثار التي اكتشفت وعُثِرَ عليها في مواطن الأمم السامية القديمة. هذا إلى جانب كتاب: تاريخ اللغات السامية، الذي يجمع بين تاريخ اللغات السامية ونماذج من آثارها باعتبار الآثار المرآة التي تظهر فيها وتبرز الصور الصحيحة للغات الأمم وعقلياتها، انظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، 1348هـ/1929، ص: و.

(3)-فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1985، ص246-245.

(4)-أحمد حساني، مباحث اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات الدراسات الإسلامية والعربية، الطبعة الثانية، دبي، الإمارات العربية المتّحدة، 1434هـ- 2013، ص9.

ومعلوم أنّ دقّة دراسة اللغة من الناحية التاريخية لا تتوقّف على دقّة دراستها من الناحية اللغوية[1] فحسب، بل تتعدّاها إلى مدى دقّة ومصداقية الدراسة التاريخية أيضًا، ومدى قُدرة علماء التاريخ اللسانيين على التعامل مع المعطيات اللغوية التاريخية في آنٍ واحد، ولهذا كثيرًا ما تُستعمل مقولات اللغة للاستدلال على تاريخ الفكر البشري، من منظور فلسفة المعارف والعلوم، ولعلّ خير ما يمثّل هذا الطرح ميشال فوكو من خلال كتابه)الأسماء والأشياء(الذي أُصدر في سنة [2]1966.

أمّا إذا أردنا الوقوف على علم اللغة في بعده التاريخي، فلا بدّ من العودة إلى القرن التاسع عشر الذي اشتهر بجوٍ معرفي كبيرٍ اتّصف بازدهار العلوم خاصّة الإنسانية منها، حيث عملت أوروبا على جلب نور الحضارة منذ بداية النهضة، وخاصّة من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وفي ظلّ ذلك الزخم المعرفي الثري وجب على العلوم اللسانية بدورها أن تزدهر وتوحّد مناهجها، حيث كان تقرير أحوال علم اللغة في طرقه ونتائجه قبل ظهور دروس فردينان دي سوسور هو السائد عند عامّة اللسانيين ويغلب عليه طابع السرد التاريخي للظواهر اللغوية، وهذا ما يجعلنا نخلص إلى أنّ ما دامت العلوم اللسانية لم ترتبط فيها أسس المعرفة اللغوية بمقوّمات علوم تلك المرحلة، فإنّه ليس من السهل علينا ضبط إطارها المعرفي، وبالتّالي صعوبة أو استحالة الإحاطة بخفاياها المعرفية، حيث من المعروف علميًا أنّ العلوم تأخذ شكلاً تراكميًا يُبنى وفق الحقب الزمنية المتعاقبة زمنيًا وتاريخيًا الواحدة تلو الأخرى، فتنشأ بناءً على ذلك فلسفة منهجية متكاملة، خاصّة في ظلّ هيمنة اتجاهين منهجيين على الحركة العلمية عمومًا آنذاك- قبل دي سوسور- وهما الوعي بأحوال الصيرورة التاريخية، وكذا البحث عن القوانين التي تحكم نظام الظواهر في مختلف مراحل الحركة التاريخية، وهذا ما يصدق بإخلاصٍ تامٍ أيضًا على

(1)-محمود السعران، المرجع السابق، ص243.

(2)-عبد السّلام المسّدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، الجماهيرية العربية الليبية، 1986، ص17-16.

العلوم اللغوية، وهذا ما يجرّنا إلى القول إنّ هذه العلوم قد استوعبت جيّدًا هذين الاتجاهين، وأنّ تأثيرهما متفاوت وفقًا لانتماء الميدان المعرفي إلى حقل العلوم الإنسانية، أو إلى حقل العلوم الطبيعية، أمّا في العلوم اللغوية فإنّنا نجدهما قد انصهرا تمامًا في القرن التاسع عشر بكامله، ولعلّ هذا ما دفع بالمؤرّخين إلى تسمية بحوث تلك المرحلة بالعلوم اللسانية التاريخية، أولنقل بالمصطلح الدقيق اللسانيات المقارنة[1] لشدّة تأثير وطغيان المنهج المقارن عليها.

فقد ركّز أوغست شلايشر August Schleicher1821 -1867عالم لسانيات ألماني] في اللسانيات التاريخية والمقارنة على دراسة صلات القرابة بين اللغات،[2] لإثبات العلاقات اللغوية بينها، وبالتّالي إثبات العلاقات التاريخية بينها وهذا ما قد يُوصله إلى القرابات البشرية أيضًا، علمًا أنّه كان متأثّرًا بالمنهج التطوري لداروين من خلال كتابه أصل الأنواع الحيّة(1859)، حيث عمل على إسقاط المفاهيم العلمية لنظرية داروين على الدراسة التاريخية للغة، إذ نظر للغة باعتبارها جهازًا عضويًا ينشأ في الميدان التاريخي ويخضع لما تخضع له الظواهر التاريخية من تطوّر ونمو ثمّ انحلال وموت[3].

كما اعتمد فقهاء اللغة المقارنون في دراساتهم لنشأة اللغات وصلات القرابة والعائلات أو المجموعات اللغوية أو شجرة اللغات والتطوّرات والتغيّرات التي طرأت على اللغات عبر التاريخ في محاولة إيجاد علاقات القرابة بين تلك اللغات، وذلك بمقارنتها في مستويات اللغة الأربعة السالفة الذكر: الصوتي[4]،

(1)-عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دارالكتاب الجديد المتّحدة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2010، ص170 - 171.

(2)-أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتّطوّر، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2005، ص86.

(3)-أحمد حساني، المرجع السابق، ص17.

(4)-فعلى سبيل المثال لا الحصر انظر القرابات الصوتية بين اللغات القديمة: اليونانية والجرمانية، والسلافية، والهندو أوروبية-التي تبحث في فقه اللغة المقارن عن صلات القرابة بين اللغات الهندية القديمة لغة الكتاب المقدّس الفيدا)السنسكريتية(

الإفرادي، التركيبي، والدلالي لمقارنة بعضها ببعض لمعرفة اللغة الأم)الأولى]، لغة المنشأ التي انحدرت منها اللغة السامية واللغة الحامية واللغة اليافثية أو الآرية، واللغات البشرية المنحدرة عن هذه اللغات الثلاث والتي تكلّمت بها الشعوب المختلفة عبر تاريخها، وكيف تطوّرت تلك اللغات عبر مختلف العصور، ثمّ البحث عن صلات القرابة بينها فيما بعد، فعلى سبيل المثال لا الحصر، انصرف اهتمام الباحث اللغوي الدانمركي راسموس راسك- Ras-mus RASK)1782-1832(منذ البدء إلى البحث عن العلاقات السلالية بين اللغات الإيسلندية والجرمانية واليونانية واللاتينية، والليتوانية، والأرمنية، وكان يُقِر بوجود علاقات تاريخية بين هذه المجموعات كلها، واللغة الإيرانية والسنسكريتية [1]. ولعلّ من خصوصيات المنهج التاريخي أيضًا اهتمامه «ببناء تاريخ علمي مفصّل لكلّ لغة، وبيان أثر الزمان في تطوّر اللغات وتغيّر أنظمتها الصوتية والدلالية والنحوية دون تفضيل للغةٍ على لغةٍ أيّ كانت»[2].

أمّا الفوائد الجليلة التي تعود على العلوم والمعارف والحضارات المختلفة من معرفة علم اللغات عامّة والبحث في موضوعاته فتتلخّص فيما يُتوصّل إليه من كتابة تاريخ دقيق يستند إلى آثار صادقة وعلم صحيح بعيد عن الخرافات والأساطير القديمة والزيف، وهذا ما يفتح باب الاجتهاد العلمي للباحثين المتعطشين لمعرفة الحقائق اللغوية وذلك من خلال معرفة تاريخ الكلمات ومنشأها والأطوار التي مرّت عليها وكذا معرفة معانيها المختلفة

واللغات الأوروبية الأخرى...، ج. فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص-40 82. كما أنّ بعض التغيرات الصوتية يمكن معرفتها عبر التاريخ معرفة عامّة غير أنّنا لا نستطيع الجزم معرفة تاريخ بداية هذا التغيّر، أو متى بدأ تفضيل بعض الأصوات على بعض تفضيلاً يستحق أن يُسمّى تغيّرا تاريخيًا. انظر: تمّام حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، طبعة 1421هـ/2001، ص97.

(1)-أحمد حساني، المرجع السابق، ص16.

(2)-أحمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد81، الجزء4، ص1.

المستعملة عبر عصورها المتوالية إلى غاية وصولها إلى ما هي عليه اليوم، وبذلك نكون قد وقفنا على دراسة التاريخ والعصور الإنسانية بأقسامها المختلفة[1].

ثالثًا: أقسام التاريخ القديم بين علماء اللسان وعلماء التاريخ

للعلماء في تقسيم التاريخ القديم مذاهب متعدّدة، فمنهم من يقسمه باعتبار الحياة الاجتماعية للأمم المختلفة، وما كانوا يقومون به من حاجاتهم المتنوّعة فيبحثون عن ذلك في طبقات الأرض وأعمارها من عصور جليدية وحديدية، وهم الجيولوجيون، أمّا علماء اللغات فيقسمون العصور التي مرّت على الإنسانية إلى ما يأتي:[2].

أ-عصور مظلمة: ومن مميّزات هذه العصور أنّها بعيدة عن التاريخ والعلم الدقيقين لعدم وجود آثار كدليل قطعي تشير إلى ما بلغه هؤلاء الأقوام من حضارة، وبالتّالي بقي التاريخ عاجزًا عن إدراك أمرٍ أكثر من وجودهم في مناطق معيّنة من هذا العالم، حيث اختفى كلّ ما يدلّ على لغاتهم وحضاراتهم وعلومهم ومدنياتهم اللهمّ إلاّ القليل النادر الذي يبيّن وجود هؤلاء الأقوام إلاّ أنّه لا يكفي للاستدلال العلمي لأنّها أقرب إلى القصص والروايات والأساطير والخرافات التي لا ترقى إلى الدراسة التاريخية العلمية الموثوق بصحّتها، مثل مدوّنات البابليين الآشوريين في العراق عن السكان السومريين قبل مجيء الساميين إليها، أو ما دوّنه المصريون القدماء عن السكان الحاميين القدماء الذين سكنوا واد النيل.

ب-عصر فجر الإنسانية: نستطيع القول إنّ هذا العصر هو عصر ولادة التاريخ، عصر بدأ فيه الإنسان يشعر بوجوده ككائن إنساني متحرّر من الأوهام، لا تحكمه الطبيعة بل هو من يسخّرها لسعادته وخيره، عكس ما كان عليه في السابق متملّقًا للآلهة متزلّفًا للقوى الطبيعية خاضعًا لها خضوعًا

(1)-جودة محمود الطحلاوي، كتاب تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة بمصر، 1350هـ/ 1932م، ص9.

(2)-المرجع نفسه، ص9.

كلّيًا، ومن هنا بدأت انطلاقةٌ جديدةٌ أهم ما يميّزها بداية الإنسان تدوين أعماله ومعارفه ونظم حياته وعلاقاته المتنوّعة وكلّ ما يتعلّق به بما في ذلك حياته الدينية مع الآلهة والنّاس وغير ذلك.

كما عرف هذا العصر بداية البحث والتنقيب في علم اللغات عن آثاره والمقارنة بينها، ليبرز الكثير من الحقائق في بحثه، وليغرف من العلم والتاريخ الصحيحين في منابعهما الأصلية[1]

ومعلوم أنّ المؤرّخين قسّموا التاريخ العام إلى درجات وفق القوّة والضّعف، وذلك كلّه من أجل البحث والاستدلال، حيث لاحظوا أنّ التاريخ من عهد فجر الإنسانية إلى حوالي القرن السابع عشر لم يخرج عن أمرين:

*-إمّا النقوش التي تدوّن على الآثار التي خلّفها الأسلاف السابقون.

*-وإمّا روايات وأخبار تلقّن للأجيال مشافهة جيلا عن جيل، أو تدوّن في الكتب وفي غيرها من وسائل الكتابة وحفظ التاريخ، وبناءً على ذلك قُسِّم التاريخُ إلى قسمين:

1 -روائي أو قصصي: ولعلّ أهم ما يميّزه هو وقوف علماء اللغات فيه بكلّ خصائصه التاريخية موقفًا حياديًا، حيث لم ينفوا ولم يُثبتوا أيّة مسألة اللهمّ إلاّ إذا وجدوا فيه شيئًا قطعيًا يُثبت صحّتها، إذْ تميّزت كتب هذا العصر بالاستقاء من كتب الوثنية القديمة والخرافات والأساطير ومختلف تفسيراتهم للطبيعة وظواهرها وظواهر الكون وحقائقه المختلفة، وأفضل ما يمثِّل ذلك كتب الفيدا الهندية (وهي أربعة كتب دينية مقدّسة للهنود القدامى باللغة السنسكريتية القديمة)[2] والإلياذة والأوديسا والكتب

(1)-جودة محمود الطحلاوي، المرجع السابق، ص11 - 12.

(2)-حيث جنح علماء ذلك الزمان من اللغويين وعلماء الأساطير المنشغلين بدراسة كتاب الفيدا إلى تفسير كلّ الأساطير بنار البرق ومسير الشمس، حيث كان إدراكهم للأشياء ساذجًا. انظر: ج. فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص41.

السماوية المعروفة (الإنجيل والتوراة) وغيرها من الكتب، والملاحظ عن هذا القسم عدم خضوعه لقواعد العلم والتاريخ الموثوق والدقيق.

2 -**التاريخ الدقيق الموثوق:** وتبرز أهمية علم اللغات في هذا القسم في كونه السبيل الكفيل بترقية النقد العلمي مع الذوق الفني المستقى من تعلّم خصائص اللغات، ففائدة علم اللغات ههنا جليلة تظهر أيضًا في تعلّم ومشاهدة آثار أمّة من الأمم بعد تعلّم لغتها والبحث في أسرارها ودراستها ومطالعة آثارها والمقارنة بينها، خاصّة في ظلّ ادعاءات بعض الأمم كاليهود على وجه الخصوص، حيث حرّفوا التوراة وبدّلوا كلامها، وزيّفوا حقائقها، كما عمد بعض الجاهلين بلغة اليهود إلى القول بعدم وجود أو ذكر محمّد صلّى الله عليه وسلم في التوراة، وهذا وهم كبيرٌ دحضه العارفون باللغة العبرية، العلماءُ بها، علمًا أنّ القرآن الكريم قد ذكر بما لا يترك مجالاً للشكّ أنّ محمّدًا مذكورٌ ليس في التوراة فحسب، بل في الإنجيل أيضًا، فقد أتقن علماءُ اللسانِ اللسانَيْنِ في عصريهما، لسانَ التوراة، ولسانَ موسى عليه السلام الذي كان شائعًا في زمنه - كما توجد مئات أسماء الأعلام التي جاء ذكرها في التوراة لها دلالات تاريخية أو عقدية مثلما ورد في القرآن الكريم حوالي واحد وثلاثين علمًا[1]- ووقفوا بدقّة على خصائصهما فبيّنوا بالأدلة اللسانية القطعية والحقائق التاريخية أنّ التوراة المحرّفة التي يتحدّث عنها اليهود قد دوّنت بعد موسى عليه السلام بما ينيف عن عشرة قرون أو في ما لا يقل عن عشرة قرون[2]، وبذلك كانت الآثار اللسانية سندًا قويًا للآثار التاريخية في الاستدلال على زيف اليهود وادعاءاتهم الكاذبة.

وبناءً على كلّ تلك الاعتبارات فإنّ التغيّر التاريخي هو حقل للسانيات التاريخية أو المقارنة، التي تسعى إلى إيجاد صلات قرابة وصلات تجمع تاريخ

(1)-عبد الأحد السبتي، التاريخ واللسانيات النص ومستويات التأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمّد الخامس، المملكة المغربية، 1992، ص50.

(2)-جودة محمود الطحلاوي، المرجع السابق، ص13-12.

اللغات، وكذا إيجاد الروابط التي تربط اللغات المنحدرة من مصدر مشترك واحدٍ، تكون الغاية الأسمى من هذا الحقل إيجاد قوانين صوتية تتشابه أو تختلف في تلك اللغات ليقترب بعضُها من بعض)فتكون من أصل واحد(أو يبتعد بعضها عن بعض)فلا تجمعها شراكة لغوية ولا عرقية(مثل الأصوات التي تتشابه في اللغات الرومانسية واللغات الجرمانية...[1]

لقد اعتمد اللسانيون المعاصرون في محاولة إبراز خصائص اللسانيات الحديثة ومقوّماتها النوعية على المنهج المقارن بينها وبين فقه اللغة القديم، وهذا ما فرض على مؤرخي اللسانيات العودة إلى خصائص التفكير اللغوي في مختلف مراحل وتاريخ البشرية عامّة، فسلكوا منحى تاريخيًا مستعرضين في ذلك إظهار مقوّمات العلم اللغوي القديم ليصلوا إلى إبراز الفروق الدقيقة والمقابلات الأولية التي تكشف ما يميّز اللسانيات عن المفهوم الفيلولوجي للمعرفة اللغوية، ومن هنا تأسّس مبدأ تدخّل التاريخ في أيّة دراسة للسانيات المعاصرة، خاصّة في ظلّ إصرار المؤرّخين على تبيين تحوّل دي سوسور من اللسانيات المقارنة التي هيمنت على التفكير في الدراسات اللغوية الغربية عمومًا في القرن التاسع عشر كلّه، إلى اللسانيات المعاصرة ويظهر ذلك من خلال دعوة دي سوسور- كما سنرى بعد حين- إلى تحوّل البحث اللساني عمومًا من الدراسة التطوّرية الزمانية إلى الدراسة الآنية السكونية، وبناءً على هذا التفكير اللساني الجديد الذي ثبّتَ أركانَه دي سوسور، ثبتَ عُرف المؤرّخين على إرجاع التفكير اللغوي إلى المراحل أو العصور التاريخية الآتية:

1 -العصور القديمة: والمقصود بها مرحلة ما قبل التاريخ التي شهدت احتمالات التفكير اللغوي، فنظرية قدماء المصريين التي تعود إلى حوالي 3000 سنة قبل الميلاد، تتبعها نظرية الصينيين، فنظرية الهنود المشهورين بنظرية

(1)-أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، 1985، ص13.

بانيني Panini إبان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، وتاليهما على التوالي كلٌّ من نظرية الفينيقيين والعبريين واليونانيين والرومانيين.

2 -**العصر الوسيط:** وقد اشتهر الرواد الأوائل لعلماء اللسان في هذا العصر الممتدّ من القرن الرابع والقرن الرابع عشر ممّا يُعرف بالتاريخ المسيحي، بالانشغال التام بالملاحظات الهامشية المنصبّة على دراسة بعض الخصوصيات اللغوية للديانتين اليهودية والمسيحية.

3 -**العصور الحديثة:** وهي تعود إلى بداية القرن الخامس عشر الذي يؤسس عمومًا لعصر النهضة في العالم الغربي، حيث عكف المؤرخون اللسانيون على دراسة النحو الفلسفي أو العقلاني، ثمّ النحو المقارن الذي عرف ازدهارًا كبيرًا في القرن التاسع عشر، خاصّة بعد اكتشاف لغة الهنود القدماء السنسكريتية القديمة (Le Sanscrit/أو Le Sanskrit) والملاحظ هنا هو غياب أو انعدام تام لذكر العرب في التأريخ للتفكير اللساني البشري، وهو مؤشّر قوي على طفرة أو ثغرة أو لنقل قطيعة واضحة للتسلسل المنطقي للتاريخ الإنساني عمومًا، وفي التأريخ اللساني خصوصًا، ولا يمكننا هنا تفسير ذلك بجهل المؤرّخين للغة العربية، حيث انكبّوا على استعراض ما توصّلت إليه الحضارات الأخرى التي يجهلون في كثير من الأحيان لغاتها، إذْ اجتهدوا في إعطاء تخمينات وتأويلات للغات أممٍ انقرضت عبر العصور تماما، وما يُعاب عليهم أيضًا ليس جهل ونسيان تراث التفكير اللغوي العربي فحسب، بل إنّ ذلك لَحِقَ اللغةَ العربيةَ نفسَهَا كنمط لغوي لعرب تكلّموا بها وخلّفوا آثارها فلا يذكر لها مثيلاً عند تعرّض اللسانيين لنماذج اللغات المختلفة في العصر الحديث[1]، فكان مآل نسيان أو تجاهل التراث العربي في الميدان اللغوي عمومًا قطع التفكير اللساني عامّة في مختلف مراحل الحضارات الإنسانية، وبذلك كان من الطبيعي أن تكون نهضة الحضارة الغربية على أنقاض التراث

(1)-عبد السّلام المسّدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، المرجع السابق، ص-21 .22

اليوناني أساسًا بعد اختزال التفكير اللغوي العربي تمامًا لمدّة ثمانية قرون من الزمن[1].

رابعًا: الدراسة اللسانية التاريخية من منظور فردينان دي سوسور وعلماء الغرب المحدثين

إنّ الدراسة الوصفية للسان البشري عند الغربيين لا تتقاطع مع الدراسة التاريخية للسان البشري بل تعتبر الدراسة التاريخية امتدادًا للدراسة الوصفية، حيث تنقسم الدراسة اللسانية منذ عهد دي سوسور إلى قسمين: أنية سكونية) Etude synchronique (وتطوّرية زمانية) Etude diachronique (أي تاريخية تعاقبية[2]، حيث أهم ما يُميّز الدراسة الآنية السكونية وصف اللغة في زمن محدّد منعزلة عمّا قبله وعمّا بعده.

وهناك من اللغويين الأمريكيين من اعتبر التاريخية جزءًا أو نوعًا من أنواع الوصف، وأطلق عليها الوصف التعاقبي أو التقادمي، وذلك أنّ البحث اللغوي في القرن التاسع عشر سيطرت على منهجية البحث فيه الرؤى الفلسفيةُ السائدةُ حينذاك، ويظهر ذلك في الوعي بنواميس الصيرورة التاريخية، والبحث عن القوانين المتحكّمة في نظام الظواهر عبر التاريخ بما فيها الظواهر اللغوية، وهذا ما اندمج تمامًا في منهجية الدراسة اللغوية في ذلك الزمن، وهذا ما يُفسّر لنا سببَ تسميتها باللسانيات التاريخية أو اللسانيات المقارنة[3]، حيث تمثّل اللسانيات المقارنة «صورة من جدلية هيجل مطبّقة على الإنسان وتاريخه من خلال لغته، وهي في حقيقة الأمر شكل من الدراسة التطورية الداروينية حيث يمثّل توالي الألسنة مبدأ

(1)-عبد السّلام المسّدي، مباحث تأسيسيّة في اللسانيات، المرجع السابق، 2010، ص31.

(2)-م.د. حيدر غضبان محسن الجبوري، إشكالية المصطلح وأثرها في تصنيف المناهج اللسانية)الوصفية والبنوية والتوليدية واللسانيات] أنموذجا، مجلّة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كانون أول، 2015، ص534.

(3)-المرجع نفسه، ص537.

الانسلاخ والتحوّل، وخير مَنْ مَثَّلَ تلكَ الجدليةَ التاريخيةَ الفلسفيةَ ألمانيا، ثمّ يأتي عصر البنيوية ليكون بداية تحوّل جذري في تاريخ الفكر العام، حيث بنى الفكرُ البنيوي مبادئَه على الفلسفة التجريبية التي نجدها مبثوثةً في أفكار فرانسيس بيكون)1561 - 1626(وغاليلو)1564 - 1642(وجون لوك)1632 - 1702(وديفد هيوم)1776-1711(، هذا مع ظهور أوغست كونت)1798 - 1857(في فرنسا حيث تزامن ذلك مع الفلسفة الوضعية آنذاك، واستمرّ الوضع على حاله إلى أن جاء القرن العشرين وجاء معه علماء بنيويون آخرون كبار اعتمدوا مبادئ الفلسفة الوضعية أمثال عالم الاجتماع دور كهايم)1858-1917(وعالم النّفس فرويد)1859 - 1939(ومؤسس المدرسة السلوكية جون واطسون 1878 - 1958 [1]، وكان العالم اللساني السويسري الفذ دي سوسور1857 - 1913 المعروف بأبي اللسانيات الأوربية المعاصرة، هو من وضع تمييزًا وفصلاً واضحين بين ما هو دراسة آنية سكونية وتطورية زمانية)اللسانيات التاريخية(فيما عُرف بثنائياته أو تقابلاته الشهيرة: اللغة الكلام، الأنية السكونية والتطورية الزمانية...[2].

فقد كان دي سوسور بنيويًا، وكان عمله منصبًّا أكثر على دراسة اللغة دراسة وصفية في ذاتها ولذاتها، أي بالبحث العلمي الموضوعي في نظامها وقوانينها في زمن محدّد)آنية سكونية(باعتبارها نظاما، بغض النّظر عن جوانبها التاريخية التطوّرية الزمانية، غير أنّ هذا لم يُثْنِهِ عن التمييز بين الدراسة الوصفية للغة في بُعدها الداخلي، وبين الدراسة التاريخية للغة، وبذلك يكون (دي سوسور) على الأقل قد أبعد التحليل التاريخي (الدياكروني) للغة، وتركيز الدراسات اللسانية على تتبّع الأصول الأولى لكلّ اللغات(منشأها الأول)، كما كان عليه الأمر في القرن التاسع عشر حيث كان المنهج التاريخي المقارن هو السيّد والمسيطر[3].

(1)-م.د. حيدر غضبان محسن الجبوري، المرجع السابق، ص537 - 538.
(2)-فردينان دي سوسور، المرجع السابق، ص9.
(3)-شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر

لقد ميّز فردينان دي سوسور إذن بين نوعين من الدراسة: الزماني diachronique (والآنية) Synchronique (وذلك من أجل وضع الأمور في نصابها وتسديد وتقويم الآراء الخاطئة التي أوقعت كثيرًا من اللغويين الغربيين في الخطأ أيضًا، الذين تأثّروا بمفهوم التطوّر باعتباره مفهومًا إجرائيًا إلى درجة الافتتان به وجعلوه مقابلاً للمعيارية النحوية أو المنطقية العميقة كما يصفها الحاج صالح عبد الرحمان، وهذا ما جرّهم إلى نفي الصفة العلمية عن أيّ تحليل خاصٍّ بوضع اللغة في مرحلة زمنية معيّنة، وهذا ما يعتبرونه مجرّد وصفٍ وإحصاء لأنّهم تشبّثوا بالتعليل التاريخي ممّا جعلهم لا يستطيعون معرفة قيمة التحليل اللغوي، وفضلاً على ذلك فإنّ دي سوسور ذاته لم ينكر أهمية الدراسة التاريخية كما يعتقد كثيرٌ من الباحثين اللسانيين، ولكنّه ينكر تغلّبَ أو سيطرةَ النظرة التاريخية التي تَعْمَدُ إلى نظام اللغة في حالة تطوّرها، أي أنّ كلّ تعليل في هذا النظام يكون بحوادث الزمان، ضِفْ إلى ذلك عدم معرفة التاريخيين لحقيقة النظام اللغوي لبُعدهم عن التخصّص اللغوي[1].

خامسًا: اللسانيات التاريخية في المنظورين الجزائري والعربي

لا يمكننا بأيّ حالٍ من الأحوال جحد البُعد التاريخي للسانيات، فبالرغم من أنّ اللساني ليس بحاجة دائمًا إلى اكتساب معارف تاريخية أو توظيفها في الدراسة اللسانية كما فعل اللسانيون البنيويون الأمريكيون والأوروبيون فهذا ليس مبرّرًا لترك التاريخ جانبًا أو تجاهلهُ وهل أصلاً يُمكن لهذا السبب تجاهل التاريخ !؟[2] لأنّنا بحاجة في تفسير بعض الظواهر اللسانية خاصّة في أبعادها الصوتية والإفرادية والدلالية العودة إلى السجل التاريخي لأنّه الكفيل في الكشف العلمي الدقيق والحقيقي عنها، فعلى سبيل المثال لا الحصر إذا

والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2004، ص10و15.

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص156.

(2)-روبير مارتان، المرجع السابق، ص142.

أردنا إقامة دراسة التغيّرات التي طرأت على المفردات المتداولة في الجزائر منذ الثورة التحريرية الجزائرية إلى اليوم)1954-2019(فإنّنا سنضطر شئنا أم أبينا العودة إلى كتب اللغة وكتب التاريخ لاستنطاقها واستجلاء ما حفظته لنا من معارف ومعطيات ومعلومات قيّمة للوقوف على التغيّرات التي طرأت على المعجم اللغوي للمجتمع الجزائري عبر تاريخ هذه المرحلة)لمدّة 65سنة(، وما هي المفردات التي تغيّرت والأخرى التي اندثرت وماتت، والأخرى التي ظهرت اليوم ولم يُسبق أن استعملت في الجزائر من قبل، وهذه الألفاظ كلّها تمثّل سجّلا ثريًا حيًّا في تاريخ الجزائر المعاصر، حيث يمثّل التاريخ الذاكرة الشعبية للمجتمع، والتأصّل في التاريخ ضروري لوعيها الجماعي وهو يُسْهِم إسهامًا كبيرًا في بناء تناسق هذا الوعي، وبالضرورة يبني الشعور بالهوية والانتماء ولذلك لا يمكن فصل ثقافة المجتمع عن تاريخه[1] فهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، واللغة جزءٌ لا يتجزّأ من ثقافة المجتمع وحضارته وتاريخه، لهذا أيضًا لا يمكن فصل اللغة عن التاريخ، كما لا يمكن فصل الدراسات اللسانية للغات عن الدراسات التاريخية.

إنّ ألفاظا كثيرة تعود إلى عهد الثورة الجزائرية مثل الفلاقة، القومية (بنطق القاف وهي تقريبا قاف البدووجيما مصرية مضمومة لا مفتوحة[2] بوشكارة)، الحركة، الفيلق، لواس Organisation de (O.A.S. l'armée secrète) الفوج، الفرقة، العسكر، الطلبة الجزائريون، الخاوة، هيئة المجاهد، المفوّض السياسي الخ... إلاّ بالتحليل التاريخي لمعجمها كما يقول عبد المالك مرتاض[3]، كما لا يُمكن تفسيرها إلّا بالعودة إلى بعدها التاريخي والاستعانة به، ناهيك عن غيرها من الظواهر اللغوية الأخرى سواء في مستواها الصوتي

(1)-المرجع نفسه، ص142.

(2)-الطيّب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، الطبعة الثالثة، تونس، 1992، هامش ص42.

(3)-عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية)) -1954 1962((، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.

أم الصّرفي أم الدلالي)المستوى التركيبي عدة معروف بالثبات وعدم التغيّر عمومًا(في آنٍ واحدٍ[1] وهذا يصدق على كلّ اللغات في العالم.

إذن إنّ دلالة كثيرٍ من الألفاظ القديمة لا يمكن فهم معانيها إلاّ بأخذها في بعدها التاريخي، ولهذا لا بدّ من الإشارة أيضًا إلى أنّ هناك فرعا آخر من اللغويات التاريخية اسمه علم الدلالة التاريخي عرف اهتمامًا كبيرًا في بدايات القرن التاسع عشر، وكان العلماء الألمانيون هم رواده، حيث بدأ في ألمانيا ثمّ سرعان ما انتقل إلى فرنسا واهتمّ به علماءُ اللغة الاجتماعيون من تلامذة أنطوان مَيِيه Meillet Antoine، وقد عمل العلماء في تلك الفترة على وضع قواعد للتغيرات التي تطرأ على المعنى وتصنيعها وفق أسس وقواعد منطقية، فكان اهتمام علماء اللغة حينذاك منصبًّا على رصد ودراسة تغيرات المعنى وصور هذا التغيّروكذا أسبابه والعوامل المُسْهِمَة في حياة الألفاظ وموتها[2]

إنّ الإنصاف العلمي يجرّنا إلى الاعتراف بأنّ لولا التاريخ لما استطاع الكثيرُ من الدارسين اللسانين أن يعلموا أنّ مَنْ وضع مصطلح اللسانيات في حدّ ذاته) علم اللسان حيث تعوّض اليات العلم فلا يجوز أن نقول علم اللسانيات(هو أبو اللسانيات العربية المعاصرة الأستاذ الجزائري الدكتور الحاج صالح عبد الرحمن، الذي استعمله في الجزائر سنة 1966، ولينتشر ويعرض شهرة أكثر بداية من سنة 1971 من خلال مجلّة اللسانيات، لسان حال معهد العلوم اللسانية والصوتية، والتي أطلق عليها هو نفسه هذا الاسم)مجلّة اللسانيات(ليتمّ تبني مصطلح اللسانيات بصفة رسمية في مقابل المصطلح الفرنسي La linguistique أو المصطلح الإنجليزي LINGUISTICS في ندوة تونس سنة 1978[3].

(1)-روبيرمارتان، المرجع نفسه، ص144.

(2)-أحمد مختارعمر، علم الدلالة، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998، ص 235.

(3)-حيدر أحمد مختارعمر، علم الدلالة، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998، ص 235.غضبان محسد الجبوري، المرجع السابق، ص542.

لقد جعل عبد الرحمن الحاج صالح مصطلحات أو مفاهيم الدراسة اللغوية التاريخية وعلم اللسان المقارن، أو النحو المقارن، مترادفات، أو أوجهٍ لعملة واحدة حيث أنّ المقصود منها إمّا إثبات المراحل التطوّرية التي تمرّ عليها اللغة، أو إثبات القرابة بين اللغات باستعمال مناهج المقارنة التاريخية ويُطلق عليها في اللغات الأوربية أسماء: Linguistique historique أو Lin-guistique comparative أو Linguistique comparée أو Grammaire his-torique أو philologie comparée[1].

أمّا فيما يخص اللغة العربية(لسان حال الجزائريين الرسمي والوطني) فإذا أردنا دراستها من الجانب التاريخي في مختلف حقبها التاريخية عبر العصور فإنّ المنهج الوصفي أنسب لمثل هذا النوع من الدراسات، وذلك لتاريخها الممتدّ من العصر الجاهلي إلى اليوم[2]، أي دراسة تطوّرها عبر الزمن لمدّة تزيد عن 1500سنة وفق الحقب التاريخية المختلفة)العصر الجاهلي، الإسلامي والأموي، العباسي وعصر الانحطاط، الأندلسي، الحديث، فالمعاصر(، لأنّ كلّ مرحلة تميّزت بميزات وأحداث خاصّة: دينية، اجتماعية، سياسية، ثقافية، اقتصادية...، أثّرت لا محالة في اللغة في كلّ مستوياتها.

وإنّ استيعاب المعرفة اللسانية العالمية واكتسابها، يتطلّب التحكّم في قُدرة التفاعل الواعي مع هذه المعرفة، سواء تعلّق هذا التفاعل بمستوى إدراك منطلقاتها المنهجية وتمثّل مصطلحاتها ومفاهيمها، أم تعلّق بمستوى توظيف معطياتها النظرية واستغلالها استغلالاً واعٍ وهادفًا للوصول إلى الرقي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة[3].

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأوّل، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص24

(2)-محمود السعران، المرجع السابق، ص244.

(3)-أحمد حساني، المرجع السابق، ص5.

فبلا شكّ أنّ الفكر العربي عمومًا والفكر اللساني خصوصًا لم يأتِ من العدم ولم يصل طفرة إلى الحداثة[1] بل كان التراث العربي الأصيل زاده المعرفي الذي أسّس عليه علم اللسان

الحديث، ولعلّ التاريخ كان أيضًا مدوّنة مهمّة للغاية أسهمت في نقل الكثير من الحقائق اللسانية باعتباره حافظها.

الخاتمة:

بناءً على كلّ ما سبق ذكره، تبيّن لنا أنّ للسانيات التاريخية دورًا مهمًّا جدّا في الوقوف على كثيرٍ من الحقائق التاريخية بالاعتماد على المعطيات والآثار اللسانية، كما أسهم علم التاريخ بدوره في تنوير علماء اللسان بكثير من الحقائق التي من شأنها مساعدتهم في تفسيركثيرٍ من الظواهر اللغوية خاصّة فيما ما يتعلّق بالتغيّرات اللغوية الناتجة عن ظروف وتغيّرات اجتماعية وتاريخية...وصلات القرابة بين اللغات القديمة وبالضرورة بين الأمم القديمة والشعوب التي تشترك في تلك اللغات، وهذا ما يقدّم فكرة شاملة لعلماء اللسان وعلماء التاريخ المعاصرين على السواء عن لغات وشعوب العالم القديم، ليستفيدوا منها في دراساتهم وبحوثهم لترجيح كثيرٍ من الفرضيات والمعطيات اللسانية والتاريخية.

(1) - عبد السلام المسدي. مباحث تأسيسية في اللسانيات. ص: 24.

***المصادر و المراجع:

1- أحمد حساني، مباحث اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات الدراسات الإسلامية والعربية، الطبعة الثانية، دبي، الإمارات العربية المتّحدة، 1434هـ- 2013.

2- أحمد قدور. اللسانيات والمصطلح، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد81، الجزء4، ص1.- جودة محمود الطحلاوي، كتاب تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة بمصر، 1350هـ/ 1932م.

3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

4- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتّطوّر، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2005.

5- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، 1348هـ/1929.

6- أف. آر. بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، 1985.

7- تمّام حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، طبعة 1421هـ/2001

8- ج. فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

9- جودة محمود الطحلاوي، المرجع السابق.

10- حيدر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998، ص 235.غضبان محسد الجبوري، المرجع السابق.

11- روبير مارتان، المرجع نفسه.

12- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات إيبستيمولوجيا أوليّة لمجال

علمي، ترجمة د. عبد القادر المهيري، مراجعة د. الطيّب البكوش، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظّمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، أيلول)سبتمبر(، 2007.

13 - شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2004.

14 - الطيّب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، الطبعة الثالثة، تونس، 1992.

15 - عبد الأحد السبتي، التاريخ واللسانيات النص ومستويات التأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمّد الخامس، المملكة المغربية، 1992.

16 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأوّل، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

17 - عبد السّلام المسّدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، الجماهيرية العربية الليبية، 1986.

18 - عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2010.

19 - عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية1954 - 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.

20 - فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1985.

التناسب الجَمَاليّ في شعر محمد بن عواض الثبيْتي
(ت 1432هـ2011-م) "مقاربة تحليلية نقدية"

د.سامي حسين علي القصوص
- باحث أكاديمي يمني بجامعة نجران -
المملكة العربية السعودية
dr.alqsos@gmail.com

ملخص

إن الحديثَ عن التناسب الجَمَالي ليس حديثا عن الجَمَالية الشعرية فحسب؛ بل هو حديثٌ عن الفن في ميدان الشعر بشكل عام، وحديثٌ عن تناغم اللغة الشعرية في معجم الشَّاعر وتآلفها الصوتي والإيحائي، اللفظي والمعنوي، الشكلي والمضموني، بشكل خاص، وقد بدئ البحثُ بمقدمة اشتملت على إشكاليات البحث، وأهدافه، وأسباب اختياره، وخطواته العلمية والمنهجية، ثم جعلنا البحث في محورين اثنين: الأول منهما قدّمنا فيه قراءة نقدية أدبية وعلمية حول مفهوميْ: التناسب والجَمَال؛ وخصصنا المحور الثاني للحديث عن أبرز السمات الجَمَالية في الخطاب الشِّعْرِي لمحمد الثبيْتي، وخُتِمتِ الدِّراسة بخاتمةٍ سُجلت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البَاحِث.

الكلماتُ المفاتيح:

التناسب الجَمَالي /الثبيْتي/ الصوتي /المفردة /الإيحاء/الإيقاع.

Abstract:

The talk about aesthetic symmetry is not only a talk about poetic aesthetics; rather, it is a talk about art in the domain of poetry in general, and a talk about the harmony of poetic language in the

poet's lexicon and its sonic, suggestive, verbal and moral harmony, formal and substantive, in particular. The research commenced with an introduction that included the problems of the research, its objectives, the reasons for its selection, and its scientific and methodological steps, then It was divided into two axes: the first one presented a literary and scientific reading about two concepts: relativity and beauty; and the second axis was devoted to talk about the most prominent aesthetic features in the poetic discourse of Muhammad Al-Thabiti. Finally, the research concluded with the most important findings that the researcher has come out.

Keywords: Aesthetic / Al-Thabiti / Sonic / word / Inspiration / rhythm.

مقدمة:

إنَّ الحديثَ عن التناسب الجَمَالي آتٍ من وجود التناسب الجمالي الذي تتمتع به اللغة العربية بشكل عام، والقرآن الكريم بشكل خاص؛ كون هذا الأخير يتحقق فيه التناسب الجمالي الكامل الذي لا يعتريه نقصٌ أو تنافرٌ أو ثِقلٌ أو اختلالٌ في البنية الخطابية والجمالية؛ أمَّا الأول (اللغة العربية) فهي كلام البشر (الكلام العادي)، ومهما توفر للكلام العادي / غير الشعري من التناسب الجمالي؛ فلن تستطيع بلوغ الكمال فيه، وهذا ينصَرِفُ على الحديثُ عن الجَمَالية الشعرية كونها من إبداع الشعراء، وهم كغيرهم من البشر يصيبون ويخطئون.

وإنّ أبرز ما يُميز الشِّعر عن الكلام العادي، والمنثور هو جَمَالياتهُ وخصائصهُ الفنية المتعددة؛ ولهذا رأينا جميع الشُّعَراء المرموقين قديماً وحديثاً يتفننون في انتقاء أدواتهم الفنية، ويرتقون بأساليبهم الشعرية حتى تخرج تجاربهم الشعرية في ثوب قشيبٍ مُرصَّعٍ بالجَمَاليةِ والإبداعية الموشاة

بالخيال والتخييل والألوانِ بحيث لا يُكتفى بلغته وحدها،أو صوره ومجازاته على حدةٍ، ولا بمنظوماته الإيقاعيةِ بمعزلٍ عن سياقهِ العام؛ فقيمتهُ في اجتماع مبانيهِ، وعناصرهِ في نسجٍ شعريٍ مُتصلٍ يتجافى الاتكاء على الظاهرة المفردة، ويفيدُ الشَّاعر في رؤيتهِ من عناصر الوزن والقافية، والصورة، والانفعال والرؤيا، وغيرها في الآن نفسهِ[1].

ولا شك أننا نُدركُ أن التناسب في التجربة الشعرية هو أحد أهم المبادئ والمفاهيم التي منها الاشتراك والوصل والتناسق والتآلف.. وغيرها من المبادئ التي تُظهر للمتلقي/ القارئ الجمال الشعري في أبهى صوره الفنية دون تنافرٍ أو نشوزٍ. كما أننا في الخطاب الشِّعْرِي الجَمَالي نكونُ أمام حقيقةٍ مفادها:» أن الشَّاعر لا يتحدثُ كما يتحدثُ الناس، وأن لغتهُ – غير عاديةٍ- إن الشيء غير العادي في هذه اللغة يمنحُها أسلوباً يُسمى (الشعرية)، وهي ما يُبحثُ عنهُ في خصائصِ علم الأسلوب الشعري»[2].

المبحث الأول: مفاهيم لغوية واصطلاحية في التناسب والجَمَال:

التناسب لغةً: أتى لفظ التناسب من المناسبة، والمناسبة هي المشاكلة والمقاربة، وقد ورد في معاجم اللغة أن أصل كلمة تناسب جاءت من الجذر (ن، س، ب)؛ يقول ابن فارس: « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب سُمي لاتصاله وللاتصال به.[...] والنسيب الطريق[المستقيم] ،لاتصال بعضه من بعض» [3]. وتعني ماله علاقة

---

1 للمزيد ينظر: كتاب أبي ديب، كمال: في الشعرية. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص15، ومردف، سعد: شعرية الخطاب الجَمَالي والإيديولوجي في ديوان عبدالله البردوني، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2014 - 2015م، ص31 32.

2 كوهين، جان، النظريةُ الشعريةُ، بناء لغةِ الشِّعر، اللغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، دارُ غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، [د. ت]، ص35 - 36.

3 ينظر: زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، [د. ط]، 1403هـ ج5، ص 424-423. مادة (ن س ب) .

بالقرابات العائلية والنسب، فابن منظور (ت:711هـ) يرى أن: « النسب: نسب القرابات.. وانتسب واستنسب: ذكر نسبهُ، ويرى كذلك أن المناسبة نقيض المشاكلة»[1]، وهذه المعاني تترادف وتتقاطع مع كل ما له صلةٌ أو وشيجةٌ بغيرها. بمعنى أننا إذا تحدثنا في بحثنا عن التناسب؛ فإننا نحدد مستوى الصلات والوشائج بين عناصر الخطاب الشِّعْرِي ومقدارُ تجلِّي جَمَالها البنائي والفني؛ وعلى هذا تكون المناسبة / التناسب: الاتصال المحبوك بين مكونات الخطاب الشعري بسلسلة من العلاقات العقلية والحسية.

التناسبُ اصطلاحاً: لا يمكن أن نؤسس لمفهوم التناسب بمعزل عن جهود القدامى في تأصيل هذا المفهوم الذي انطلق من علم المناسبة القرآنية. قبل الحديث عن التناسب الشعري والجمالي حري بنا استلهام أفكار الرازي والزركشي والبقاعي في تأسيس هذا المفهوم الجمالي. أو الإشارة إلى أن منبت هذا الاصطلاح من علوم القرآن؛ فالاتساق والانسجام والتناسب والقصدية والمقبولية وغيرها من المعايير النصية التي تناولتها المقاربات اللسانية والتداولية ولسانيات النص تحديدا هي من جوهر علوم القرآن، ولا جرم أن اصطلاح التناسب بمتعلقاته الدلالية الأخرى كالتناسق والتماسك وغيرهما وليد بيئات معرفية مختلفة: كعلوم القرآن، البلاغة، النقد، وغيرها.

يُعدُّ التناسب من أبرز ملامح التجربة الشعرية الرصينة المبنية بناءً فنياً يقومُ على الخلق والإبداع والتنويع والخيال والتصوير والبساطة والتعقيد.. إلخ، ولأجل هذا كله فهو جوهرةٌ من جواهر البلاغة النفيسةِ إن لم يكن أنفَسَها وأرفعها مرتبةً بين مراتب الفصاحة والبيان. ومن معاني التناسب البلاغية (الترادفُ) الذي هو: « الاتحادُ في المفهوم أو توالي الألفاظ المفردة، على شيء واحد، باعتبارٍ واحدٍ»[2]؛ فالتناسبُ بين الألفاظ يهدفُ إلى تحقيق

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، [د. ط]، 2000م، (ج2 /253)، مادة (نسب).

2 الجرجاني، علي، التعريفات، حققهُ: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، [د. ت]، ص60.

نوعٍ من التناغم والانسجام والتلاؤم بين الألفاظ وبقية مكونات النَّص البنائية واللغوية والفنية لتتجلى قوة الدلالة وجَمَال الصياغة وتناسبهما تناسباً جَمَالياً يأسرُ لُب المُتَلقِي/السامع.

ولأن التناسب الجَمَالي لا يتأتى إلا بحضور مسبباته وأدواته نرى كثيراً من الشُّعَراء لا يستغنون في تجربتهم الشعرية وعملهم الإبداعي والفني عن المحسنات البديعية؛ فيوظفون ويختارون منها ما شاءوا بين مقلّ ومُكثِر منها؛ إلا أننا لا نهتمُ إلا بما زاد التجربة الشعرية جَمَالاً فوق جَمَالها؛ فكيفية الاختيار هي التي تعنينا؛ لأنه لمَّا كان الأدب عموماً يتميز بحسن اختيار مفرداته، والتأليف بينها بطريقة تنم عن غرضٍ جَمَالي، فإنّ الشّاعر يظل يحاول انتاج نصٍ شعري متناسبٍ وجميلٍ تتحقق من ورائهِ المتعة الفنية.

وعلى هذا يمكنُ القول بأن: سعي الشاعر وراء تجميل نصه الشعري وتحسينه لا يخلو من مقاصد؛ بل تأتي به الحاجة الملحةُ إلى إنجازِ نصٍ فنيَ وإبداعي متكئٍ على الأدوات الجمالية من سجعٍ وجناسٍ ومقابلةٍ وترصيع وغيرها من المحسنات البديعية والجمالية التي لا غنى له عنها في عملية البناء الفني الجمالي للنص الشعري المتناغم. ولا يوجد شاعرٌ مجيدٌ إلا وجدناهُ يُكابدُ ويبحث عن هذا الارتقاء الجَمَالي لنظمه الإبداعي/الشعري، الذي لا يتأتى إلا بتحقيق ما يُسمى بالانسجام الشِّعْرِي أو الفني؛ لأن الشِّعر هو الانسجام الفني للطاقات الحسية والعقلية والنفسية والصوتيةِ للغة، ولغة الشِّعر هي الوجود الشِّعري، والإبداع الفني قائم على محصلة مجموعة من الاختيارات الواعية والمقصودة بين عناصر اللغة.

يقول عبدالملك مرتاض في سياق حديثه عن قضية الشكل والمضمون في العمل الأدبيّ : «يُفترضُ في النتاج الفني أن ينشُدَ أعلى درجات الكمال ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وذلك على المستويين الشكلي، والمضموني معاً، غير أن المُنظِّرين من لا يجنحُ إلا إلى جَمَال المضمون، وعلى رأس هؤلاء (هيجل) الذي كان يمثلُ مدرسةً قائمة بذاتها، بمخالفتهِ لـ(كانط) صاحب المدرسة

الجَمَالية التي كانت ترى الجَمَال متعلقاً بالشكل أو التعبير، وأمّا الكانطيون فيمثلون جَمَال الفن على أنه مجموعة الدلالات – على حين أن الهيجليين يتوجهون نحو المستوى الشكلي الماثل في مجموعة الدلالات» [1]، وقد رفض النقاد القدماء كلَّ ما من شأنه البُعد عن التناسب/التألف في الشعر؛ فابن قتيبة يَذُمُّ الشِّعرَ المُتكلف الذي يفقد النص الشّعري خاصية التناسب قائلا: « أن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً إلى غير لفقهِ»[2]. وهو بهذا يشير إلى التنافر على مستوى البنية والموضوع، وإذا حدث هذا التنافر فأي تناسبٍ وأي جَمَال بقي في النَّص الشِّعْرِي بعد فقدانه لركيزتين هما من أهمِّ ركائز التجربة الشعرية؛ ومن هنا تأتي أهمية التناسب الجَمَالي في البلاغة والفصاحة؛ فهو في البلاغة قائمٌ على الارتقاء بعملية التعبير إلى ما أمكن لها من الجمال والكمال، وأمّا في الفصاحة فهو معتمدٌ على الاستحسان والالتذاذ السمعي الذي يُعزى إلى التناسب بين أصوات اللفظة مع المستعملِ ضمن العُرف اللغوي[3].

الجمالُ:

لا يطلقُ إلا على ما سَحَر العين وجذبَ انتباهها، وسيطر على لحظِها، وجاء على الأذن فأطربها بحلاوة الصوت وعذوبة النغم، وهو ما غزا القلب الساكن؛ فاستملكهُ وحرّك أحاسيسهُ تجاه الطمأنينة والارتياح، وهو – أيضاً – ما هيّج المشاعر الساكنة، والعواطف المكنونة، ورعش الفؤاد وحرّك فيه رغباته وحاجاته المختلفة، وما حققَ في النفس من قبولٍ وإذعانٍ وإصغاءٍ بالسمع والقلب؛ لأن النفس مهيئة فطرياً لقبول كل ما هو جميلٌ وفاتن وبديع؛ فالجمال محبوب لذاته، وقد وصف الله نفسه بالجمال.

---

1 عبد الملك مرتاض، نظرية النَّص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007، ص72.

2 ابن قتيبة، أبو محمد الدينوري، الشعر والشُّعَراء، حققهُ وعلّق على حواشيه: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، ط1، 1997م، ص42.

3 ينظر: بودوخة، مسعود لافي، الأسلوبية والبلاغة (مقاربة جمالية)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2016م، ص113.

الجَمَال لغةً: الجَمَال: مأخوذٌ من المصدر(الجميل) ويُقصدُ به البهاءُ والحُسنُ، وهذا ما ذهب إليه ابن منظور. أمَّا صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر فيرى أنَّ الجَمَال واقعٌ في الصور والمعاني[1]، وهذه التعاريفُ ستساعدُ في فهم الجَمَال والتناسب الذي يسعى البَاحِث إلى جلائه في هذه الدراسة التي تُعنى بالكشف عن التناسب الجَمَالي ومستوياته في شعر الثبيْتِي.

الجَمَال اصطلاحاً: يقول أحمد ياسوف في خلاصة جامعة لمفهوم الجمال: « كل ما ترتاح إليه النفس بعد مروره بالحواس ، وذلك في الطبيعة والحياة الاجتماعية [...] بالإضافة إلى جمال الأفكار والمشاعر الذي ينسكب في الباطن،ويحدث لذة جمالية معنوية وفق طبيعة النفس الإنسانية كما فطرها الخالق عزوجل « كلُّ ما تهتزُ له الروحُ وما تَطْربُ له النفسُ فيعجبُ الرُّوح فترنُ لحسنه تعظيماً»[2]، كما أن: الجمال يكون أكثر حضوراً وجلاءً مع ما تناسب وتشاكل وتوافق على مستوى الجزئيات أو الكليات؛ فما تماثل وتناغم أغرى وجذب وما تباين واختلف نفَّرَ وأبعدَ؛ لأن الجَمَال قائمٌ على: «التناسق أو الانسجام الذي يُدركهُ العقلُ ويقدرهُ الذوقُ»[3].

ويمكننا القول بأنَّ كل ما يؤثر في حواس المُتَلقِي ومكنوناته العاطفية والوجدانية يصبحُ مرفأً طبيعياً للجَمَال ترسو معه أفئدتنا وعقولنا؛ لأنهُ قادرٌ على أن يهبنا حظاً وفيراً من المتعة والسعادة واللذة الحسية والذهنية؛ لأنَّ « القيمة الجَمَالية تحملُ طابع الإطلاق، واللامحدودية، إنَّها تقفز على المعطيات المباشرة، ولا ترتبط بالتحقق الواقعي، ولأجل ذلك فقد أصبحت

1 للمزيد ينظر: لسان العرب، مادة(جَمُلَ)، وابن الأثير، ضياء الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، [د. ط]، 2005م، ص272.

2 جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، سوريا – دمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ-1999م، ص 19. للإحاطة الشاملة بمفهوم الجمال عند العلماء المسلمين ينظر المرجع نفسه، ص 13 - 19.

3 لالو، شارل، مبادئ علم الجَمَال، تحيق: خليل شطا، دار دمشق للطباعة، [د. ط]، 1982م، ص65.

غايةً في ذاتها، وهي في هيمنتها على سائر الوظائف التي تتأدى بالنَّص الأدبي وتنفردُ بتأثيرها الذي يغذي المُتَلقِي بالمتعة لحظة إنجاز عملية القراءة»[1]. إننا لا نذهبُ بعيداً إذا قلنا إن التناسبَ الجَمَالي هو المفتاح السحري الذي يستخدمه الشَّاعر لفتح مغاليق الآخر/ المُتَلقِي؛ ومن خلال هذا المفتاح ينفذُ إلى وجدانِ المخاطب ما تطمح له الذَّات الشَّاعرة من مفاهيم ورؤى وأفكار. كل هذا لا يتأتى إلا عبر الجَمَال المعنوي والصوتي للمفردة، وتناغم الحقول الدِّلالية، وسِحرِ البيان، وجمال الصورة، وتنوع الخطاب وتعدد مستوياته.

كما توجدُ حقيقةٌ مُسلَمٌ بها بين أهل الأدب والنقد واللغة ألا وهي: « أن لكل شاعرٍ طريقتهُ الخاصة في استخدام المفردة؛ لذا ينبغي التعرف على كيفية استخدامهِ لها»[2]، ومن باب أولى معرفة مدى نجاحهِ في تحقيق التناسب الجَمَالي لتلك المفردة المختارة بوصفها أولى لبنات الخطاب الشِّعْرِي عند الشَّاعر.

وسيتبين لنا في هذه الدراسة سعي الشَّاعر الثبيْتِي إلى إحداث نوعٍ من التأثير الحسي والنفسي والوجداني عند المُتَلقِي، بإطراب أذنهِ بمستويات نغمية منسجمة ومتناغمة مع المعاني والرؤى والأفكار التي يرنو الشَّاعر إلى إيصالها للمتلقي، كل ذلك لتحريك ذائقتهُ الجَمَالية تجاه النَّص، واستيعاب رؤى الشَّاعر.

المبحث الثاني: أبرز صور التناسب الجمالي في الخطاب الشِّعْرِي عند محمد الثبيْتِي:

إن بحثنا عن مواطن التناسب الجَمَالي في نصوص الشَّاعر محمد الثبيْتِي لا يُمكن أن يتجلى دون الكشف عن الأثر الذي أحدثتهُ لغة النَّصوص الشعرية فينا باعتبارنا قارئين ومتلقين ومتذوقين للشعر، فكُلَّما منحنا النَّص متعةً وفائدةً وحرَّكَ فينا مشاعر الرِّضا والقبول والإعجاب بالتجربة الشعرية

1 مردف، سعد، شعرية الخطاب الجَمَالي والأيدلوجي في ديوان عبدالله البردوني، ص 65.
2 وادي، طه، جَمَاليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، 2000م، ص25.

الثبيْتِية بما فيها من طاقاتٍ بنائيةِ فنيةٍ وإبداعيةٍ، كان ذلك أجلى لجَمَاليات النَّص، وبيان مدى ما أحدثهُ النَّص القائم على التناسب والمواءمة بين جُلِّ تلك الطاقات الجَمَالية.

يقول الميداني: « إن آفاق الجَمَال أوسع من أن تحددَ أو تحصرَ بأطرٍ ومقاييس، ولكن يمكن اكتشاف بعض عناصر الجَمَال، وتجلياته العامة، وطائفةٍ من ملامحه»[1]، وعلى هذا رأى البَاحِث أن أبرز السمات الجَمَالية المتجلية، والأكثر حضوراً في شعر محمد الثبيْتي كانت على النحو الآتي:

أولاً: التناسب الجَمَالي المعجمي:

يُعد الشاعر محمد بن عوض الثبيْتي (ت 1432هـ - 2011م) من أبرز أعلام الحركة الشعرية السعودية المعاصرة ؛ إذ أسهم في إثراء النص الشعري الحداثي في الجزيرة العربية ؛ وذلك بما حوته قصائده من سمات فنية وأسلوبية أغنت الأدب السعودي بمضامين جمالية وإبداعية ، وأمدته بعناصر الجدة والطرافة.

يوجدُ بونٌ ما بين التناسب والتناسق أو ما يُسمى بالتماسك المعجمي؛ فالتناسب أقرب إلى علوم البلاغة والأدب منه إلى علم النحو واللغة، والتناسق والتماسك المعجمي ينزعان إلى علم النحو واللغة كونهما يهتمان بدراسة الجمل والمفردات النحوية وعلاقاتها المختلفة ويندرجان ضمن معايير النصية. كما أن علماء اللسانيات يرون أنَّ: « اختيار المفردات في عمل شعري (...) يغدو بالضرورة جزءاً من البنية الجَمَالية للعمل، ويدخلُ في علاقات معقدة مع مكوناته الأخرى وهكذا يجب أن يُقَومَ ويُدْرسَ من خلال وجْهَةِ نظر هذه المَقْصِدِيَة البنيوية»[2].

---

1 الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، البلاغة القرآنية، أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، مكتبة لسان العرب، ط1، 1416هـ/1996م، ص11.

2 خطابي. محمد، لسانيات النَّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1991م، دار البيضاء، المغرب، ص254.

إن نظرتنا إلى التناسب الجَمَالي في شعر الثبيْتِي هي نظرةٌ موجهةٌ صوب التناغمِ السّاحر للمفردات التي يعمدُ الشّاعر- فيه- إلى تكوين معجمهِ الشِّعْرِي من خلال ذلك التناغم الأخّاذ والانسجام المتآلف بين المفردات التي ينظمها في عِقْدهِ الشِّعري، وهو بهذا يكون أمام ما يسميه (أوين بارفيليد) بالمعجم الشِّعْرِي للشاعر؛ فهو عندهُ بمثابة عملية اختيار للألفاظ وترتيبها بطريقةٍ معينةٍ، بحيث تثير معانيها – أو يراد لمعانيها- أن تثير خيالاً جَمَالياً (1)، ويبقى على متذوقي الشّعر أن يحاولوا إدراك ذلك الخيال الجَمَالي الناتج عن حسن اختيار المفردة الشعرية وتوظيفها ؛ فإذا استطاعوا ذلك أدركوا أن جَمَالية اللغة الشعرية وتناسبها تُحدثُ هِزةً عميقة في وجدانهم، ووجدان المُتَلقِي/ المخاطب حال تذوقهِ لنصٍ أدبي شعريٍ أو نثريٍ، وهي في الشِّعْرِي أجلى وأوضحُ لما فيهِ من إيقاعٍ داخلي وخارجي وصورٍ وأخيلة تُطربُ وتدهشُ السامع/ القارئ. وبما أنَّ المُعجم الشِّعْرِي يُعدُّ بمثابة العتبة الأساس للولوج إلى بنية النَّص الشعري؛ فقد رأينا أن نجعله أول مستويات التناسب الجَمَالي كونهُ يُحدد ملامح البناء الفني اللغوي للتجارب الشعرية للشاعر، ويقود إلى استكشاف التناسب الجَمَالي وإدراكه في هذا الملمحِ البنائي (التناسب الجَمَالي المعجمي)، وهو، من وجهة نظرنا، يُمثلُ محطةً جَمَاليةً تتقاطرُ فيها مستويات بنائية فنية شعرية تتضافر فيما بينها لتكوّنَ البناء اللغوي الجَمَالي للنص الشِّعْرِي الذي يُمتعُ القارئ/ المُتَلقِي، ويأسرهُ بفضل حضور تلك السمات الجَمَالية المتأرجحة بين الانسجام والتناغم والتآلف. وتتحقق جَمَالية المفردة في النَّص الشِّعْرِي من كونها: « كلمةً، وليست مجرد بديلٍ عن الشيء المسمى، ولا كانبثاقٍ للانفعال، وتتجلى في كون الكلمات، وتركيبها، ودلالتها، وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد أمارات مختلفة عن الواقع؛ بل

-1OWEN BARFIELD, Poetc Diction, faber and faber, LONDON, 1952, P: 96.
وينظر: سليمان، خالد، الجذور والأنساغ، (دراسات نقدية في جديد القصيدة العربية)، دار كنوز المعرفة العلمية لنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، 1430هـ/ 2009م، ص162،163.

لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة»[1]، ولن يتأتى التناسبُ الجَمَالي للنص/ القصيدة، إلا بتحقق نوعٍ من الجَاذبيةِ التي تصْدرُ من الكلمات والجُملِ الشِّعرية المتناغمة مع الصور والأخيلةِ، والإيقاع والنغم الشعري.

إنَّ ما يسمى بالمعجم الشِّعْرِي للشاعر القائم على البنية اللغوية، يظل مفتقداً للانسجام بين مفردات النص وسياقهِ إلى أن تتدخل المهارة الفنية التي تمتلكها الذات الشاعرة؛ فتحقق التناغم والانسجام بين النص بوصفه خطابًا وبين السياق باعتباره لوحة فنيةٍ تسهم في تشكيل الرؤيا القابلة للفهم والتأويل، ومن هنا يمكن القول إنّ التناسبُ الجَمَالي المعجمي في شعر الثبيْتِي يتجلى من خلال عدة أشكال وصور منها:

الانسجام: (Coherence) هو: «التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى»[2]، ومن معاني الانسجام أنهُ « تلك العلاقات الخفية التي تنظم النَّص وتولدهُ»[3].

ولعل قصيدتهُ: (ترتيلة البدء[4]) من القصائد التي برز فيها الانسجام القائمُ على العلاقات الخفية وتحديداً في مفردةِ العرّاف التي توحي بالتنبؤ والاستقصاء والاحتمال ثم أتبعها بكلمة الرمال ليكون المقصود من ذلك أنه يضرب الرمال ليستكشف المستقبل وما فيه من أحداثٍ مغيبة.

---

1 ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي، وآخرون، دارتوبقال، ط1، 1988، ص19.

2 بحيري ،سعيد حسن، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختارللنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1424هـ-2004م، ص 220.

3 خطابي، محمد. لسانيات النَّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص2. للتوسع في مفهوم الانسجام ينظر كتاب : بحيري ، لسانيات النص عرض تأسيسي، كيرستن آدمتسيك، ترجمة إلى العربية، بحيري، سعيد حسن، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009م. ص 291.

4 الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، مؤسسة الانتشار العربي، منشورات النادي الأدبي، حائل، السعودية، ط1، 2009م، ص61-60.

قال في قصيدته (ترتيلة البدء):

جئتُ عرَّافاً لهذا الرمل

أستقصي احتمالات السواد

جاء الانسجام بين قوله الرمال والسواد من وجُودِ علاقةٍ كانت في أول الأمر خفيةً، إلا أنها تجلت سريعاً بعد إدراك أنهما يمثلان عُنصرين من عناصر القصة القرآنية القصيرة، التي جاءت في قوله تعالى:(فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١) المائدة: 31

ثم سيتوالى الانسجام ويتجلى عَبْرَ ألفاظٍ أخرى (غراباً، يواري، عورة، الطين)، وبالأخص في قوله:

تنفضُ اشتهاءات التراب

يا غراباً ينبش النار

يواري عورة الطين وأعراس الذباب

حيث تمتدُ جذور الماء.

نحن أمام تناسب معجمي يتكئ فيه الشَّاعر على قصة الغراب الذي بعثهُ الله لكي يُعلم ابن نبي الله آدم- عليه السلام- كيف يواري جثة أخيه في التراب؛ فجَمَال التناسب جاء من انسجام الألفاظ (الرمل، السواد، الترابُ، الغرابُ، مواراة العورة ، الطين ،..إلخ) ، ومعظم هذه الألفاظ مستلهمةٌ استلهاماً فنياً من القرآن الكريم، وقد وظَّفَهَا الشَّاعر في النَّص توظيفاً فنياً زاد من جَمَال التجربة شكلاً ومضموناً؛ فالمتأمل في قوله: اشتهاءات التراب يُدرك جمال الاستعارة المكنية حيث حَذَفَ الشاعرُ المُستعار منهُ(الإنسان) وأتى بشيء من لوازمه (الاشتهاء) ، وكذلك قولهُ: عورة الطين؛ فقد حُذف المستعارُ منهُ(الإنسان) وجاء بشيء من لوازمه (العورة) على سبيل الاستعارة المكنية، فإسناد الاشتهاء والعورة إلى الطين وهو جمادٌ، والأصل أن يسندهما إلى كائنٍ حيّ.

كما أن التناسبَ الجَمَالي نشأ من تناسب نظم الكلمات السابقة في موقعها السياقي المتقارب والمتتابع؛ فجاءت الكلمات القرآنية أو المرادفة لها (يواري، عورة، الطين، ينبشُ، ..) بعد ذكر الغراب أحد العناصر الرئيسة في القصة القرآنية لابني آدم (هابيل وقابيلُ).

أمَّا في قصيدة (تغريبة القوافل والمطر)؛ فيتجلى التناسبُ الجَمَالي في معجم القصيدة من خلال اعتمادها على معاني البادية اعتماداً واضحاً؛ فقد قاد هذا الاعتماد إلى ظهور التناغم بين معاني البادية ومشاعر الشَّاعر أثناء البوح برؤاه البَاحِثةِ عن الوطن الحُلم / الوطنُ المنتظر.. الوطن الذي عَبَّرَ عنه الشَّاعر في عددٍ من الأسطر الشعرية المتناغمة في بنيةٍ تكراريةٍ متناسقةٍ قائمةٍ على الجملة الطلبية التي جاءت على النحو الآتي:(صُبَّ لنا وطناً في الكؤوس.. يدير الرؤوس، ورتِّل علينا هزيعاً من الليل والوطن المنتظر، وصُبَّ لنا وطناً في عيون الصبايا، فَرتِّلْ علينا هَزيْعاً من الليل والوطن المنتظر)

قال الثبيْتِي في قصيدته (تغريبة القوافل والمطر[1]):

أدرْ مهجة الصُبْحِ
صُبَّ لنا وطناً في الكؤوس
يديرُ الرؤوسْ
وزدنا من الشاذليةِ حتى تفيءَ السحابةُ
أدر مهجة الصبحِ
واسفح على قللِ القومِ قهوتكَ المرةَ
المُستطابة
أدرْ مهجة الصبح ممزوجةً باللظى
وقلِّبْ مواجعنا فوق جمر الغضا
ثم هاتِ الربابة
هاتِ الربابة

1 الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، ص 97.

[...]

إلى أن يقول في ختام القصيدة:

يا كاهن الحيّ

طال النوى

كُلَّما هلَّ نجمٌ ثَنَيْنَا رِقابَ المُطيّ

لتقرأ يا كاهنَ الحيّ

فرتلْ علينا هزيعاً من الليل والوطن المنتظر.

لقد شحنَ الثبيْتي قصيدتهُ هذه بعددٍ غير قليل من المفردات والمعاني التي يرى أنّ بينها نوعُ تناسبٍ وانسجامٍ، وكثيراً ما تستخدم في حياة البادية، وهذا الاستدعاء الفني للمفردات وشّى بجَمَاليةِ المكان / البادية الذي يتخذه الشَّاعر وطناً مؤقتاً يُحسُ فيه بالأمان والراحة والنشوة. وفي البادية يحلو لهُ الحُلم بالوطن في مهجة الصبحِ، وعند فيء السحابة يكون للقهوة الشاذليةِ طعمٌ آخر بصحبة كاهن الحيّ.. ويكون الوطن الحلمُ كترتيلةٍ كنسية يرتلها كاهن الحي. لقد أحدثت هذه القصيدة ضجةً نقدية وهزاتٍ ارتدادية على الشاعر الثبيتي؛ بسبب ما حوته القصيدة من إشارات وإيحاءات رمزية وأسطورية حُملت فوق طاقتها بسبب الغموض الفني الذي صاحب هذه القصيدة وفتح المجال أمام التأويل النقدي والديني على مصراعيه.

التكرار: ونعني بهِ تحديداً تكرار الكلمة الذي يفضي الى توكيد مقصدية المفردة ذاتها، فهو بمثابة تكرار ترادفي يقوي المعنى ويزيد من جَمَاليات التناسب في النَّص الشعري. ويكثر حضور التكرار لمفردات وتراكيب بعينها عند الثبيْتي؛ وقد أدْرَكَ هذا بعض الدَّارسين لشعر الثبيْتي[1]؛ ففي قصيدة (تغريبة القوافل والمطر) التي سبق أن أشرنا فيها إلى تكرار قوله:(أدر مهجة

1 للمزيد ينظر: الشمري، زيد دبيان غلب، الثبيْتي شاعراً، رسالة دكتوراه، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤته، الأردن،2014/، ص 149 - 167، وينظر: عيد، عاطف عبدالعزيز، التماسك النَّصي.. في شعر الثبيْتي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد32، 2015م، ص 78 - 79.

الصبح خمس مراتٍ في القصيدة)، وفي القصيدة نفسها وجدناهُ يكرر تراكيب أخرى مثل قوله:(أيا كاهن الحي) كرَّرهُ سِتُ مراتٍ، وكرَّرَ قولهُ: (سلامٌ عليكم) سبع مراتٍ، هذا التَّكرارُ التَّصَاعُدي يوحي بمدى تعلُّق الشَّاعر بفكرة المُخلِّصِ (كاهن الحي)، وقُدرته على منح الشَّاعر وطناً منتظراً تخمَّرت صُورتهُ واكتمَلت في وعي الشَّاعر ورؤاهُ؛ فهو ما فتئ يَحلمُ به ويرتحلُ ويغتربُ بحثاً عنهُ. يقول الثبيْتي:

أيا كاهن الحي
إنا سلكنا الغمامَ وسالت بنا الأرضُ
وإنا طرقنا النوى ووقفنا بسابِعِ أبوابها خاشعين
فرتل علينا هزيعاً من الليل والوطن المنتظر.[1]

يختم الشَّاعر قصيدته بالجملة الطلبية التي كررها مراراً في أكثر من مقطعٍ في القصيدة ليؤكد حقهُ وحاجتهُ إلى الاستقرار والخلود في الوطن المأمول / المنتظر الذي لا وجود له إلا في عالم اللاوعي/ عالم المُثل. ويستخدم الشَّاعر الثبيْتي التكرار اللفظي مع لفظٍ معينٍ شَكَّلَ نقطة ارتكازٍ في القصيدة؛ فالمقاطع والأسطر الشعرية مشدودةٌ إلى هذا اللفظ ومتناغمةٌ مع ما يمتلكه هذا اللفظ المكرر من إشارات رمزية وإيحاءات، ومن الأمثلة على ذلك تكرار لفظ (عينيك) سبع مراتٍ في قصيدة:(عيناك .. وألوان الطيف[2]) قال فيها:

لعينيكِ
أبحرتُ عبر فصول الخريف
وسافرتُ في جسد الليل
والليلُ جرحٌ يُجيدُ النزيف
[..]
لعينَيّكِ أنتِ

1 الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة ، ص97.
2 المصدر نفسه، ص 235.

قدّمنا فلول غزاةْ
نشقُ جبين الخطرْ
لنفتح للعشق دنيا جديدةْ
ونعشقُ عينيّكِ
لا- بل سنقتُلُ عينيكِ عشقا_
ونفنى بعينيكِ.

ينطوي هذا التكرارعلى جَمَاليات تتعلق بجَمَال المخاطب (عينُ الحبيبة) الذي وشت به أفعال الشَّاعروتضحياته في سبيل هذه العين؛ فالشَّاعر أبحر عبرفصول الخريف، وسافرفي الليل، وقدّم فلول الغزاة، وشق جبين الخطر.. ليفتح للعشق دنيا جديدة.. إلخ)، لم ينتهِ جَمَال التناسب التكراري للَّفظ (عينيك) –هنا- بل يرى البَاحِث أن التكرار العددي يحمل جَمَاليات تناسُبيةٍ أخرى تمثلت في تناسب عدد التكرارات لكلمة عينيك – التي شكَّلت الشَّطر الأول من العنوان- مع عدد ألوان الطيف السبعة (التي شَكَّلت الشَّطر الثاني من العنوان).

ج- **التوازن الصوتي:** هو: «تفاعل عنصرين صوتيين أو أكثر في فضاء النص الشعري»[1]، كما نعني به تساوي الأسطر الشعرية وانتظامها وتناسبها في النص الشِّعري من حيث حضور وتوالي الكلمات والجمل بما في ذلك أدوات الربط؛ فتأتي الكلمات والتراكيب اللغوية في الأسطر الشعرية المتتالية مُتحاذيةً ومتقابلةً مع بعضها اللاحق منها يتوازن ويتحاذى مع السابق مُشكِّلَةً بذلك نوعاً من النغم الجمالي القائم على التوازن والتقابل بين الأسطر الشعرية. والتوازن: هو العنصر الرئيس الذي يقوم عليه الجمال، ولا يمكن أن يحدثَ التوازنُ إلا بحدوث النِّظامِ، علماً بأنَّ هذا النظام المقصود يقومُ على التناسبِ في توزيع البنى الكلامية والتراكيب اللغوية- في النص الشعري

1 العمري، محمد، اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي، مساهمة تطبيقية في كتابة تاريخ الأشكال، منشورات دراسات سال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، [د. ط]، 1990م، ص6.

– بما يُحدثُ التوازن الذي تسكنُ إليه النَّفسُ ويمنحُها الشعورُ بالجمال[1].

وسنرى حرص الشَّاعر الثبيْتِي على توظيف المفردات المتجانسة والمتآلفة وفق حاجة السياق الشِّعْرِي إليها، وحاجة النَّص إلى هذه البِنيةِ اللُّغوية القائمة على التوازن الصوتي، وكلُّ ذلك الحرص جاء لتحقيق التلاحم المعجمي أو ما نسميه في هذا البحث التناسب المعجمي.

ففي قصيدة الثبيْتِي (الرُّقيةُ المكيةُ) نلمحُ جَمَال التناسب المعجمي من خلال تقابل وتوازن مفردات؛ بل وجمل متسقة ومتتالية جاءت في هيئة الجمل الفعلية المكونة من الفعل الماضي والفاعل (التاء/الضمير المتصل) والمفعول به وشبه الجملة. قال الثبيْتِي:

فسقيتُ روحي سلسبيلاً من منابع مائها
ونقشتُ اسمي في سواد ثيابها
وغسلتُ وجهي في بياض حيائها
وكتبت شعري عند مسجد جِنّها
وقرأت وردي قُربَ غارِ حِرائها.[2]

ولا يخفى في هذا النص جمال المفردات الدينية المرتبطة بقداسة مكة المكرمة والتي توالى ذكرها في السياق الشعري الممتلئ بعشقها وسلسبيل مائها (زمزم)، وسواد ثيابها(الكسوة الشريفة)، وبياض حيائها إشارة إلى (صحن الحرم) الذي تتوسطهُ الكعبة الشريفة، ومسجد الجن في حي (محبس الجن)، وغار حراء ..كل هذا وشى بجمال التناسب والانسجام بين المفردات من جهة وبين جمال مناجاة المكان المقدس/مكة المكرمة.

ثانياً: التناسبُ الجَمَالي الصوتي للمفردة:

يتأتى التناسب الجَمَالي الصوتي من جَمَال اللغة الإبداعية التي يُبدعها الشَّاعر فيجعلها «تزدان بنفسها حتى تنهض باللعب بألفاظها، وحين تعمدُ على

1 ينظر: الحوطي، غادة بنت عبدالعزيز، التوازنُ معيارٌ جمالي، الناشر: عبدالمقصود خوجه، جدة، ط3، 1421هـ، ص94.
2 الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، ص304.

الاعتمادِ بأصواتها، تُكونُ لوحاتٍ لغوية، أساسها الصوت المعبّرُ، فتَتَسِمُ بِكلِّ سمات الجَمَال الفني الذي يجعلُ المُتَلقِي حين يقرأ أويسمعُ ، ينبهرُ، ويندهشُ، لهذا الجَمَال الطامحِ الذي تفرزهُ أصواتُ اللغة، فتستحيلُ هذه الأصواتُ بما فيها من سحرِ البيان، وفرط الجَمَال إلى لوحاتٍ شعرية مؤنقة.»[1] ويتجلى هذا النوع من التناسب الجَمَالي، في النَّص، عبر صياغةِ الموضوع الشِّعْرِي أو الموقف، فلا غرابة أن تظهر الأصواتُ الهادئةُ او الضعيفة/ الخافتة في النَّص الوجداني أو العاطفي، أو أن تأتي أصوات الشدةِ والتفخيم والاستعلاء في النَّصوص الحماسية أو الحجاجية.

هذا؛ لأن للحروف أو ما يسمى بالوحدات الصوتية خصائص فنية وسمات إبداعية قادرة على إرهاف سمع المُتَلقِي/ القارئ، وجعلهِ يتتبعُ إسهامها في تشكيل البنية الصوتية والدِّلالية وجَمَال ما ترمز إليه من رؤى ومعانٍ؛ ناهيك عن أثرها النغمي والموسيقي عندما تحضر في صورة نمطٍ جَمَالي ماتعٍ. وقد حضر التناسب الجَمَالي الصوتي في ملامح فنيةٍ عديدة لعلنا نكتفي بذكر أكثرها حضوراً وجلاءً، وهي على النحو الآتي:

تكرار حرف بعينهِ:

إن تكرار حرفٍ بعينه ما هو إلا تكرار لصوته، ولا يأتي تكرار صوت الحرف عبثاً في قصائد الشُّعَراء الكبار، بل تأتي به الموهبةُ والذائقة الشعرية الجَمَالية التي يتمتعُ بها الشَّاعر؛ ليحقق نوعاً من الجَمَال الصوتي في القصيدة، وليس ذلك فحسب ؛ بل لتأكيد فكرةٍ ما جاءت في سياق النَّص، وهو ما يعرف بالرمزية الصوتية وهذا ما نجدهُ في شعر محمد الثبيْتِي ، من ذلك تكرار صوت (الجيم) في أكثر من قصيدة منها على سبيل المثال لا الحصر (سألقاكِ يوماً، المُغني، تقاسيم، ..إلخ) قال الثبيْتِي في قصيدته: (سألقاكِ يوماً)[2]:

1-مرتاض، عبدالملك، قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر العربي المعاصر، ط1، الجزائر، منشورات القدس العربي، 2009م، ص166.

2- الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، ص135

وأعلم أنك ِهاجرتِ في ذاكرة الرمل
أزمنة وعصوراً
تعُبّ لهاثَ الهجير
ولم تتعود شرب الهزيمة
أعلم أنكِ شبتِ على الطوق
غامرت في حلبات التحدي
صرتِ وعوداً تُثير الغضب
وصرت وجوداً يُحركُ في الليل
أفقاً جديداً
ويخفقُ أجنحةً من لهب.

أحدث تكرار صوت الجيم_ (12) مرةً _ في القصيدة تناسباً جَمَالياً من خلال الرنةِ التي أحدثها جرس صوت الجيم، وذلك ناتجٌ من صفة (الجهر) التي يتصف بها وبين كونه حرفاً من حروف القلقة التي لها قرعٌ خاص يزيدُ من جَمَالية الصوت أثناء النطق به. كمَا يحْضُرُ الجَمَال الصوتي في قصيدة (قرين)[1] عبر النغم الصوتي الذي أحدثهُ تكرار صوت اللام والكاف؛ فقد تكرر تلازمهما إحدى عشرة مرة في النَّص، وشكل حضورهما باعتبارهما قافية أو فاصلة شعرية نوعاً من التناسب الجَمَالي الصوتي؛ فقد أحدثا جرساً موسيقياً ونغماً موزعاً في مواضع مختلفة من القصيدة .. قال الثبيْتِي:

لي ولكْ
نجمتان وبرجان في شرفات الفلك
ولنا مطرٌ واحدٌ
كُلَّما بلَّ ناصيتي بللكْ
سادران على الرَّمس نبكي
ونندبُ شمساً تهاوتْ

1-الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، ص 39-37.

وكلانا تغشتهُ حُمَّى الرِّمالِ
فلم يدرِ أيَّ رياحٍ تلقَّى
وأيَّ طريقٍ سلكْ..
فرقتنا النوى زمناً
ثُمَّ لمَّت شتات نوانا
على بقعةٍ من حلكْ
قلت لي:
هيت لكْ
هيت لكْ
سرتُ خلف خطاكَ أجرِّرُ خطو المساكينِ
لم أسألك..

المقطعان الصوتيان المكرران (هيْ) لهما حضور لافت في البنية الصوتية؛ فالهاء المهتوت عبّرعن سرعة انجذاب الطرفين وهي صورة جمالية مستوحاة من سورة يوسف عليه السلام للتعبير عن داعي إغراء امرأة العزيز للنبيّ يوسف عليه السلام.

أمَّا الصوتانِ: (اللام والكاف) فقد تلازما في مواضع غير القافية؛ وحضرا في بداية الأسطرِ الشِّعرية التي بدأت بقوله:(كُلما، كلانا، ولكنني). هذا الحضور جاء ليزيد من التناسب الجَمَالي الصوتي من جهة وليشي بمدى تعلق تلازم الذَّات الشَّاعرة بالقرين الذي فُتِنَ الشَّاعر بجَمَاله فخاطبه في نهاية القصيدة بقوله:

لكنني حين أبصرتُ عينيكَ
رَدَّدْتُ:
لله ما أجملكْ.

ومن ملامح الجَمَال الصوتي ظهور ما يسمى بالتوازي اللفظي/الكتابي الذي نعني به التشابه الذي يكون بين لفظين أو أكثر دون أن يكون بين هذه

الألفاظ المتوازية شبه معنوي أو دلالي إلا أن هذا التوازي أو التوالي لهذه الألفاظ شكّل سمةً جَمَالية برز فيها تناغم المفردات بين بعضها من جهة؛ وبين بقية العناصر البنائية في النَّص الشعري، ولطالما قصد الشُّعَراء إلى استدعاء وتوظيف كثيرٍ من المؤثرات الجَمَالية كالتوازي، والإيقاع، والجناس، والنغم الصوتي ..وغيرها من المؤثرات الجَمَالية المرتبطة بالنغم أو الفونيم للحرف والمفردة؛ بغية تحقيق متعة فنية وجَمَالية. فالتوازي اللفظي هو: « تكرارٌ يحدثُ في البنية النحوية مع اختلاف محتوى هذه البنية»[1] وهذا التوازي التكراري هو واحدٌ من كثيرٍ من المؤثرات الصوتية الجَمَالية التي يتقن الثبيْتِي توظيفها في نصه الشِّعْرِي الحديث.

يشحذ الشَّاعر الثبيْتِي أدواته الصوتية في نصوصه الشعرية ليأسر قلب المُتَلقِي بجَمَال النَّص من خلال تنميق نصهِ الشِّعْرِي وتزيينهِ بتلك الأدوات الفنية الصوتية البديعية كالسجع والصقل والتنميق كونها أدوات كاشفة للجَمَال النغمي / الصوتي للمفردة. « ولمّا كانت القصيدة بنيةً موسيقية متكاملةً كان من الطبيعي أن يلتفت الشَّاعر في تشكيله لهذه البنية إلى العناصر التي تحققُ التآلف بين مفرداتها [2]»، وهذا التآلف الذي ذكره الناقد إسماعيل عزالدين نراهُ (تناسباً صوتياً)، وهو جزءٌ من الإيقاع الصوتي وفيه تقاربٌ مع ما يُطلق عليه بـ(التجانس الصوتي) أو (التوازن الصوتي) في النَّص الشعري.

-وسنعرض بعض النماذج الشعرية لنرى كيفَ يتنقلُ الثبيْتِي بين فراديس الجَمَال الصوتي القائم على التوازي التكراري؛ فحيناً يضعنا على عتباتِ تلك الفراديسِ وأحياناً أخرى يُحلِّقُ بنا إلى أعلى فردوسٍ نغمي يحسنُ فيه اكتمال المُتعة السَّماعية أو التذوقية لنصه الشِّعْرِي المتناسب صوتياً. كما في قصيدته:

1- مناع، عادل/ نحو النَّص: اتجاه جديد في دراسة النَّصوص اللغوية، مصر العربية للتوزيع: القاهرة، 2011م، ص216.

2-عزالدين، إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط7، 1431هـ/2010م، ص60.

(المُغني)([1])التي قال فيها :

للقصيدةِ بحر طويلٌ وليلٌ طويلٌ ودهرٌ طويلٌ

إلى أن يقول: [...]

أبتكِرُ للدماء صهيلاً

تَدثَّرْ بخاتمةِ الكلماتْ

بالبخور الذي يتناسلُ في الطرقاتْ

أبتكِرُ للرماح صبوحاً

دماؤك موغلةٌ في القناديل

وجهكَ منتجعٌ للغاتْ

أبتكِرُ للطفولة شكلاً..

كتابا تطارحهُ الخوف،

تقرأ فيه محاق الكواكب،

تكتبُ فيه حروف الندم

أبتكر للطفولة عُرساً تُعلِّقُ فيه المأتم

واللُّعبَ الورقية.. والأغنيات.

إن جَمَال التوازي الصوتي في الأسطر المختارة لا يخفى على ذي ذائقة فنية، فقوله: (بحر طويلٌ، وليلٌ طويلٌ، ودهرٌ طويل) وقوله: (أبتكِرُ للدماء صهيلاً، أبتكِرُ للرماح صبوحاً، أبتكِرُ للطفولة شكلاً..، أبتكِرُ للطفولة عُرساً)، ولا ريب في تحقق التناسب الجَمَالي في هذه الأسطروغيرها من الأسطر التي تشكَّلت بنيتها الصوتية من اللفظ المكرر (أبتكِرُ) واللفظين المجاورين المتطابقين نغمياً وإعرابياً ومختلفين دلالياً. كلُّ هذا كان له وقعهُ الجَمَالي على بنية النَّص الفنية من جهة وعلى أُذن السامع ووجدانه من جهة أخرى؛ فالجرس الموسيقي المتولد والمنبعث من الألفاظ المكررة والألفاظ المتجاورة - التي أشرنا إليها – زادَ من درجة الإيحاء والدلالة وجسّد مبتغى الشَّاعر

1-الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص60.

ومراده، وهذا أيضاً ما كان ليتأتى لولا تمكُّن الشَّاعر الثبيْتي مما يسمى بلاغياً بحسن الموقع[1].

ومن هنا نستطيعُ القول بأن جَمَال المفردة الشعرية (الجَمَال الصوتي) يظهر، من خلال موقعها الفني ضمن سياقها البنيوي وحضورها الجَمَالي، وعبر مستويات وملامح وأدواتٍ فنيةٍ مختلفة كالجرس الصوتي والإيقاع والإيحاء والعمق الدِّلالي الخاص بها.

ثالثاً: التناسب الجَمَالي الإيحائي للمفردة.

يتجلى الجَمَال الإيحائي القائم على التكثيف المعنوي للمفردات الشعرية عبر تشكيل عالمٍ من الاندماج والترابط بين الألفاظ ودلالاتها الإيحائية والمعنوية الجديدة، كما أنَّ هذا الجَمَال الإيحائي لا يتأتى إلا بحُسنِ بناء السياق الشِّعْرِي الذي وضعت فيه المفردة؛ فيبرزُ جَمَالها الإيحائي من خلال إشعاعاتها الجديدة وهي في موضعها الجديد الذي ظهرت فيه انزياحيةُ اللغة، متجاوزةً لمعناها المعجمي النمطيّ القار، والثابت.

والجَمَال الإيحائي قائمٌ على اختيار الشَّاعر لألفاظٍ قليلة توحي بمعانٍ قريبة وبعيدة، بل ربما لتوحي برؤى مستقبلية يرمي الشَّاعر الإشارة إليها ولو من بعيد عبر تقنيات فنية حديثة كالرمز والقناع وغيرهما.

إنَّ الخطاب الجَمَالي الإيحائي يتجلى في كونِهِ « يصوغُ مضموناً معيناً بشكل داخلي، وبدون الرجوع إلى صورٍ خارجية، أو إلى تناغمٍ معينٍ، وعبر ذلك؛ فإن الشعر يُحوِّلُ الموضوعية الخارجية إلى موضوعية داخليةٍ تدفعُ بها الرَّوحُ إلى الخارج بهدف التمثيل، وذلك في الصورة نفسها التي توجدُ عليها

1- أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين كلاماً للهندي عندما سئل (ما البلاغةُ؟) فقال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحُسن الاشارة، وقال مرة: التماسُ حُسن الموقع «. للمزيد ينظر: البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، [د. ط]، [د. ت]، ج1/ ص 116.

داخل الروح»[1]، لأن من خصائص الشعرية الجَمَالية للمفردة الإيحائية أنَّها هَالةٌ فنيةٌ متولدةٌ عن « حقلِ أفكارٍ تتجمعُ فيه كل العوالم المرئيةِ والمعيشة، الواقعية والمتخيلة»[2]، وكل هذا المزيجُ المتعدد والمتأرجح بين ما هو حسيٌّ وما هو روحيٌّ يُسْهِمُ في اكتمال الجَمَال الإيحائي للمفردة الشعرية بشكل خاص، وفي التجربة الشعرية بشكلٍ عام.

ومن النماذج الشعرية التي ظهر فيها الجَمَال الإيحائي للمفردة قصيدةُ (يا امرأة)[3] التي قال فيها:

وأَعْلَمُ أنَّك هاجرتِ في ذاكرة
يا امرأة
بيننا قدحٌ صامتٌ
كيف أعبر هذا الفضاء السَّحيق
لكي أملأهُ

لنتأمل قولهُ (بيننا قدحٌ) هاتان المفردتان لا تقفان عند دلالة ظرف المكان وضمير المتكلم (بين+ نا) وبين قوله قدحٌ / إناءٌ فارغ؛ بل هما يوحيانِ بمدى الحُبِّ والتعلق بين الشَّاعر والمرأة / الحبيبة؛ فالقدحُ هنا هو الوعاء الوجداني الذي يتموضعُ بين الشَّاعر ومحبوبته، والحيزُ المكاني الذي يشغلهُ القدحُ هو(الفضاء الواسع/ السحيق) الممتد بين الأرض والسماء، ثم نجدُ الشَّاعر يرسلُ سؤاله المملوء حيرةً عن كيفية ملء هذا الوعاء الوجداني/ القدح بمشاعر الحُب والعشق والولهِ تجاه المحبوبة، وعلى هذا فالقدحُ –هنا- لم يعُدْ ذلك الإناء الجامد الذي يُملأ بالمحسوسات من السوائل المختلفة؛ بل صار إناءً معنوياً لا نستطيعُ إدراك حجمه وسعته، وفي قوله قدحٌ صامتٌ صورة بديعة

1- كريستوفا، جوليا: علم النَّص، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات تويقال، الدار البيضاء (د.ط)، 1991م، ص10.

2-النَّصير، ياسين، غير المألوف في اليومي والمألوف، بحث في سيكولوجيا الشعرية، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2012م، ص95- 96.

3-الثبيْتِي، الأعمال الكاملة، ص43.

تتجلى في اختزال عالم الصبابة والكلف والعشق في إناء صامت صُبت فيه كل مشاعر الحب؛ فأضحى هذا القدح عالما رحيباً لعلاقة وجدانية بين الشاعر ومحبوبته.

ويحضر التناسبُ الجَمَالي الإيحائي في حُلةٍ فنية أخرى للثبيتي هي قصيدة (أسميك فاتحة الغيثِ أم هاجس الصحو)[1]، وفي هذه الحلُّةِ الجديدة يوظف الشَّاعر أسلوب النداء من جديدٍ ولكن ليس بالمعنى السطحي للنداء، ولكنهُ نداءٌ يُوحي بمناجاةِ المرأةِ والتبتُّلِ بين يديها وفي حضرتها، دلّ على ذلك حضور مفردات عدة منها: (تكادُ تخامرني لهجة الموت، أرثيكِ، أرثيكِ ، أرثيكِ، أمارس فيك شعائر حزني، أسميك فاتحة الغيث أم هاجس الصَّحوِ، أُسميك قارئةَ الرَّمل..)، وفيها يكرر نداءهُ لها بقولهِ (يا امرأة) خمس مراتٍ، وهو في مناجاته لها يسألها ويكرر السؤال (ماذا أسميك) مرتين، ويجيبُ نفسه بنفسه مباشرةً (أسميك فاتحةَ الغيث أم هاجس الصَّحوِ، أسميك قارئة الرَّمل ، عرّافة العشق)، حضر أسلوب النداء في شكل مناجاة وتكفّل الشَّاعر بالإجابة عن تساؤلاته، كما وشى بحرارة الحزن الذي يَعصفُ بالشَّاعر من جهةٍ ولفتَ نظرنا إلى الانسجام النفسي والرضى الروحي عن المحبوبة؛ فالشَّاعر لم يكلِّفها عناء الرَّد على أسئلته المبثوثة في النَّص بل أجاب هو بالنيابة عنها. قائلاً:

تكادُ تخامرني لهجةُ الموتِ
أرثيكِ
يا امرأة ثكلتك المسافات
يا امرأة قلت للبحرِ يوماً:
تعال أكبدكَ الزمن المستحيل
وللريح قلتُ:
تعالي أمارسُ فيكِ شعائري حزني
وحزن القصيدة..

1- الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص307-305.

إلى أن قال: [...]

ماذا أسميكِ

يا امرأةً بين عينيكِ واللغة المستحيلةُ

تجنحُ بالسندباد المحيطات

ماذا أُسميك

يا امرأة يتقاسمك الموجُ

والهذيان

أُسميك

فاتحة الغيث

أمْ هاجس الصَّحو

يا مزنةً أوجزت صخب العشب

وافتتحتْ للهواجرِ ظلاً

أُسميكِ

قارئة الرَّمل

عرَّافة العشق.

كما تجلى الجَمَال الإيحائي، أيضاً، من خلال قوله: أرثيكِ التي كررها ثلاث مراتٍ في مواضع متفرقة من القصيدة لتتناسب إيحائياً وجَمَالياً مع لفظة الموت التي وردت في مطلع القصيدة في قوله: تكادُ تخامرني لهجةُ الموتِ، وتتناسب إيحائياً مع مفردات أخرى توحي بالحزن والألم الذي سببه رحيل الحبيبة من هذه المفردات والعبارات قوله:(ثكلتك، شعائر حزني، حزن القصيدة، يتدحرج حُزنك حين تداهمهُ صبوة الكأس..) هذه الكلمات والعبارات التي وشت بفقد الشَّاعر لمحبوبته؛ فلم يكن حضورها في النَّص الشِّعْرِي حضوراً عبثياً؛ بل وظفها الشَّاعر لتكون لبناتٍ فنية وإيحائية أوحت لنا بوفاة محبوبته مع أن الشَّاعر لم يشر إلى وفاتها صراحة أو عبر تعقيب في مقدمة القصيدة أو في هامشها. كما نلحظ صورة إيحائية في جو الإحياء

والانبعاث الذي تمثله المحبوبة (يا مزنة أوجزت صخب العشب)؛ فالمزن هو الغيث الخفيف الذي يعبّرعن حالة من الخصب والحياة.

فالجَمَال الإيحائي يتجلى عبرَ حضور تأويلات ورؤى شعرية متعددة للمفردة الإيحائية داخل النَّص الشعري، تتجاوزُ وعي الشَّاعر الشعوري والعقلي إلى فضاءات واسعة ليس من السهل إدراكها من قِبَلِ كثيرٍ من الشُّعَراء ومتذوقي الأدب؛ فضلاً عن أن يُدركها المُتَلقِي؛ لأننا حينها نكون أمام نصٍ يحتاج القارئ معه إلى التأويل الموحي لفك شفرات النَّص ورموزه وصوره المغلفة بشيء من الغموض.

ويتجه الشَّاعر الثبيْتي عبر مفرداته الإيحائية – في بعض نصوصه الشعرية – إلى التخلي عن اللغة الشعرية المكشوفة (لغة البوح) إلى لغة استكشافية تحاول فض بكارة المعنى وكشف ستاره وحجابه، وذلك عبر تأويله وتفسيره بما يتناسبُ مع سياق النَّص وجوه العام.

لقد رأينا أن الشَّاعر يعمدُ إلى ضخ طاقات شعرية داخل تجربته الشعرية لتعينهُ على إيصال رؤاهُ الفكرية والإنسانية إلى المُتَلقي في نص فني يحتاجُ إلى التأمل في المفردة ذات الطابع الإيحائي التي» تتأسس على مغريات الحدث الشِّعْرِي، وفاعلية الصورة وموسيقاها الضِّمنية، مما يجعل الكلمة تستحوذ على جَمَالياتها الخلاقة ضمن نسقها الشِّعْرِي المتآلف ومعناها الشَّاعري العميق؛ فللكمة نبرتها الصوتية وإيقاعاتها البليغة في استجرار الدلالات العميقة»[1].

ونحن نتتبع جَمَال المفردات الوجدانية ذات الطابع الإيحائي في شعر الثبيتي نُدركُ أن «الذي يُهمُ الشَّاعر الوجداني قبل كلّ هذا أن يجد اللفظة التي تنسجمُ انسجاماً طبيعياً، مع ما يُحسُ به داخل أعماقه»[2]؛ فالشَّاعر

1- شرتح، عصام، اللغة واللذة الشعرية عند وهيب عجمي، (دراسة تأسيسية في جَمَاليات اللغة الشعرية)، دار الخليج، الأردن، ط 1، 2019م، ص 165.

2- ناصر، محمد: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص317.

يعيشُ آلام المخاض النَّصي بصحبةِ نصهِ المُتخلق، قبل ولادة النَّص ولا تتوقف آلام الشَّاعر ومعاناتهُ إلا باكتمال ولادة النَّص المنسجم والمتناغمِ إيحائياً ووجدانياً، دون أن يعوزهُ الجَمَال الفني والإبداعي.

وقد حضر التَّناسب الجَمَالي الإيحائي في شعر الثبيْتي من خلال خصوبة المفردة الإيحائية داخل سياقها الشِّعْرِي عبر توليدِها للرؤى الخلابة التي كانت تثيرُ فضول المُتَلقِي وتَرُوعُ مسامعهُ وتخلبُ لبهُ.

رابعاً: التناسبُ الجَمَالي الدِّلالي للمفردة: هو: ائتلاف الألفاظ بالمعاني التي تناسبها، وهذا التناسبُ يشبهُ إلى حدٍ كبيرٍ ما يسميه البلاغيون بـ(الإرصاد) الذي يُعِدُّ فيه المتكلمُ أول الكلام لآخرهِ، والسامعُ رصدَ ذهنهُ لعجز الكلام بما دلَّ عليه ما قبلهُ[1]. ويستطيع الشَّاعر تحقيق الجَمَال الدِّلالي من خلال توظيفهِ لكلماتٍ تساعدُ في توضيح المَقْصِدِيَة الدِّلالية وفي إلباسها حللاً جَمَالية تؤنقُ المعنى، وتضيفُ جَمَال المعنى إلى جَمَال اللفظ؛ فينتجُ عن ذلك رضى المُتَلقِي/السامع، وهذا هو الأثر الذي حدث من خلال التناسب بين عذوبة اللفظ وجَمَال الدلالة (المَقْصِدِيَة).

والتناسب الدِّلالي من وجهة نظر البَاحِث منبثقٌ من جلاء ووضوح العلاقات المعنوية والدِّلالية للمفردات والجُمل المُكونة للنَّص ضِمْنَ سياقِ البوحِ الشِّعْرِي لا المعجم اللغوي، وإذا ما تمكن الشَّاعر من تحقيق الترابط بين مكونات النَّص اللفظية والمعنوية بمدلولاتها الجديدة؛ فهو بهذا الأداء يكون قد منح القارئ نصاً شعرياً لا يعوزه الجَمَال الدِّلالي.

ويدركُ المتتبعُ للألفاظ والتراكيب التي يستخدمها الشَّاعر الثبيْتي أنهُ يقصدُ إلى تحقيق قدرٍ كبير من الوظيفة التوصيلية لتلك الألفاظ والتراكيب ضِمنَ معانيها المباشرة التي لا تُكلِّفُ المُتَلقِي عناء الغَوصِ في المَقْصِدِيَة التي يرمي إليها الشَّاعر، وهو مع هذا يحاول أن يظل الملمح الجَمَالي حاضراً في ثنايا

1- ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير، تحقيق: مصطفى جواد، وجميل سعيد، العراق، [د. ط]، 1956م، ص340.

النَّص من خلال حسن التجاور بين الألفاظ المتقاربة والمتألفة دلالياً؛ فنحن نجد الشَّاعر الثبيْتِي في قصيدته (برقيَّات حُبٍ ..إلى غائبة)[1] يحدثنا عن لفظ (المجيء) بألفاظ وصور مختلفة؛ لكنها متناغمة ومنسجمة نلمح التناسب الجَمَالي الدِّلالي في حضورها المتعدد داخل النَّص؛ فقد أشار إلى المجيء بتكرار قوله (أجيءُ إليكِ) ثماني مراتٍ في القصيدة ، وجاء بقوله(أجيء) خمس مراتٍ دون إضافتها إلى شبه الجملة(إليك)، وجاء بألفاظ تتناسب وتترادف دلالياً مع معنى المجيء مثل قوله:(أشق إليك ، أرِفُّ إليك، أهمي..)، كلُّ هذا يدلُّ على تعلقِ الشَّاعر بمحبوبتهِ الغائبة، قال فيها:

أجيء إليك.. مُخبّأ مُخبّأً
أجيء إليكِ
ولي بين نهديكِ
بيتاً وحُبّاً
وماءً وعشباً
أجيء إليك
مللتُ الوقوف
أجيء جراحاً
أجيء صباحاً
أجيء رياحاً
تطوفُ
أجيء إليك
مع الغيثِ أهمي
وأبذر بين جراحِكِ اسمي
أشقُ إليك
هموم الحصاد

1- الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، ص153.

في نهاية المطاف عرف الشَّاعر الطريق إلى محبوبته، وعرفَ ما لم يكن يعرفهُ عنها وعن الأشياء التي تُحبها وتعشقها، ومجيء قوله:(عرفتُ) التي كررت ثماني مراتٍ متساوية في التكرار مع قوله: (أجيءُ) فيه دلالة واضحة على أن الشَّاعر بحث عنها بقدر حبهِ لها. قال الثبيْتِي:

أجي إليكِ
عرفتُ.. عرفتُ
إليك الطَّريق
عرفتُ الصهيلَ
عرفتُ الأريجَ
عرفتُ البريقَ
عرفتُ بأنك حالمةٌ
تعشقين الوعود
عرفتُ بأنك عاصفةٌ
تخزنين الرعودْ
عرفتُ بأن الصحاري
تُخبئُ في شفتيكِ
اللظَّى والرحيق..

فالمجيء بحث في عالم المحبوبة بعد ضياع نفسي وجداني كابد آلامه الشاعر؛ ليهتدي بعد معاناة إلى منارة المحبوبة؛ ذلك أن المعرفة هي نهاية الألم والظفر بالمطلوب.

يمكنُ القول: بأن الثبيْتِي قد تمكن من تحقيق الأثر الجَمَالي والدِّلالي عبر تحقيق الترابط بين مفردات المجيْ المتنوعة، وبين استمرارية البحث والجري وراء المحبوبة حتى الوصول إليها والظفر بها، وبهذا يكون الثبيْتِي قد منح (المخاطبة/حبيبته) – قبل القارئ- نصاً شعرياً لا يعوزهُ التناسب الجَمَالي الدِّلالي.

خامساً: جَمَال التناسب الجَمَالي للعنوان:

يُعدُّ العنوانُ : «مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعديهِ الدلالي والرمزي»[1]، وهو بمثابة العتبة الصدرية للنَّص الشِّعْرِي لما يحملهُ من طاقات فنية وإبداعية وإيحائية ودلالية؛ فالشَّاعر يصنعُ العنوان بشكلٍ واعٍ وبالأخص إذا كان الهدف منه تحقيق مآرب جَمَالية أو إيحائية قد لا يُدركها المُتَلقِي ولا يحيطُ إلا باليسير منها في الوهلة الأولى للقراءة أو التلقي، وبمجردِ استغراقه في قراءة النَّص وتأويله يجدُ نفسهُ أمام ثيمات غير مرتبطة بالتأويل الأولي الذي نتج عن القراءة الأولية؛ وهذا في حد ذاتهِ مدعاةٌ إلى أن تتعدد تأويلات القارئ للنص من جهةٍ وعنوانهِ من جهةٍ أخرى، وفيه مدعاة لمحاولة إدراك مدى التناسبِ الجَمَالي بين النَّص والعنوان.

ومعلومٌ – لدى النقاد – مدى حرص الشُّعَراء على أن تكون عناوين قصائدهم جميلةً وجذابةً في شكلها وموحية برؤى الشَّاعر في مضمونها، فهم بذلك يجمعون بين الحُسنيين (جَمَال الشكل وجَمَال المضمون)، والشَّاعر الثبيْتِي واحدٌ من أولئك الشُّعَراء الذين يعتنون باختيار عناوين قصائدهم الشعرية.

وقد بدا ذلك جلياً في جَمَال عناوينه المتعددة والمتنوعة؛ فكثيرٌ من هذه العناوين الجميلة لم تأتِ عبثاً وإنما اختارها الشَّاعر بعناية فنيةٍ فائقةٍ؛ فهو يرمي من خلالها إلى إدهاش المُتَلقِي وتشويقهِ عبر إغرائه برونق العنوان وما قد يوحي إليه ذلك الجَمَال الموشّحِ لَهُ. إن جَمَال العنوان وروعتهُ وجاذبيتهُ في شعر الثبيْتِي قد ظهر في صورٍ عديدة، توحي في معظمها، بجَمَال العنوان وطلاوته، ومن هذه الصور التي ظهر بها العنوانُ: أن يكون مكوناً من كلمة

1- طنكول، عبدالرحمن، خطاب الكتابة وكتاب الخطاب في رواية مجنون الألم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، ع9، س1987م، ص 135.

واحدة مثل قصيدة (قلادة [1]، قلب[2]، تقاسيم[3]، فاتحة [4]، ..) أو من كلمتين بينهما تناسبٌ جَمَالي مثل قصيدة (بوابةُ الريح[5]، ترتيلة البدء[6]، سألقاك يوماً[7]،عشقت عينيك[8]، الرُّقيةُ المكية[9]..) وقد يتكون من عبارة تراثية لها جاذبيتها اللفظية مثل قصيدة (أيا دارعبلة عمت صباحاً[10]، ديارسلمى[11]، شهرزاد والرحيلُ في أعماق الحُلم[12]، فواصلُ من لحنٍ بدوي قديم[13] ..) ومن القصائد ما يتكون من جمل وتراكيب ذات طابعٍ سُوريالي حديثٍ كقصيدة: (نشازٌ في نغمة الحُب[14]، الرحيلُ على شواطئ الأحلام[15]، عاشقة الزمن الوردي[16]). التحقيق أن جماليات العنوان سمة بارزة في القصيدة الحداثية التي تجنح إلى التكثيف الأسلوبي.

وأما التناسبُ الجَمَالي في مضمون العنوان فيتجلى للقارئ/ المُتَلقِي من خلال فضح العنوان لخبايا النَّص وبيان مكنوناتهِ المبثوثةِ في المتن الشِّعْرِي؛ فيكون العنوان بمثابة النور الكاشف لما قد يخفى علينا من الرؤى والمقاصد التي يريدها الشَّاعر. ومن الأمثلة على ذلك قصيدة (تغريبة القوافل والمطر)

1- الثبيْتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص 109.
2- المصدرنفسهُ، ص 113.
3- الثبيْتي، محمد، الأعمال الكاملة، ص 211.
4-المصدرنفسهُ، ص 315.
5- المصدرنفسهُ، ص 299.
6- المصدرنفسهُ، ص 59.
7- المصدرنفسهُ، ص 135.
8- المصدرنفسهُ، ص 281.
9- المصدرنفسهُ، ص 303.
10- المصدرنفسهُ، ص 177.
11- المصدرنفسهُ، ص 293.
12- المصدرنفسهُ، ص 141.
13-المصدرنفسهُ، ص 173.
14- المصدرنفسهُ، ص 283.
15- المصدرنفسهُ، ص 225.
16- المصدرنفسهُ، ص 243.

[1]؛ فجَمَال العنوان يتناسب مع جَمَال المتن الشِّعْرِي، والنَّص مُمتلئٌ بالحديث عن الارتحال وجَمَال الطبيعة الممطرة أثناء الارتحال قال الثبيْتِي:

يا كاهن الحيِّ
هلاَّ مخرت لنا الليل في طور سيناء
هلاَّ ضربت لنا موعداً في الجزيرة
أيا كاهن الحيِّ
هل في كتابك من نبأ القومِ إذ عطّلوا
البيد واتبعوا نجمة الصُّبح
مروا خفافاً على الرمل
ينتعلون الوجى
أسفروا عن وجوهٍ من الآلِ
واكتحلوا بالدُّجى
نظروا نظرةً
فامتطى غلسُ التيهِ ظعنهمُ
والرياحُ مواتيةٌ للسفرْ
والمدى غربةٌ ومطر.

فالعنوان مناسبٌ لطبيعة البنية الشعرية المستوحاة من رحلة شعراء العصر الجاهليّ؛ وهي رحلة تعكس رؤية وجودية للتعبير عن قلق الإنسان الجاهلي، وعدم استقراره النفسيّ. ومن العناوين الجميلة ما هو ذاتُ مسحةٍ تراثية وفيه تناسب جَمَالي مع مضمون القصيدة الذي يُدركُ من عبارات عديدة كررت في أكثر من مقطع في قصيدته (أيا دار عبلة عمتِ صباحاً،) وكانت منسجمة مع العنوان التراثي. ومن هذهِ العبارات، أيضاً، قوله:(ترى يا ابنة العم.. ماذا جرى؟ وهل حمدَ القوم عند الصباحِ السُّرى، وداحِسُ!؟ ماذا دهاهُ. أما زال يخجل من كبوات الرهان.، أيا دار عبلة عمت صباحاً، أيا دار

1-المصدر نفسهُ، ص 97.

عبلة.. فوق ضباب البنادق، أيا دارعبلة يا ألماً مبهماً، قفي يا ابنة العمِّ.. لمي بقايا دمائي، قفي يا ابنة العمّ ها أنا أنقعُ أوردتي في جراح.. الليالي، وأصرخ واعبلتاهُ..) والنَّص مليءٌ بالإشارات التراثية المنسجمة جَمَالياً ودلالياً مع العنوان التراثي للنص، ولنتأمل حضور هذه الإشارات في قولهِ:

غريقٌ بليل الهزائم سيفي
ورمحي جريحٌ
ومُهري على شَاطئ الزَّمن العربي
يلوكُ العنان
أعانقُ في جسدي شبحاً
مُثخناً بالجراح
إلى أن يقول:
أيا دارعبلة
يا ألماً مبهماً
ويا حُلماً يستقِرُّ على قمَّةِ
الجُرحِ
واللحظة العاثرةْ
يعاقرُ فيك التفاهاتُ قومي
ويدعون في كلِّ نازلة
عنترة
فإن كنتُ بين الطلائعِ
أزجُرُ عنهم زحف المنايا
فمن للميامن..
والقلب..
والميسرة.

تنبثقُ من النَّص إشعاعاتٌ جَمَاليةٌ وإيحائية يبثها الشَّاعر عبر ذكر الأعلام

التراثية المرتبطة بوشائج وصلات معرفية مخزنة في ذهن القارئ تُسهل عليه التعامل مع النَّص تفسيراً وتأويلاً لمقصدية الشَّاعر من وراء هذا الاستلهام التراثي للعنوان، من جهةٍ ولقصة عنترة مع (عبلة) ابنة عمه من جهةٍ أخرى. وهذا يقودنا إلى القول بأن القصيدة رمزيةٌ بامتياز فعبلة في النَّص لا تعدو، من وجهة نظرنا، إلا أنها رمزٌ للقصيدة، وعلى هذا فعنترة رمز للشاعر الثبيْتِي الذي أرسل إشارات ورسائل عديدة ومتنوعة منها ما هو ثقافي وفكري.. إلخ.

يُمكنُ القول إن الشَّاعر الثبيْتِي استطاع تحقيق التناسب الجَمَالي على مستوى العنوان وذلك من خلال جعلِ العنوان مرآةً عاكسة للنص بفعل الارتباط الدِّلالي، والموضوعي بين العنوان والمتن الشعري.

سادساً: التناسب الجَمَالي للإيقاع:

يتبدى اهتمام الشَّاعر الثبيْتِي بشكل نَصِّهِ الشِّعْرِي باعتباره لوحتهُ الفنية التي يضعُ فيها رسمته / لوحتهُ الفنيةُ فما تخطُ ريشتهُ يعكسُ مشاعرهُ وأحاسيسهُ عبر مرايا الألوان التي صبغَ بها لوحتهُ، وهذا الاهتمام بالشكل عندهُ، راجعٌ إلى أهمية الشكل في الميزان النقدي؛ فالنقادُ القدماء والمحدثون يركزون على ضرورة العناية بجَمَال النَّص وإيقاعهِ؛ ومن هؤلاء الجاحظ الذي يرى «أن المعاني معروفة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي، والقروي، والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبعِ، وجودة السبك؛ فإنما الشعرُ صناعة، وضربٌ من النسج، وجنسٌ من التصوير»[1].

من أهم العوامل التي تحقق التناسب الجَمَالي الإيقاعي « أن يُحكم الشَّاعر توازن نصهِ، وترابطه، وتماسكهُ، لينسجم النَّص مع رؤى الشَّاعر المعرفية، وأبعادهِ الفكرية ومستويات خبرتهِ الجَمَالية، واستراتيجياتهِ الدِّلالية في

1-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط3، 1969م، ص302.

توجيه نصوصهِ الشعرية[1]، وهذا ما حاول الثبيْتِي فعله عند توقيع بعض قصائده الجميلة على بحر الكامل المعروف بميلهِ إلى الحلاوة والصلصلة التي تشبهُ الأجراس[2]، ومن تلك القصائد: (الأوقات[3]، صوتٌ من الصفِّ الأخير[4]، الرقيةُ المكية[5]،..) قال الثبيْتِي في قصيدته (الرُّقية المَكِيَّةُ):

صَبَّحْتُهَا

والخيرُ في أسمائها

مَسَّيْتُهَا

والنورُ ملءُ سَمَائِهَا

حيَّيتُهَا

بِجَلَالِهَا

وكَمَالِهَا

وبِمِيمِهَا وبِكَافِهَا وبِهَائِهَا

وغَمَرْتُ نَفْسِي

في أقاصي لَيْلِهَا

فخرجتُ مبتلاً بِفَيْضِ بهائِهَا.

وبالنظر إلى شكل كلِّ قصيدة، من هذه القصائد، وبنيتها الصوتية الإيقاعية وموسيقاها الداخلية والخارجية، وموضوعها الغنائي أدركنا مقدار التناسب الجَمَالي بين الوزن الذي اختاره الشَّاعر الثبيْتِي لقصائده آنفة الذكر وتيماتها

1- شرتح، عصام، جَمَاليات الخطاب الشِّعْرِي عند بدوي الجبل، داركنعان، دمشق، 2011م، ص18.

2- للمزيد ينظر: الطيب، عبدالله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت، ط1، 1970م، ج1/302،203.

3- محمد الثبيْتِي، الأعمال الكاملة، ص 45.

4- المصدر نفسه، ص 221.

5- المصدر نفسه، ص 303.

الغنائية التي منحتها الذَّات الشَّاعرة أرق وأجمل ما باحت به، وبِمِثْلِ هذا الأداء الفني يكونُ الثبيْتِي ساعياً وراء تحقيق الجَمَال الفني في شعره الحديث عبر» التعامل مع الانسجام، والإيقاع في الفن، وهو ما يُمكنُ التعبير عنهُ بمقياس الجَمَال في أثرهما الفني»[1]. ومن الإيقاعات الجميلة التي اختارها الثبيْتِي لبعض قصائده (بحر الوافر) الذي لا يقل جَمَالاً وإيقاعاً وعذوبةً عن الكامل، بل يزيدُ عليه بانسيَابيَتهِ ومرونته بين الفخامة والرقة ليتناسب مع أكثر من موضوع وغرض شعري، وقد رأينا ذلك في عدد من القصائد التي جاءت على وزن الوافر منها: (هوامش حذرة على أوراق الخليل[2]، لا لومٌ علينا[3]، عشقت عينيك[4]، الخطبُ الجليل في رثاء الملك فيصل[5]،..). كما لمسنا – عند تتبعنا للإيقاع والوزن في دواوين الشَّاعر- أنَّ التفاوت الإيقاعي أو الوزني قد حدثَ على مستوى القصيدة الواحدة؛ غيرَ أنّنا وجدنا أنَّ هذا التفاوت أو التشاكل الطارئ على الإيقاع والوزن يقدمُ إضاءةً نغمية لا تفسدُ غنائية النَّص وعذوبتهُ؛ فحالُ هذا التشاكلُ في الإيقاع كحال اللحن الموسيقي متعدد الطبقات والنبرات، وظهر هذا جلياً في بعض قصائد الثبيْتِي ومن ذلك قصيدته: (برقياتُ حُبٍ إلى غائبة[6]،) نظمها الشَّاعر على بحر المتقارب فكانت التفعيلات في بدايات القصيدة تجري على فعولن / فعولن/ فعولن ثم ما يلبث أن يتحول إلى فعول فعولن فعول[7].

1-فيدوح، عبدالقادر، الجَمَاليات في الفكر العربي، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 1999م، [د. ط]، ص12.

2- محمد الثبيْتِي، الأعمال الكاملة، ص253.

3-المصدر نفسهُ، ص261.

4- المصدر نفسهُ، ص 281.

5- المصدر نفسهُ، ص 231.

6-المصدر نفسهُ، ص 153.

7- للمزيد ينظر: عيد، عاطف عبدالعزيز، التماسك النَّصي في شعر الثبيْتِي، ص85.

الخاتمة:

- بدا للباحث أن التناسب الجَمَالي بجميع مستوياته قد منحَ النَّصَ طاقةً فائقةً وقادرةً على التواصُلِي الجَمَالي مع وجدان المُتَلقِي قَبْلَ أذنهِ، ومع ذوقهِ قبل ثقافته المعرفية.
- تنوع حضور التناسب الجَمَالي في معجم الثبيْتِي بين جَمَال الانسجام وجَمَال التكرار وجَمَال التوازن اللفظي، وهذا دليلٌ على القدرة الفنية والمهارة الإبداعية في خلق اللغة الشعرية الجَمَالية المتلائمة مع الرؤى الشعرية للشاعر.
- ظهرَ جَمَال المفردة الشعرية (الجَمَال الصوتي)، من خلال موقعها الفني ضمن سياقها البنيوي وحلَّتِها الجَمَالية، وعَبْرَ مستويات وملامح وأدواتٍ فنيةٍ مختلفة كالجرس الصوتي والإيقاع والإيحاء والعمق الدِّلالي الخاص بها.
- حضر التناسب الجَمَالي الإيحائي في شعر الثبيْتِي من خلال خصوبة المفردة الإيحائية داخل سياقها الشِّعْرِي؛ فقد رأينا كيف ولَّدت في النَّص رؤىً خلابةً كانت تُثير فضول المُتَلقِي وتَرُوعُ مسامعهُ وتخلبُ لبهُ.
- تحقيق التناسب الجَمَالي على مستوى العنوان وذلك من خلال جعلِ العنوان مرآةً عاكسة للنص بفعل الارتباط الدِّلالي، والموضوعي بين العنوان والمتن الشعري.
- تمكنَ الثبيْتِي من تحقيق التناسب الجَمَالي الإيقاعي في عدد من قصائدهِ عبر التناغم والانسجام بين موضوع القصيدة، والبحر العروضي الذي نظمت عليه، ولمسنا التفاوت الوزني والإيقاعي على مستوى القصيدة الواحدة، في بعض قصائد الشَّاعر؛ إلاَّ أن هذا التفاوت أو التشاكل الإيقاعي لم يؤثر في جَمَاليات الإيقاع المتناغم مع غرض القصيدة وموضوعها.

-أدرك البَاحِث أنَّ التناسب الجَمَالي لا يتأتى من خلال المعرفة أو الثقافة الواسعة التي يمتلكها المُتَلقِي فحسب؛ بل عبر التذوق الأصيل المنبعث من الملكة الفطرية القادرة على استيعاب هذا التناسب الجَمَالي؛ فلولا المهارة الفنية والخبرة الجَمَالية لما حصل التفاعل التَّذوقي والتأثر الجَمَالي لدى المُتَلقِي/ السامع.

**المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير، تحقيق: د. مصطفى جواد، ود. جميل سعيد، العراق، [د. ط]، 1956م.
3. ابن الأثير، ضياء الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، [د. ط]، 2005م.
4. إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياه، وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الأكاديمية القاهرة، ط 6، (مزيدة ومنقحة)،2010م.
5. بحيري ،سعيد حسن، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1424هـ2004-م.
6. بودوخة، مسعود لافي، الأسلوبية والبلاغة (مقاربة جمالية)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، ط1، 2016م.
7. الثبيْتِي، محمد، الأعمال الكاملة، مؤسسة الانتشار العربي، منشورات النادي الأدبي، حائل، السعودية، ط1، 2009م.
8. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط3، 1969م.
9. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت،[د. ط]، [د.ت] .

10. الحوطي، غادة بنت عبد العزيز، التوازنُ معيارٌ جمالي، الناشر: عبد المقصود خوجه، جدة، ط3، 1421هـ

11. الجرجاني، علي، التعريفات، حققهُ: إبراهيم الابياري، [د. ط]، دار الريان للتراث، [د. ت].

12. خطابي، محمد، لسانيات النَّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط 1، 1991م.

13. زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، [د. ط]، 1403هـ

14. سليمان، خالد، الجذور والأنساغ، (دراسات نقدية في جديد القصيدة العربية)، دار كنوز المعرفة العلمية لنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، 1430هـ/ 2009م.

15. شبل محمد، عزة، علم لغة النَّص، النظرية والتطبيق، تقديم الدكتور: سليمان العطار، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

16. شرتح، عصام، اللغة واللذة الشعرية عند وهيب عجمي، (دراسة تأسيسية في جَمَاليات اللغة الشعرية)، دار الخليج، الأردن، ط 1، 2019م.

17. شرتح، عصام، جَمَاليات الخطاب الشِّعْرِي عند بدوي الجبل، دار كنعان، دمشق، ط1، 2011م.

18. الشمري، زيد دبيان غلب، الثبيْتِي شاعراً، رسالة دكتوراه، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤته، الأردن، 2014م.

19. الطيب. عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت، ط1، 1970م.

20. عيد، عاطف، التماسك النَّصي في شعر الثبيْتِي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد32، 2015م.

21. ابن قتيبة، أبو محمد الدينوري، الشعر والشُّعَراء، بيروت، لبنان. [د. ط]، 1964م.

22. ابن منظور، محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، [د. ط]،2000م.

23. أبو ديب، كمال، في الشعرية. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م.

24. طنكول، عبد الرحمن، خطاب الكتابة وكتاب الخطاب في رواية مجنون الألم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، ع9، س1987م.

25. فيدوح، عبد القادر، الجَمَاليات في الفكر العربي، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب، [د.ط]، 1999م.

26. كريستوفا، جوليا، علم النَّص، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات توبقال، الدار البيضاء، [د.ط]،1991م.

27. كوهين، جان، النظريةُ الشعريةُ، بناء لغةِ الشِّعر، اللغة العليا، ترجمة: أحمد درويش، دارُ غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط4. [د.ت].

28. لالو، شارل، مبادئ علم الجَمَال، تحيق: خليل شطا، دار دمشق للطباعة، د.ط، 1982م.

29. مردف، سعد: شعرية الخطاب الجَمَالي والإيديولوجي في ديوان عبد الله البردوني، أطروحة دكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2015-2014م.

30. مرتاض، عبد الملك، قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر العربي المعاصر، منشورات القدس العربي، الجزائر، ط1، 2009م.

31. مرتاض، عبد الملك، نظرية النَّص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007م.

32. مناع، عادل، نحو النَّص، اتجاه جديد في دراسة النَّصوص اللغوية، مصر العربية للتوزيع، القاهرة، [د.ط]، 2011م.

33. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، البلاغة القرآنية، أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، مكتبة لسان العرب، ط1 ،1416هـ/1996م.

34. ناصر، محمد: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وقضاياه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

35. وادي، طه، جَمَاليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، 2000م.

36. ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي، وآخرون، دار توبقال، ط1، 1988م.

37. النَّصير، ياسين: غير المألوف في اليومي والمألوف، بحث في سيكولوجيا الشعرية، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2012م.

38. ياسوف ، أحمد، جماليات المفردة القرآنية ، دار المكتبي ، سوريا – دمشق ،الطبعة الثانية ، 1419هـ- 1999م.

39. الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعرفة، جامعة الأرايطة، الإسكندرية، [د. ط]، 2007م.

40. OWEN BARFIELD,Poetc Diction, faber and faber, LONDON, 1952, P: 96.

" حتى "

بين دقائق علم النحو ولطائف علم المعاني

أ.د. علي فراجي

-جامعة الجزائر - 1 - كلية العلوم الإسلامية-

-قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية-

faradjali7@gmail.com

المقدمة:

ظهر الاهتمام بحروف المعاني مبكرا عند العرب في التاريخ الإسلامي، وقد قام النحاة وعلماء أصول الفقه والمفسرون بدور متكامل في البحث عن وظائفها ودلالاتها كجزء من خدمة النص القرآني، وفي إطار اهتماماتهم اللغوية والتشريعية.

ولقد وضعت منذ القرن الثاني الهجري مصنفات كثيرة حول حروف المعاني ضاع معظمها ولم يصلنا من قديمها شيء، وإن أشارت إليها المصادر؛ بعضها بحث في حروف المعاني في إطار عام ضمن قواعد النحو أو أصول الفقه، وبعضها الآخر تناول حروف المعاني على سبيل الاستقلال. وما وصلنا أذكر منها على سبيل المثل لا الحصر:

1 - ما وضع في إطار عام:

- المحلى (وجوه النصب) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن شقير النحوي البغدادي. (ت.317هـ) .

- مغني اللبيب في كتب الأعاريب. لابن هشام الأنصاري. (ت.761هـ).

2-ما وضع على سبيل الاستقلال:

- كتاب حروف المعاني. لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. (ت. 340هـ) وهو الأول من أفرد مصنفا مستقلا لحروف المعاني.

- كتاب منازل الحروف . لأبي الحسين علي بن عيسى الرماني. (ت.388هـ).

- كتاب الصاحبي في فقه اللغة. لابن فارس. (ت.395هـ).

- كتاب الجنى الداني في حروف المعاني. للحسن بن قاسم المرادي. (ت.749هـ).

وعليه فإني لا أزعم أنه في استطاعتي الإلمام بهذا الحرف الذي احتار في أمره كثير من العلماء حتى أن واحدا منهم ترك مقولته المشهورة « أموت وفي نفسي شيء من «حتى» لأنها تخفض وترفع وتنصب»[1] وهناك من ينسبونه إلى الأخفش تلميذ سيبويه وهناك من نسبه إلى سيبويه نفسه. والراجح أنها للفراء لأن «حتى» عند الكوفيين تجر وترفع وتنصب، أما البصريون فليس كذلك عندهم.

الحرف لغة:

حرف كل شيء طرفه وشفيره وحدّه. ورجل محارَف بفتح الراء أي محدود محروم وهو ضد المُبارك. والحُرف بوزن القُفل حبُّ الرشاد. والحِرفة الصناعة. وتحريف الكلام تغييره. ويقال انحرف عنه وتحرّف واحْرَوْرَف أي مال وعدل[2]. والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه. وما جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، أراد بالحرف اللغة. قال أبوعبيد وأبو العباس: نزل على سبع لغات من لغات العرب. قال: وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم يسمع به. وحرف السفينة والجبل: جانبهما والجمع أحرف وحروف وحرفة. وقال الأصمعي: الحرف الناقة المهزولة. وحرف الشيء ناحيته. وفلان على

(1) - ابن خلكان – وفيات الأعيان- ج/6-ص: 180.

(2) - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. مختار الصحاح.مادة (حرف) ص: 131.

حرف من أمره، أي ناحية منه إذا رأى شيئا لا يعجبه عدل عنه. وفي التنزيل العزيز: {ومن الناس من يعبد الله على حرف}الحج.آ:11.؛ أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه. وقال بعض المفسرين «على حرف» أي على شك بغير ثقة وقال البعض منهم « على حرف « أي على شرط , يريد ان يقدم العبادة لله تعالى بعيدا عن الاختبارات والابتلاءات على شرط النفع الدائم والكسب الدائم وإلا انقلب، وقيل: هو أن يعبده على السراء دون الضراء. وقال الزجاج: على حرف أي على شك. والحُرُف والحُراف: حيّة مظلم اللون يضرب إلى السواد إذا أخذ الإنسان لم يبق فيه دم إلاّ خرج.[1]

الحرف اصطلاحا:

حدده سيبويه بقوله: (وأما ما جاء لمعنى، وليس باسم ولا فعل، فنحو «ثم» و «سوف» و «واو القسم» و « لام الإضافة»)[2] بمعنى (أنه الذي يفيد معنىً ليس في اسم ولا فعل، نحو قولنا «زيد منطلق» ثم نقول: « هل زيد منطلق؟» فأفدنا بـ«هل» ما لم يكن في «زيد» ولا «منطلق»)[3]

والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل مثل: عن وعلى ونحوهما.

و كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني واسمها حرف وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل: حتى، وهل، وبل، ولعل. إذا وَرَدَ في كَلامِ النحويين أنَّ الكَلِمَةَ: اسمٌ وفِعلٌ وحَرف، فإنَّهم لا يَعنونَ بالحَرفِ الحروفَ الأبجديةَ: الألفُ والباءُ والتاء...، ولا يَقصِدونَ بِه أبعاضَ الكلماتِ نَحوَ الزاي مِن (زَيد) أو العَينِ مِن (عَمرو).وإنَّما يَقصِدُ النَّحَويّون بالحرفِ: حُروفُ المَعاني، نَحوَ حُروفِ الجَرّ (مِن، إلى، في...) ونَحو حُروفِ العَطفِ (الواو، الفاء، ثم...) إلخ. و بِذلك يُعرّفُ النحويون الحرفَ بأنَّهُ: كَلِمَةٌ دَلَّت عَلى مَعنىً في غَيرِها.

(1) - ابن منظور. لسان العرب. مادة حرف. المجلد الثالث.ص:89 - 90 - 91.

(2) - سيبويه. الكتاب ج/1. ص: 2.

(3) - أحمد بن فارس. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها.ص: 95.

وهذا التَعريفُ كَما تَرى لا يَنطَبِقُ على الحُروفِ الأبجَدِيَّةِ أو الحروفِ التي هي أبعاضُ الكَلِم، وإنَّما يَنطَبِقُ على حُروفِ المعاني. فالمَقصودُ أنَّ حُروفَ المعاني، والحروفُ الأبجدِيَّةُ، وحُروفِ أبعاضِ الكلم، كُلها تُسمى حروفاً. ولكِن الذي يُعَدُّ قِسماً مِن أقسامِ الكَلمةِ مع الفعلِ والاسمِ هو فَقَط حُروف المعاني لذلك فعليكَ دائماً أنْ تَعرِفَ ماذا يَقصِدُ أهلُ كُل فَنٍّ بِمُصطلحاتِهم التي اصطلحوا عَليها في ذلك الفن، فإنَّ معنى المُصطلحِ الواحدِ قَد يَختَلِفُ باختلاف الفن الذي يُذكَرُ فيه هذا المصطلح.

ـ ظاهرة ترتيب الحروف.

لقد تناول علماء اللغة الحرف العربي بالدراسة والتحليل بداية من ظاهرة ترتيبها وهذا من أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي عده الكثير من الباحثين اللغويين أنه الأول من أهتم بترتيب حروف الهجاء، فوضع لها ترتيبا خاصا حيث رتبها لترتيب مخارجها مبتدئا من الجوف منتهيا بالشفتين. وهو كالتالي :- (ع. ح. هـ خ. غ. ق. ك. ج. ش. ض. ص. س. ز. ط. د. ت. ظ. ذ. ث. ر. ل. ف. ب. م. ي. و. أ) « ثم رتبت على وجوه أخرى من بينها الترتيب الهجائي المعروف الذي يعتمد على ضم كل حرف إلى ما يشبهه في الرسم».[1] « حيث عرفت هذه الطريقة ترتيبين أحدهما لمدن أهلا لمشرق وهو كالتالي: (أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز.س.ش.ص. ض.ط.ظ.ع.غ.ف.ق.ك.ل.م.ن.هـ.و.ي) والآخر للمغاربة والذي كان ترتيبه مختلفا بعض الشيء عن ترتيب المشارقة وهو كالآتي: (أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز.ط.ظ.ك.ل.م.ن.ص.ض.ع.غ.ف.ق. س.ش. هـ.و.ي) وهناك الترتيب الأبجدي الذي يشبه الأبجديات المعروفة في اللغات الشرقية القديمة باستثناء مقطعيه الأخيرين، وفيه ترتب الحروف على النحو التالي:- (أبجد. هوز. حطي. كلمن. سعفص. قرشت. ثخذ. ضظغ.)

(1) - معجم حروف المعاني في القرآن الكريم. ص: ص.(المقدمة).

وتتخذ هذه الحروف بهذا الترتيب في الحساب ويسمى حسابها : حساب الجمّل.»[1]

ـ ظاهرة تقسيم حروف الهجاء من وجوه مختلفة أهمها:-

أ) . من الناحية الصوتية كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والإطباق والقلقلة والصفير...إلخ.

ب)- من الناحية النوعية كالحروف الشمسية والحروف القمرية وحروف العلة و الحروف الأصلية والحروف الزائدة .

ج)- حروف المباني وهي التي يكون لها دور في بنية الكلمة وتركيبها، و بمعنى هي حروف الهجاء.

د)- حروف المعاني وربما سميت كذلك لدورها في إيصال معاني الأفعال إلى الأسماء، وكذلك لدلالتها على معنى.وهي كل حرف أو شبه حرف له وظيفة نحوية أو صرفية أو صوتية ذات دلالة. وأطلق على حروف المعاني تسمية (الأدوات) ومن الأوائل الذين أشاروا إلى هذه التسمية الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: « وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفا، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل: حتى وهل وبل ولعل».[2] ولقد أورد النحاة تقسيمات عديدة لحروف المعاني منها :-

1)- باعتبار بنيتها : - من حيث بنيتها قسمت إلى قسمين: - أحادية؛ وهي التي تتكون من حرف واحد كـ: (الألف- الهمزة- الباء- التاء- السين- الفاء- الكاف- اللام- الميم- النون- الهاء- الواو- الياء). ومركبة؛ وهي التي تتركب من حرفين كـ: (من- أو- يا- وا- لم- لن). أو من ثلاثة أحرف كـ: (إلى- على). أو من أربعة أحرف كـ: (حتّى- لكن- لعلّ). أو من خمسة أحرف كـ: (لكنّ).

2)- باعتبار عملها : - من حيث عملها قسمت إلى ثلاثة أقسام: قسم لا يعمل ويسمى المهمل كـ: (الألف- الهمزة- الميم- النون- إذا- لو- لولا- نعم-

(1) - المصدر السابق نفسه .

(2) - معجم العين. ج/3. ص: 211-210.

قد- هل). وقسم يجوز أن يكون عاملا وغير عامل كـ: (التاء- الكاف- اللام- الواو- لا). وقسم يعمل وعمله قد يكون النصب و الرفع في الأسماء كـ: (إنّ وأخواتها). أو الرفع والنصب في الأسماء كـ: (كان وأخواتها). وقد يكون الجر في الأسماء كـ: (حروف الجر). وقسم ينصب الأفعال كـ: (أن- لن- إذن- كي). وقسم يجزم الأفعال كـ: (لم- لا الناهية- لام الأمر- لمّا).

3)- باعتبار وظيفتها الإجمالية : - من حيث وظيفتها الإجمالية قسمت إلى أقسام كثيرة ؛ كحروف العطف، و الجر، و النصب، و الجزم،و الاستثناء، والشرط، و الاستفهام، و النداء،

4)- باعتبار وظيفتها التفصيلية : - من حيث وظيفتها التفصيلية قسمت إلى أنواع كثيرة؛ كـ: حروف الابتداء والإخبار والاستئناف و الاستدراك والاستعانة والاستعلاء والاستغاثة والاستفتاح والاستقبال والإضراب والإلصاق والامتناع والإيجاب والتأنيث والتبعيض والتبليغ والتثنية والجمع والتحضيض والتحقيق والتخيير والتراخي والترتيب والترجي والتسوية والتسويف والتشبيه والتعدية والتعليل والتعقيب والتفسير والتفصيل والتمني والتنبيه والتنديم والتنفيس والتوكيد والجواب والحصر والخطاب والقسم والندبة والنفي والنهي. وتقوم حروف المعاني بدور أساسي في الكلام؛ ويمكن القول أن لديها وظيفتين أساسيتين:- وظيفة نحوية؛ وهي تحقيق الترابط بين مكونات الجملة في الكلام، سواء كانت عاملة أو غير عاملة. ووظيفة دلالية معنوية؛ وهي المساهمة في تحديد دلالة السياق. والوظيفتان متكاملتان ومتداخلتان تنصهر فيها العناصر النحوية بالمكونات الدلالية. ومن الحروف التي تؤدي هذا الدور الفعال في لغتنا العربية لغة القرآن الكريم الحرف « حتى»، وعليه كان عنوان مقالنا

(حتى) بين دقائق علم النحو ولطائف علم المعاني.

- تحديد وتعريف:

«حتى» من أكثر الحروف إثارة للجدل في علم النحو العربي وسبب هذا

الجدل تعدد وظائفها الإعرابية، ولأنها الحرف الوحيد الذي له قدرة الاتصال بالأفعال والأسماء على حد سواء، لأن باقي الحروف هناك ما تختص بالأسماء وهناك ما يختص بالأفعال. و ربما هذا الذي من أجله قال الفراء: « أموت وفي نفسي شيء من «حتى» لأنها تخفض وترفع وتنصب». قال الفيروز أبادي – رحمه الله- في القاموس المحيط: « وحتّى: حرف للغاية، والتعليل، وبمعنى «إلاّ» في الاستثناء. وتأتي ابتدائية وجارة وناصبة للفعل المضارع وعاطفة، كما تحمل ظلالا دلالية من الجمع، أوالتعظيم، أوالتحقير، أوالقوة، أوالضعف، أو التعليل، بحسب السياق الذي ترد فيه.

الحرف (حتى) من حروف الجر وهو مختص بالأسماء يعمل فيها الجر (والحرف متى كان مختصا وجب أن يكون عاملا. وإنما وجب أن تعمل الجر لأن إعراب الأسماء رفع ونصب وجر، فلما سبق الابتداء إلى الرفع في المبتدإ، والفعل إلى الرفع أيضا في الفاعل، وإلى النصب في المفعول، لم يبق إلاّ الجر، فلهذا وجب أن تعمل الجر . و أجود من هذا أن تقول: إنما عمِلت الجر، لأنها تقع وسطا بين الفعل والاسم، والجر يقع وسطا بين الرفع والنصب، فأُعطي الأوسط الأوسط.)[1] ويأتي لأحد ثلاثة معانٍ: انتهاء الغاية وهو الغالب، والتعليل، وبمعنى (إلاّ) في الاستثناء وهذا أقلها.إضافة إلى مهمته الرئيسية كونه حرفا من حروف المعاني؛ وهي إيصال معنى الفعل إلى الاسم المتصل به. وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر وتابعه في ذلك الزمخشري في المفصل. أنّ ما بعد (حتى) داخل فيما قبلها. ألا ترى أنك إذا قلت:

« أكلت السمكة حتى رأسها» كان المعنى أن الأكل اشتمل على الرأس . وكذلك قولك: « ضربت القوم حتى زيدا» لمعنى أن (زيدا) قد ضربته.[2] (و الحرف (حتى) من حروف الجر اللازمة للحرفية؛ أي لا تكون بأي حال من

(1) - ابن الأنباري. أسرار اللغة. ص: 179.

(2) - الزمخشري. المفصل في علم العربية ص: 203.

الأحوال اسما. ولا يلزم الجر)[1]؛ أي ما يليها قد يكون مجرورا بها، أو معربا على الإتباع، أو مرفوعا بالابتداء.

ـ أقسام الحرف (حتى)

1) - حتى الجارة: - باعتبارها حرف جر. كـ : (إلى). في المعنى والعمل. والاسم بعدها مجرور بها لا بتقدير (إلى)[2]. ومعناها إنتهاء الغاية، وهي نوعان بالنسبة لمجرورها:

أ) ـ جارة للاسم الصريح: وشرطه أن يكون المعطوف آخراً. نحو:» سهرت أمس آخر الليل». فالمعطوف (الليل) بالنسبة لـ (أمس) آخر. أو أن يكون المعطوف متصلا بالآخر. نحو: «سهرت البارحة حتى الصباح» فالمعطوف (الصباح) متصل بالآخر الذي هو (ليلة البارحة). ومنه قوله تعالى: {سلام هي حتى مطلع الفجر} سورة القدر.آ:5. و(حتى) في هذا النوع مثل (إلى) معنى وعملا. والمقصود من الغاية إفادة أن جميع أحيان تلك الليلة معمورة بنزول الملائكة والسلامة، فالغاية هنا مؤكدة لمدلول {ليلة} لأن الليلة قد تطلق على بعض أجزائها كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذَنْبه» أي من قام بعضها، فقد قال سعيد بن المسيب: من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحَظه منها.يريد شهدها في جماعة كما يقتضيه فعل شهد، فإن شهود الجماعة من أفضل الأعمال الصالحة. وجيء بحرف (حتى) لإدخال الغاية لبيان أن ليلة القدر تمتد بعد مطلع الفجر بحيث أن صلاة الفجر تعتبر واقعة في تلك الليلة لئلا يتوهم أن نهايتها كنهاية الفِطر بآخر جزء من الليل، وهذا توسعة من الله في امتداد الليلة إلى ما بعد طلوع الفجر. ويستفاد من غاية تَنَزُّلِ الملائكة فيها، أن تلك غاية الليلة وغاية لما فيها من الأعمال الصالحة التابعة لكونها خيرًا

(1) - المصدر السابق نفسه. ص: 179.

(2). المصدر السابق نفسه . ص: 186.

من ألف شهر، وغاية السلام فيها. وقرأ الجمهور: {مطلع} بفتح اللام على أنه مصدر ميمي، أي طلوع الفجر، أي ظهوره.[1]

وصورتها التركيبية تكون كالآتي: -

جملة فعلية أو اسمية+حتى+ اسم مفرد (صريح) المعطوف عليه + حرف جر+ اسم مجرور.

و(حتى) في التراكيب السالفة الذكروإن وردت باعتبارها حرف جرك (إلى) فإنها تخالفها في ثلاثة أمور.

الأمر الأول: أن لمخفوضها شرطين:

الشرط الأول عام، وهو أن يكون الاسم المجرور بها ظاهرا لا ضميرا - هذا عند البصريين

والشرط الثاني خاص بالمسبوق بذي أجزاء، وهو أن يكون المجرور آخرا. نحو "أكلت السمكة حتى رأسها" أو ملاقيا لآخر جزء نحو قوله تعالى: (سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر.آ:5. فـ: (حتى) هنا ليست عاطفة، لأن ما بعد (حتى) وهو (الفجر) ليس بعضا من الليل؛ وإنما المعنى أن مطلع الفجر هو نهاية ذلك السلام الحاصل في الليل إلى الفجر . فـ (حتى) في هذه الآية حرف غاية وجر بمعنى (إلى).

الأمر الثاني: أنها إذا لم يكن معها قرينة تقتضي دخول ما بعدها كما في قوله:

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعلَهُ ألقاها

أو عدم دخوله نحو:

سقى الحيا الأرض حتى أمكنٍ عُزِبت لهم ولا زال عنها الخيرُ مجذوذا.

(ذكر ابن هشام البيت على أنّ فيه قرينة على عدم دخول ما بعد (حتى)

(1) - انظر تفسير ابن عاشور . سورة القدر.

في حكم ما قبلها، لأن قرينة دعائه على أمكنتهم بدوام قطع الخيرعنها يقتضي عدم دخولها في الأرض المدعوّ لها بالسقيا.)[1]

الأمر الثالث: أن كلا منهما قد ينفرد بمحل لا يصلح للآخر. فمما انفردت به (إلى) أنه يجوز: «كتبتَ إلى زيد وأنا إلى عمرو» أي هو غايتي كما جاء في الحديث «أنا بك وإليك» و «سرت من البصرة إلى الكوفة». ولا يجوز حتى زيد، وحتى عمرو، وحتى الكوفة. أما الأولان فلأنّ حتى موضوعة لإفادة تقضيّ الفعل قبلها شيئا فشيئا إلى الغاية، و(إلى) ليست كذلك. وأما الثالث فلضعف (حتى) في الغاية، فلم يقابلوا بها ابتداء الغاية.)[2]

ب) ـ حتى الجارة للمصدر المؤول:- من (أن) والمضارع المستقبل المنصوب بعدها، وهذه هي التي تضمر (أن) وجوبا بعدها، وتكون (حتى) حينئذ إما غائية وهذا أكثره، وإما تعليلية أو استثنائية. وردت (حتى) في القرآن الكريم سبعا وثمانين مرة ، وبإضمار (أن) وجوبا بعدها ورد في سورة البقرة خمس عشرة مرة. أردنا أن نقف على بعضها قصد تبيان أسرار (حتى) النحوية والبلاغية. **كقوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** البقرة.آ:187. سبقت (حتى) بجملة فعلية إنشائية مثبتة فعلها متعد {وكلوا واشربوا} وجاء بعدها جملة فعلية خبرية مثبتة فعلها لازم {يتبين لكم}. والصورة التركيبية للآية هي: فعل+فاعل (ضمير مستتر)+حرف عطف+فعل +فاعل (ضمير مستتر)+حتى+فعل+جار ومجرور+فاعل (مؤخر+صفة+حرف جر+اسم مجرور+صفة+حرف جر+اسم مجرور. يقول أبو حيان: (أمر إباحة أيضا أبيح لهم ثلاثة أشياء التي كانت محرمة عليهم في بعض ليلة الصيام (حتى يتبين) غاية الثلاثة أشياء من الجماع والأكل والشرب)[3] أفادت (حتى) في هذه الآية أن الأمر متعلق بغاية،

(1) - ابن هشام. شرح أبيات المغني.ج/3. ص: 99.

(2) . ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب ج/1. ص: 145.

(3) - ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب ج/2.ص: 75

وهي أن يتبين الخيط الأبيض الذي هو بياض النهار، من الخيط الأسود الذي هو سواد الليل، وهذا يفيد منع الحكم ، الذي هو الأكل والشرب، بعد الغاية. وهذه الغاية لم يسبقها لفظ عام؛ لأن الصيام شرعا يكون في النهار, فتكون مؤكدة للعموم ومحققة له, فيستغرق إباحة الأكل والشرب كل الوقت, ومنه الوقت الملاصق للغاية التي هي التبين من طلوع الفجر. وعليه: فلا يجب إمساك شيء من الليل. وبهذه الغاية عُلم انتهاء وقت الفطر منطوقا, ويفهم منها تحديد بداية -الصوم, فالصوم يبدأ من طلوع الفجر. ولا تدخل الغاية هنا في المغيَّا, فليس طلوع الفجر محل الأكل والشرب, وليس لمن تبين له أن يأكل ويشرب, بل يجب عليه أن يمسك. وفيه إشارة إلى جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر, فإذا طلع الفجر وجب الإمساك.كما دلت الآية بمفهوم المخالفة – مفهوم الغاية- على منع الأكل والشرب إذا تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود. كما دلت (حتى) في الآية أنه لا بد من التحقق من طلوع الفجر ومن أجل ذلك ورد الفعل (يتبيّن) بصيغة (التفعّل). الذي فيه معنى التحقيق والتثبت من الأمر الذي هو حصول الصبح الصادق. كما دلت (حتى) على جواز الأكل والشرب حتى التبيّن.

ج) ـ **حتى الغائية**:- هي التي يكون حصول ما بعدها نهاية لما قبلها، وعلامتها أن يصلح في موضعها (إلى).كقوله تعالى: {وإذ قلتم ياموسى لن نومن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون} البقرة.آ:55 سبقت (حتى) بجملة فعلية خبرية مثبتة. { وإذ قلتم}، وجاء بعدها مصدر مؤول جملة {أن+نرى} في بنيته العميقة. فالصورة التركيبية للآية هي: (حرف نفي + فعل + فاعل (ضمير مستتر) + جار ومجرور + حتى + (أن+فعل). فهي هنا حسب البنية السطحية للآية ناصبة للفعل المضارع (نرى) وعلامة النصب فتحة مقدرة، منع من ظهورها التعذر. هذا في نظر الكوفيين. أما البصريون فعندهم الفعل (نرى) منصوب بـ (أن) مضمرة وجوبا بعد (حتى) التي هي حرف جر والجملة المصدرية (أن+ نرى الله جهرة) مصدر مؤول في محل جر

اسم مجرور . لأن عندهم . البصريون . هي حرف جر. يقول أبو حيان: « حتى» هنا حرف غاية أخبروا بنفي إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية ومفهومها أنهم إذا رأوا الله جهرة آمنوا، والرؤية هنا هي البصرية وهي التي لا حجاب دونها ولا ساتر.)[1] لقد وردت بعد نفي في جملة فعلية فعلها لازم (آمن) وهذا ما هو ملاحظ من خلال البنية السطحية للآية. أما البنية العميقة فمن خلال الحرف «حتى» أن هؤلاء الأقوام ربطوا شرط إيمانهم لموسى برؤية الله جهرة أي عيانا وذلك باستعمال المفعول المطلق (جهرة) .(وانتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون مناما أو علما بالقلب، ... فانتصابها على حد قولهم قعد القرفصاء.)[2]. و(جهرة) في الأصل مصدر من قولك جهرت بالقراءة و الدعاء واستعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف، إلاّ أن الأول في المسموعات والثاني في المبصرات.[3] وعلى هذا الأساس فهي استعارة. وقرأ ابن عباس (جهرة) بفتح الهاء، وهما لغتان مثل زهْرة وزهَرة وفي الجهروجهان: أحدهما: أنه صفة لخطابهم لموسى أنهم جهروا به وأعلنوا، فيكون في الكلام تقديم وتأخير . والتقدير (وإذ قلتم جهرة يا موسى). الثاني: أنه صفة لما سألوه من رؤية الله تعالى أن يروه جهرة وعيانا فيكون الكلام على نسقه لا تقديم فيه ولا تأخير وأكد بالجهر فرقا بين رؤية العيان ورؤية المنام.[4]

د) ـ **حتى التعليلية:**- هي التي يكون ما بعدها مسببا عما قبلها، وعلامتها أن يصلح في موضعها (كي). وقد تكون (حتى) في التركيب الواحد صالحة للغائية والتعليلية كقوله تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا) البقرة. آ:217. سبقت (حتى) بجملة اسمية مسبوقة بناسخ

(1) -تفسير المحيط.ص:371. ج/1.ت. عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض.ط/1. دار الكتب العلمية بيروت.1993

(2)- المصدر السابق نفسه.

(3) - انظر تفسير سورة البقرة في (تفسير الوسيط للطنطاوي)

(4) - انظر تفسير القرطبي – تفسير سورة البقرة-.

(ولايزالون)، وهي خبرية. (إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين)[1] وخبرها جملة فعلية فعلها مضارع متعد لمفعول واحد وهو الضمير المتصل (كم) في {يقاتلونكم}. وجاء بعد (حتى) جملة مصدرية مثبتة فعلها متعد لمفعول واحد وهو الضمير المتصل (كم) في {يردوكم} وهي خبرية. والصورة التركيبية للآية هي: فعل ناقص+اسمه (ضمير متصل)+فعل مضارع +فاعل (ضمير متصل)+مفعول به (ضمير متصل)+ حتى+(أن+فعل مضارع)+فاعل (ضمير متصل)+مفعول به(ضمير متصل). (و(حتى) معناه التعليل كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة. أي يقاتلونكم كي يردوكم)[2] فهي إذا مرادفة (كي) التعليلية[3] ويقول أبوحيان: ({حتى يردوكم} يحتمل الغاية ويحتمل التعليل وعليهما حملها أبو البقاء، وهي متعلقة في الوجهين بـ {يقاتلونكم}. وقال ابن عطية: و {يردوكم} نصب بـ: (حتى)، لأنها غاية مجردة ... وتخريج الزمخشري أمكن من حيث المعنى، إذ يكون الفعل الصادر منهم المنافي للمؤمنين وهو المقاتلة، ذكر له علة توجيهاً، فالزمان مستغرق للفعل ما دامت علة الفعل، وذلك بخلاف الغاية فإنها تقييد في الفعل دون ذكر الحامل عليه، فزمان وجوده مقيد بغايته، وزمان وجود الفعل المعلل مقيد بوجود علة، وفرق في القوة بين المقيد بالغاية والمقيد بالعلة. لما في التقييد بالعلة من ذكر الحامل، وعدم ذلك في التقييد بالغاية.)[4] و{إن استطاعوا} فعل شرط مؤخر جوابه تقدم عليه في {لا يزالون}.والتقدير (إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم)[5]

هـ) ـ حتى الاستثنائية:- هي التي ترادف (إلاّ) في الاستثناء. تقول: « والله لا أفعل إلاّ أن تفعل « أي لا أفعل حتى تفعل. وهذا التفسير يقتضي أن (حتى)

(1) - أبو حيان. تفسير المحيط.ص:371. ج/1

(2) - . ابن هشام . مغني اللبيب.ج/1. ص: 235

(3) . قاله ابن هشام .مغني اللبيب. ج/1.ص: 145.

(4) - أبو حيان. تفسير المحيط.ص:159. ج/2 ت. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.ط/1. دار الكتب العلمية بيروت.1993

(5) - المصدر السابق نفسه.

تجيء بمعنى (إلاّ). والاستثناء في هذا القول مفرغ بالنسبة للظرف، إذ المعنى: لا أفعل في وقت من الأوقات إلاّ وقت فعلك والغاية ممكنة فيه. كقوله تعالى:{وما يعلمان من أحد حتّى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}البقرة.آ:102. (إذ المعنى: إلا أن يقولا إنما نحن فتنة. والاستثناء مفرغ للظرف. والمعنى؛ وما يعلمان أحدا في وقت إلا وقت أن يقولوا إنما نحن فتنة)[6] وقد سبقت (حتى) بجملة فعلية خبرية منفية {وما يعلمان} وجاء بعد (حتى) جملة مصدرية خبرية مثبتة {أن+يقولا}. فالصورة التركيبية للآية هي: حرف نفي+فعل+فاعل (ضمير متصل) +حرف جر+ أسم مجرور + حتى (أن+ فعل) + فاعل (ضمير متصل). والملاحظ أن التركيب الذي جاء بعد (حتى) جملة فعلها متعد والمفعول به مقول القول (نحن فتنة) جملة اسمية.. (وهنا هي مرادفة (إلاّ) في الاستثناء. وهذا المعنى ظاهر قول سيبويه في تفسير قولهم: «**والله لا أفعل إلاّ أن تفعل**» المعنى حتى أن تفعل.)[7] يقول أبو حيان: (« حتى» هنا حرف غاية، والمعنى انتفاء تعليمهما أو إعلامهما على اختلاف القولين في يعلمان، إلى أن يقولا إنما نحن فتنة. وقال أبو البقاء: « حتى « هنا بمعنى « إلاّ أن «، وهذا معنى لـ: « حتى « لا أعلم أحدا من المتقدّمين ذكره. وقد ذكره ابن مالك في التسهيل، وأنشد عليه في غيره: والبيت للمقنع الكندي. حيث يقول:-

ـ ليس العطاء من الفضول سماحة حتّى تجودَ وما لديك قليلُ

قال: يريد إلاّ أن تجودا.)[8] وهي هنا ناصبة للفعل بـ: أن مضمرة بعد « حتى «.وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

---

(6) - د/ محمود سعيد. حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه. ص: 184.

(7) . ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب. ج/1. ص: 145.

(8) -. تفسير المحيط.ص:501. ج/1.ت. عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض.ط/1. دار الكتب العلمية بيروت.1993

2) – حتى العاطفة:

وتقتضي المشاركة بين المتعاطفين في الإعراب رفعا ونصبا وجرا . مع قيام معنى الغاية، وذلك لما بين الغاية و العطف من المناسبة؛ من حيث أن المعطوف يتصل بالمعطوف عليه ويتوقف عليه، والغاية تتصل بالمغيا وتترتب عليه. وتكون عاطفة بشرطين: الأول أن يكون المعطوف جزءا من المعطوف عليه أو ما يتنزل منزلة البعض منه. والثاني أن ما بعد (حتى) لا بد أن يكون عظيما أو حقيرا. قويا أو ضعيفا، بعكس ما قبلها، أما في المعنى فالإشراك يكون في معنى الفعل. والصورة التركيبية لهذا الحرف (حتى) العاطفة تكون كالآتي:-

جملة فعلية أو اسمية+حتى+اسم مفرد (معطوف)
المعطوف عليه + حرف العطف + المعطوف

وذلك باعتبارها حرف عطف حملا على الواو. ولا يأتي ذلك إلاّ في المفردات. وبالتالي فهي لا تعطف الجمل؛ لأن شرط معطوفها أن يكون جزءا مما قبلها أو كجزء منه. كذلك إذا عطفت على مجرور أعيد الخافض، فرقا بينها و بين الجارة كقولك: (مررت بالقوم حتى بزيد)[1].

وحملت على (الواو) لأنها أشبهتها. (ووجه الشبه بينهما أن أصل(حتى) أن تكون غاية، وإذا كانت غاية كان ما بعدها داخلا في ما قبلها، ألا ترى أنك إذا قلت: جاءني القوم حتّى زيدٌ، كان (زيد) داخلا في المجيء، كما لو قلت: جاءني القوم وزيد؟ فلما أشبهت الواو في هذا المعنى، جاز أن تحمل عليها. فإن قيل: فلم إذا كانت عاطفة وجب أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها، ولا يجب ذلك في (الواو) ؟ قيل: لأنها لمّا كانت للغاية و الدلالةِ على أحد طرفي الشيء، فلا يُتصور أن يكون طرفي الشيء من غيره، فلو قلت: جاء الرجال حتّى النساء. لجعلت (النساء) غاية للرجال و مُنقطَعاً لهم، وذلك محال.)[2] وعن هذا

(1) . ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب. ج/1. ص: 148.

(2) - الأنباري. أسرار العربية. ص: 186.

الشرط يقول أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: (ومذهب أهل البصرة أنه لا يجوز أن يُعطف بها حتى يكون الثاني من الأول، قالوا: لو قلت « كلّمت العرب حتى العجم « لم يجز)[1]. وعندما فسر أحمد بن فارس مصطلح الغاية قال: (لأن «حتى « إنما جعلت لما تتناهى إليه الأشياء من أعلاها و أسفلها مما يكون منتهى في الغاية، فإذا قلت: «ضربت القوم حتى زيداً « جاز أن يتوهم السامع أن زيداً لم يدخل في الضرب، إما لأنه أعلاهم أو لأنه أدونهم، فمعنى (إلى) فيها قائم إذ كانت «إلى» منتهى الغاية.)[2] كقول الشاعر:

- قهرناكم حتى الكماة فأنتم تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا

أي أنتم و الكماة اشتركتم في صفة القهر التي حلت بكم. هذا في صدر البيت.أما عجز البيت فيدل على اتصاف القوم بالمهابة من قوم الشاعر وأبنائهم. وفيه معنى الغاية والتدرج من الكبير إلى الصغير. وهذا من شروط العطف بـ (حتى)، (أن يكون المعطوف غاية لما قبلها إما في زيادة أو نقص.

فالأول: الزيادة، مرجعه إلى الحس والمشاهدة نحو: «فلان يهب الأعداد الكثيرة حتى الألوف» فإن الألوف غاية في الزيادة الحسية. أو في زيادة معنوية - مرجعها إلى المعنى- نحو « مات الناس حتى الأنبياء - مات الناس حتى الملوك» فإن الأنبياء والملوك غاية الناس في الزيادة المعنوية، وهي الاتصاف بالنبوة أو الملك.

والثاني: النقص، و يكون حسيا أيضا. نحو: « المؤمن يجزى بالحسنات حتى مثقال الذرة « فإن مثقال الذرة غاية في النقص الحسي. أو نقص معنوي نحو: « غلبك الناس حتى الصبيان و النساء» فإن الصبيان والنساء في غاية النقص المعنوي وهو الاتصاف بالأنوثة والصبيان.)[3]

(1) - أحمد بن فارس . الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها. ص:222.

(2) - المصدر السابق نفسه. ص: 223.

(3) - د/ محمود سعيد.حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه.ص:181.

إن الأمثلة السالفة الذكر تدل على أن (حتى) عاطفة على مذكور في جملتها. كما في المثال السالف الذكر وهو على سبيل المثال (جاءني القوم حتى زيد)، فالمتعاطفان مذكوران.(القوم) معطوف عليه، وهو مذكور. (زيد) معطوف وهو مذكور كذلك.

3) – **حتى حرف ابتداء:**- والصورة التركيبية لهذا الحرف تكون كالآتي:-

جملة فعلية أو اسمية + حتى + جملة اسمية (ابتدائية لا محل لها من الإعراب).
الجملة الأولى + حرف ابتداء + الجملة الثانية.

باعتبارها حرف ابتداء. كـ: (أمّا)؛ أي حرفا تُبتدأ بعده الجمل، أي يُستأنف بعدها الكلام، وتكون الجملة بعدها لا محل لها من الإعراب، ومضمونها غاية لشيء قبلها – فهي تشارك الجارة و العاطفة في معنى الغاية - وعلامة (حتى) الابتدائية صلاحية جعل الفاء في موضعها، وكون ما بعدها فضلة متسبَّبا عنها. وهذه الجملة إمّا اسمية. كقول الفرزدق:

- فـوا عـجبا حتى كليبٌ تَسُبُّني كأنّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ

يقول ابن هشام: (ولا بد من تقدير محذوف قبل حتى في هذا البيت يكون ما بعد حتى غايةً له، أي فوا عجبا يسبني الناس حتى كليب تسبني.)[1].

والإعراب يكون كالآتي:

حتى= حرف ابتداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

كليب= مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

تسبُّ= فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة. والفاعل ضمير مستتر تقديره هي(كليب).

ـنـ= للوقاية حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب.

ـي= ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به. والجملة

(1). ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب. ج/1. ص: 149.

الفعلية (تسبني) في محل رفع خبر. والجملة الاسمية (كليب تسبني) ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

وإمّا فعلية وهنا تدخل (حتى) على الجملة الفعلية مصدرة بفعل ماض وتكون الصورة التركيبية كالآتي:

جملة فعلية أو اسمية + حتى + جملة فعلية (فعلها ماض) ابتدائية لا محل لها من الإعراب. الجملة الأولى + حرف ابتداء + الجملة الثانية.

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ...﴿٩٥﴾﴾الأعراف: 95 و﴿حتى في قوله : ﴿حتى عفوا وقالوا﴾ الآية، للغاية، والمعنى : ثم آتيناهم النعم مكان النقم فاستغرقوا فيها إلى أن نسوا ما كانوا عليه في حال الشدة وقالوا : إن هذه الحسنات وتلك السيئات من عادة الدهر فانتهى بهم إرسال الشدة ثم الرخاء إلى هذه الغاية، وكان ينبغي لهم أن يتذكروا عند ذلك ويهتدوا إلى مزيد الشكر بعد التضرع لكنهم غيروا الأمر فوضعوا هذه الغاية مكان تلك الغاية التي رضيها لهم ربهم فطبع الله بذلك على قلوبهم فلا يسمعون كلمة الحق. ولعل قوله : ﴿الضراء والسراء﴾ قدم فيه الضراء على السراء ليحاذي ما في قوله تعالى : ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ من الترتيب. و «عفوا» من مادة «عفو» التي تكون أحيانا بمعنى الكثرة، وأحيانا بمعنى الترك والإعراض ، وتارة تكون بمعنى محو آثار الشيء. ولكن لا يبعد أن يكون أصل جميع تلك الأمور هو الترك ، غاية ما هنالك قد يترك شيء لحاله حتى يتجذر، ويتوالد ويتناسل ويزداد، وربّما يترك حتى يهلك وينهدم تدريجا وشيئا فشيئا. ولهذا جاء بمعنى الزيادة والهلاك معا)[1] والتعبير: {عفوا}- إلى جانب دلالته على الكثرة- يوحي بحالة نفسية خاصة:

(1). الطباطبائي. تفسير الميزان. ج/8.ص : 433/435.

حالة قلة المبالاة. حالة الاستخفاف والاستهتار والتعبير: {عفوا}- إلى جانب دلالته على الكثرة- يوحي بحالة نفسية خاصة: حالة قلة المبالاة. حالة الاستخفاف والاستهتار. والإعراب يكون كالآتي:-

حتّى= حرف ابتداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب

عفُـ= فعل ماض مبني على الضم المقدرعلى الألف المحذوفة .وأصله: (عَفَاُوا.

ـوا= واو الجماعة. ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل. تقديره (هم).

والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

قلنا في ما سبق من هذا البحث أن ما يلي (حتى) قد يكون مجرورا بها، أو معربا على الإتباع، أو مرفوعا بالابتداء. ونضيف هنا اجتماع الثلاثة في التركيب عينه. كقول الشاعر.

ـ ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد، حتّى نعله ألقاها

(بجر «نعله» على أن « حتى « جارة. و بنصبها على وجهين: أحدهما أنها عاطفة، و الآخر أنها ابتدائية، و النصب بفعل مقدر يفسره الفعل الظاهر، وهذا من باب الاشتغال. والرفع على أنها ابتدائية. و»نعله « مبتدأ، وجملة (ألقاها) خبره.)[1] ويكون إعراب كل حالةكالآتي:-

- الحالة الأولى. (الجر)

حتى= حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

نعلِ= اسم مجرور بـ (حتى) وعلامة جره الكسرة. وهو مضاف.

ـهِ = ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه.

ـ الحالة الثانية. (النصب، الوجه الأول)

حتى = حرف عطف مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

---

(1) - د/ أميل بديع يعقوب . موسوعة النحو والصرف والإعراب.ص: 277. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.

نعلَ = اسم معطوف على «الصحيفة» منصوب وعلامة نصبه الفتحة. وهو مضاف.

ـهُ = ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.

ـ الحالة الثانية. (النصب، الوجه الثاني)

حتى = حرف ابتداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

نعلَ = مفعول به منصوب بفعل محذوف يفسره الفعل (ألقى) وهو مضاف.

ـه = ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.

والجملة الفعلية (ألقى نعله) ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

ـ الحالة الثالثة (الرفع).

حتى = حرف ابتداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

نعلُ = مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة. وهو مضاف.

ـهُ = ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.

ألقـا = فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف. و الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو).

هـا = ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

والجملة الفعلية (ألقاها) في محل رفع خبر للمبتدإ (نعله).

والجملة الاسمية (نعله ألقاها) ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

ـ العطف على مقدر.

ولقد تفرع عن هذا العطف - عطف (حتى) على مذكور - عطف (حتى) على غير مذكور سابق في الجملة. نحو: (إن ذوي الدخل الضعيف لم يستطيعوا حتى شراء ما يسد جوعهم). وظاهرة العطف بـ (حتى) على غير مذكور موجودة في عربيتنا الفصحى شعرا ونثرا منذ القرن الثالث الهجري على الأقل.

فهذا الشاعر الأندلسي يحيى بن الحكم الغزال (ت. 255هـ) قال:-

ـ أرى أهل اليسار إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور

ـ أبوا إلاّ مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور[1]

ففي البيت الثاني نرى أن البنية العميقة له: أبوا إلاّ مباهاة وفخرا على الفقراء في كل شيء حتى في القبور. ويصح أن تكون: أبوا إلاّ مباهاة وفخرا على الفقراء في كل شيء ومنها القبور. وهي تفيد منتهى الغاية، المعبرعنها بالمعطوف (في القبور).

والظاهرة نفسها نجدها في شعر أبي الطيب المتنبي (ت.354هـ) يقول:-

ـ فجازله حتى على الشمس حكمه وبان له حتى على البدر ميسم [2]

أي : والبنية العميقة لهذا البيت تكون كاالآتي. فجازله حكمه على كل شيء حتى على الشمس، وظهر اسمه على كل شيء حتى على البدر. وهي تفيد منتهى الغاية المعبرعنها بالمعطوف (على الشمس - على البدر)

إن ظاهرة العطف بـ(حتى) على غير مذكور نجدها كذلك عند غير الشعراء فهذا الطبيب ابن سينا في حديثه عن الأطفال يقول: (فإذا كانت بنيته غير متناسقة كان رديئا حتى في فهمه وعقله.)[3] والبنية العميقة لهذا التعبير يكون كالآتي: (فإذا كانت بنيته غير متناسقة كان رديئا في كل شيء حتى في فهمه وعقله). وهي تفيد منتهى الغاية في انشار السقم والضعف في جسده. كما نجدها عند البلاغيين كعبد القاهر الجرجاني عندما قال: (ولذلك نجد الشيء يلتبس منه حتى على أهل المعرفة)[4] و البنية العميقة لهذا التعبير يكون كالآتي: (ولذلك نجد الشيء يلتبس منه على عوام الناس حتى على أهل المعرفة) وهي تفيد منتهى الغاية المعبرعنها بالمعطوف (أهل المعرفة).

(1) - أحمد بن محمد المقّري.نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.تح.إحسان عباس. بيروت. دار صادرج/2.ص: 256.

(2) - أبو العلاء المعري. معجز أحمد. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي..تح: عبد المجيد دياب. ج/3. ص: 151. دار المعارف.القاهرة 1988.

(3) - الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا. القانون في الطب.ج/1.ص: 120.ط/ الأميرية 1289هـ.القاهرة.

(4) - عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة. ص:297. تح: هـ - ريتر. اسطنبول . وزارة المعارف. سنة 1954م.

وعند تتبعنا لمسار الأمثلة السالفة الذكر في هذه الظاهرة - العطف على غير مذكور - نجد المعطوف مركبا من الجار والمجرور ، أو من ظرف، كقول ابن الأثير: (وقتلوا منهم خلقا كثيرا حتى عند الضريح)[1] أما البنية العميقة لهذا التركيب فهي: (وقتلوا منهم خلقا كثيرا في أنحاء مختلفة حتى عند الضريح). فهو - المعطوف - بهذا شبه جملة. وأن (حتى) في جميعها كونها تفيد الغاية فهي كذلك تفيد التدرج من الأدنى إلى الأعلى كما في بيت أبي الطيب المتنبي. السالف الذكر. أو التدرج في عموم الوصف وانتشاره كما في مقولة ابن سينا. أو التدرج من الكل إلى الجزء كما في مقولة عبد القاهر الجرجاني.

وقد يرد المعطوف اسما ظاهرا مفردا معطوفا على غير مذكور، ومثاله ما جاء عن ابن الأثير عندما قال: (فأخذهم البربر وذبحوهم حتى النساء و الصبيان)[2] والبنية العميقة لهذا القول قد يكون كالآتي: (فأخذهم البربر وذبحوهم عن آخرهم حتى النساء والصبيان). فالمعطوف (النساء) ورد لفظا مفردا. و(حتى) في هذا التركيب تدل على بلوغ الغاية القصوى في الحقد والإجرام وسفك الدماء.

وقد يرد المعطوف تركيبا إضافيا - مضافا إلى المضمر- معطوفا على غير مذكور، ومثاله ماجاء عن العميدي في حديثه عن المتنبي، يقول: (ولولا أنه كان يجحد فضل من تقدمه من الشعراء وينكر حتى أسماءهم في محافل الرؤساء... لكان الناس يغضون عن معايبه)[3] أما البنية العميقة لهذا القول

(1) - عز الدين علي بن محمد الشيباني. المعروف بابن الأثير. الكامل في التاريخ.ص: 217. دار صادر بيروت.1979م. بعناية كارلوس جوهانز تورنبرج.

(2) - عز الدين علي بن محمد الشيباني. المعروف بابن الأثير. الكامل في التاريخ.ص: 217. دار صادر بيروت.1979م. بعناية كارلوس جوهانز تورنبرج.

(3) - أبو سعد محمد بن أحمد العميدي. الإبانة عن سرقات المتنبي.ص:24. تح: إبراهيم

هو (... وينكر فضلهم عليه حتى أسماءهم) فهي - (حتى) - تدل على معنى الغاية والتدرج بين المعطوفين.

كما يرد المعطوف تركيبا إضافيا - مضافا إلى المظهر- معطوفا على غير مذكور، ومثاله ما جاء عن ابن رشيق قوله: (كانت العرب لا تكتسب بالشعر، فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجرا. وقصد حتى ملك العجم.)[1]

ثم نجد الظاهرة كذلك بتركيب مغاير وهو أن المعطوف ورد اسما مبهما مثاله ما جاء عن الفقيه الداعية جواد مغنية. يقول: في تفسيره لقوله تعالى: {فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} آل عمران.آ:64.(أي فإن لم يقولوا حتى هذه البديهة، وأبوا إلاّ الشرك والعناد،فأعرض عنهم، وقل لهم أنت ومن آمن بك: اشهدوا بأنا مسلمون)[2] فالمعطوف في قول المفسر(هذه) معطوفة على غير مذكور في تفسيره. والتقدير فإن لم يقولوا شيئا.

الخاتمة :

من خلال ما تقدم نقول : تأتي «حتى» في اللغة العربية على خمسة أوجه:-

1)- ناصبة للفعل المضارع.بأن مضمرة وجوبا بعدها.

2)- جارة للاسم أو المصدر.بنفسها.

3)- عاطفة تشرك بين الأول و الثاني في اللفظ والمعنى إذا كانت بمعنى «الواو» .

الداسوقي البساطي .دار المعارف.القاهرة 1970م.

(1) - أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني.العمدة في صناعة الشعرونقده.ج/1.ص:181. تح.محمد محي الدين عبد الحميد.دار الجيل.بيروت. 1972م.

(2) - محمد جواد مغنية. التفسير الكاشف. ج/1. ص: 268. بيروت.

4)- عاطفة على غير مذكور في الجملة.

5)- ابتدائية غير عاملة. وما بعدها لامحل له من الإعراب.

وهي في هذه الأوجه جميعا تدل على الغاية إما مباشرة أو من خلال السياق. كما تحمل ظلالا دلالية من الجمع، بين التعظيم، أو التحقير، أو القوة، أو الضعف... إلخ، بحسب السياق الذي ترد فيه. كما تأتي مع الفعل المضارع وتكون إما غائية أو تعليلية أو استئنائيثة. وفي القرآن الكريم لم ترد (حتى) عاطفة. ذكر ذلك السيوطي[1] وعبد الخالق عضيمة[2].

***المصادر والمراجع:

1 - ابن الأنباري. أسرار االعربية.

2 - ابن خلكان – وفيات الأعيان- ج/6.

3 - ابن منظور. لسان العرب، مادة حرف. المجلد الثالث.

4 - ابن هشام . مغني اللبيب.ج/1.

5 - ابن هشام الأنصاري. مغني اللبيب ج/-1 ج/-2 ج/3.

6 - أبو العلاء المعري. معجز أحمد. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي..تح: عبد المجيد دياب. ج/3.- دار المعارف:القاهرة، 1988 .

7 - أبو حيان. تفسير المحيط، ج/-1 ج/2 تح. عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض.ط/1. دار الكتب العلمية: بيروت، 1993.

(1) - جلال الدين السيوطي.الإتقان في علوم القرآن.ج/1.ص:162.ط/السعادة، القاهرة.

(2) - محمد عبد الخالق عضيمة. دراسات لأسلوب القرآن الكريم.ج/2.ص:137. دار الحديث القاهرة.

8 - أبو سعد محمد بن أحمد العميدي. الإبانة عن سرقات المتنبي. تح. إبراهيم الداسوقي البساطي .دار المعارف: القاهرة، 1970م.

9 - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني.العمدة في صناعة الشعر ونقده.ج/1.تح.محمد محي الدين عبد الحميد.دار الجي:بيروت،972م.

10 - أحمد بن فارس . الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها.

11 - أحمد بن محمد المقّري.نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تح.إحسان عباس. بيروت. دار صادرج/2.

12 - الأنباري. أسرار العربية، تح. محمد بهجة البيطار.- طبعة المجمع العلمي بدمشق،[د.ت].

13 - تفسير ابن عاشور.

14 - د/ أميل بديع يعقوب . موسوعة النحو والصرف والإعراب، دار العلم للملايين.- بيروت: لبنان،[د.ت].

15 - د/ محمود سعيد.حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه.

16 - الزمخشري. المفصل في علم العربية.

17 - سيبويه. الكتاب ج/1.

18 - الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا. القانون في الطب.ج/1.ط.- الأميرية :القاهرة، 1289هـ[1873-1872م].

19 - الطباطبائي. تفسير الميزان. ج/8.

20 - عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة.. تح: هـ - ريتر. اسطنبول . وزارة المعارف. سنة 1954م.

21 - عز الدين علي بن محمد الشيباني. المعروف بابن الأثير. الكامل في التاريخ. ع.كارلوس جوهانز تورنبرج. -دار صادر :بيروت،1979م.

22 - قاله ابن هشام .مغني اللبيب. ج/1.

23 - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. مختار الصحاح.مادة (حرف).

24 - محمد جواد مغنية. التفسير الكاشف. ج/1.-دن: بيروت،دت.

25 - معجم العين. ج/3.

26 - معجم حروف المعاني في القرآن الكريم.

النقل الديداكتيكي لنظرية التلقي واستثمارها في قراءة النصوص المدرسيّة

د.سميرة وعزيب
– باحثة بالمجمع الجزائري للغة العربية ر2 -
samouazib@gmail.com

ملخص:

لقد حملت الدراسات اللسانية الحديثة نظريات ومفاهيم حديثة قوّضت ما سبقها، ومن ذلك نظريات القراءة والتلقي والتأويل التي أولت كل الاهتمام للمتلقي على حساب النص والكاتب اللذان تربعا على عرش النظريات النقدية والأدبية طويلا، وكان هذا شأن الدراسات البيداغوجية و الديداكتيكية أيضا، حيث جعلت المتلقي / المتعلم في بؤرة الاهتمام بل ومحور العملية التعليمية/التعلمية.

وعليه تحاول هذه الدراسة إبراز كيفية نقل هذه النظرية واستثمارها في قراءة النصوص المدرسية وكذا طبيعة النشاطات التي يقوم بها القارئ/ المتعلم.

مقدمة:

لقد أولت الدراسات النقدية الحديثة اهتماما كبيرا لنظريات التلقي والقراءة والتأويل، وذلك بعد التحوّل الذي عرفه مجال الدراسات النقدية والأدبية الحديثة من النصّ إلى القارئ، الذي طالما كان مُغيّبا في الدراسات الأدبيّة الّتي اهتمت بالمنتَج (النص) وقبله بالمنتِج (المؤلف)، دون أن يكون له نصيب باعتباره أحد العناصر المتفاعلة مع النص في عملية القراءة.

وتعتبر نظريتا جمالية التلقي لهانس روبيرت ياوس (H.R.Jouss) ونظرية القارئ الضمني لولفغانغآيزر (W.Iser) من بين نظريات كثيرة عالجت مسألة التلقي من حيث الكيفية التي يُقرأ بها النص وما يمكن قراءته فيه، غيرأن هذه النظريات لا تخرج عن مسار الدراسات النقدية التي أولت اهتمامها للقراءة المتخصصة وقرّاء ذوي مستوى ثقافي معين، وقد تلقت عدة انتقادات منها <<اقتصارها على دراسة قراءات نظرية منجزة من طرف قراء مجردين>>[1] وكذلك ما أفضت إليه من <<الخلط بين القارئ الذي يشكله أصحابها والقارئ الحقيقي الذي تسعى إلى وصفه وتفسيره>>[2]، وهو ما يدعونا للبحث عن كيفية استثمارها وفق ما يتماشى والمجال التعليمي وتطبيقها على القراءة التعليمية المدرسية التي تأخذ في الاعتبار طبيعة القارئ المتعلم وتفاعله مع النص القرائي وكذا طبيعة النشاطات التي يقوم بها أثناء فعل القراءة.

فما هو دور القارئ المتعلم اليوم وكيف يتلقى النص الأدبي وما طبيعة هذه النشاطات التي يقوم بها ؟

1 - الكفاءة النصيّة:

إذا كانت المقاربة التواصلية في المجال التعليمي ترمي إلى جعل المتعلمين يتحكمون في نظام لغوي ما، بشكل وظيفي يظهر على مستوى الاستعمال الفردي في إطار العملية التواصلية، فإن ذلك لا يتحقق إلا من خلال إكسابهم كفاءة نصيّة.

وردفي مفهوم الكفاءة النصية في معجم علوم التربية والديداكتيك أنها << قدرة الفرد على فهم الأقوال وإنتاجها في مواقف تواصلية>>[3]، ويحيلنا

(1)- محمد البرهمي، القراءة المنهجية للنصوص تنظيروتطبيق، TOP EDITION، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص.27.

(2)- المرجع نفسه، ص.28.

(3)- عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 1994ص.44.

هذا التعريف إلى ثلاث نقاط تبدو أساسية في مفهوم الكفاءة النصية وهي: الفهم، الإنتاج والتواصل، أي أن الفهم يأتي في المقام الأول، ثم الإنتاج وذلك بغية تحقيق التواصل وهو الهدف من عملية تدريس النصوص وتعليمها، فلكي نحكم على متعلم ما بأنه قد امتلك كفاءة نصية<<ينبغي أن يكون قادرا على تلقي نص وتفكيك مدلوله، وإنتاج نص يناسب وضعية معينة >> [1] ما يعني أن الكفاءة النصية هي تحقيق كفاءة التلقي أولا وكفاءة الإنتاج ثانيا.

وتستخدم الكفاءة النصية عند اشتغالها محورين هما:

<< 1 - محور خطي لتحقيق المتوالية الكلامية في شكل جمل.

2 -محور دلالي للعلامة اللغوية أي قدرتها الإحالية على وقائع وأشياء توجد خارج اللغة>>[2]

يتمظهر المحور الخطي من خلال البنية الكلية (النص) التي تندمج فيها هذه الجمل، والتي يوظف فيها المتعلم معارفه اللغوية نحوا وصرفا وإملاء وتركيبا، أي استثمار مكتسباته اللغوية التي سبق وتعلمها خلال مساره الدراسي وإدماجها لإنشاء متواليات من الجمل المتسقة والمترابطة فيما بينها.

في حين يتمثل المحور الدلالي للعلامة اللغوية في تحديد المراجع الإحالية التي يستمدها المتعلم من خبراته السابقة ومعارفه وثقافته الموسوعية في المجالات المختلفة، والتي تلعب النصوص دورا هاما في تنميتها وتطويرها.

1-1كفاءة التلقي:

ترتبط كفاءة التلقي بمفهومها البيداغوجي بنشاط القراءة، ولهذه الأخيرة أهمية كبيرة، تظهر من حيث كونها نشاطا قارا يمارَس داخل القسم (القراءة الصامتة والجهرية) في كل الأطوار والمراحل الدراسية، كما أنّها المجال الذي

(1)- عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ج 1، ط1، 2006، ص.169.

(2)- ميلود حبيبي، الاتصال التربوي وتدريس الأدب: دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993 ص.114.

تتحقق من خلاله كفاءة التلقي، ويعرف روبيرغاليسون (R.Gallisson) ودانييل كوست (D.Coste) القراءة بأنها:

<<1 - عملية تحديد الحروف ثم تجميعها لفهم العلاقة بين ما هو مكتوب وما هو منطوق.

2 -إرسال نص مكتوب بصوت مرتفع، ويفترض الانتقال من النظام الكتابي إلى النظام الصوتي معرفة بالقوانين التي تتحكم في التبديل المكاني للكلمات و التي تكون فرعا يسمى ضبط اللفظ.

3 - عملية تحريك العيون على ما هو مكتوب لمعرفة المضمون>>.[1]

غير أن القراءة ليست مجرد فعل آلي يتكرر كل مرة بالطريقة نفسها، بل هي: <<مهارة فهم وتفاعل مع المقروء واستجابة له لمواجهة المشكلات اليومية وهي عملية فكرية تعقلية تهدف إلى الفهم وترجمة الرموز الكتابية الخطية إلى مفاهيمها ومحتوياتها من الأفكار والمعاني>>[2]، فالقارئ بهذا المفهوم لم يعد مجرد متلقّ سلبي،لأنه لا يكتفي بتلقي المعارف والمعلومات التي يحتويها النص بكيفية حيادية بل هو أثناء فعل القراءة يقوم <<بسيرورة دينامية للترجمة والانتقاء والتأويل، يحاول فيها تجاوز اكتساب المعارف كما تمّ بثها (=كتابتها) إلى محاولة إعادة بناء تلك المعلومات>>[3]، هذه العمليات التي تتسم بالتجريد تظهر على مستوى:

<< - ترجمة الدال إلى مدلولات.

- انتقاء المعلومات البارزة (= الأهمية) والمفيدة (= الاهتمام)

---

(1)R.Galisson et D.Coste, Dictionnaire de didactique des langues, Hachette, Paris, 4eme édition, 1979 p.312.

(2)- بشير إبرير، «التواصل مع ا لنص: إشكالاتالفهموالقراءةالفعالة»،في:اللسانيات، مركزالبحوثالعلميةوالتقنيةلترقيةاللغةالعربية،الجزائر،عدد 10، 2005، ص.39.

(3)- ميلود حبيبي، بيداغوجيا التلقي واستراتيجيات التعلم، تلقي النصوص الأدبية بين تأثير البنية النصية والموسوعة المعرفية» في: من قضايا التلقي والتأويل، كلية الآداب بالرباط،المغرب،ط 1، 1994، ص.196.

- تجاوز سطح النص إلى البحث عن المضمرات والمسكوت عنه بتقديم افتراضات تأويلية >>[1] .

ويشكل القارئ والنص والسياق حسب ما يذهب إليه الباحثون البيداغوجيون العناصر الأساسية المتفاعلة في فعل القراءة المدرسية حيث يُعرّف القارئ <<ببنياته المعرفية واستعداده ومواقفه التي تكون وراء نشاطه القرائي>>[2]، أما النص فهو<<المادة المقروءة التي تتضمن ثلاثة عناصر أساسية هي:

أ) **بنية النص:** تحيل البنية على الطريقة التي ينظَّم بها النص.

ب) **محتواه:** يحيل المحتوى على عناصر النص ومفاهيمه ولغته.

ج) **مقصديته:** تحدد اتجاه العنصرين السابقين. فقد يستهدف النص الإمتاع أو الإقناع أو الإخبار...الخ>>[3]

في حين يتضمن السياق <<عناصر لا تشكل جزءا عضويا من النص ولا ترتبط مباشرة ببنيات القارئ أو عملياته، ولكنها تؤثر في فهمه >> [4] .

وعليه يُعتبر نشاط القراءة المجال الأول والأمثل الذي يستطيع من خلاله المتعلم اكتساب معارف جديدة في مختلف الميادين، معارف تتنوع بتنوع النصوص المقترحة، وهي الفرصة التي يستطيع المتعلم من خلالها أن يكتشف مواطن ضعفه في أيّ مستوى من مستويات اللغة كالنحو والصرف، ومنه محاولة تفاديها مستقبلا في قراءات أخرى، كما من شأنها أيضا أن تنمي لديه الحس الذوقي والتعبير الإبداعي من خلال التراكيب التي يتعلمها والتي يوظفها لاحقا في إنتاجه الخاص، بالإضافة إلى أنها تمكنه من <<العدة النقدية الضرورية لتحليل النصوص >> [5] وكذا <<الأدوات

(1)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(2)- محمد البرهمي، القراءة المنهجية للنصوص تنظيروتطبيق، ص.34.

(3)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(4)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(5)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص: (المرجعيات،المقاطع،الآليا

والآليات التي تساعده على التواصل الأدبي مع النصوص >> [1] ويكون ذلك من خلال << تقريب المفاهيم النقدية والمصطلحات الدالة عليها >> [2] وذلك ليس بغرض استخدامها في قراءة النصوص المدرسية وتحليلها فحسب، بل حتى في حياته اليومية لأن هذه النصوص النقدية <<تعلمه طريقة في التفكير والحجاج والمعالجة النصية>>[3].

كما أنّ القراءة في ظل المقاربة النصية هي مفتاح ذهن المتعلم لفهم بقية النشاطات اللغوية، فالنص القرائي الذي تُفتتح به الوحدة التعلمية يمثل بؤرة التعلمات منه يكون الانطلاق لاكتساب معارف جديدة، والفهم الجيد للنص المقروء هو فهم جيد أيضا لما يتضمنه من ظواهر نحوية، صرفية وبلاغية...الخ، مستقاة من النص ذاته، والعكس صحيح، فنص القراءة الذي يستعصي على المتعلم يصبح عائقا أمام تقدمه لفهم بقية الظواهر اللغوية، ومن هنا يكتسي نشاط القراءة أهميته في المدرسة.

ويمكن أن نلخص بعض أهداف القراءة في النقاط الآتية:

<<- تنمية قدرة التلميذ على القراءة وسرعته فيها، وجودة نطقه وأدائه وتمثيله للمعنى.

- فهمه للمقروء فهما صحيحا، وتمييزه بين الأفكار الأساسية والعرضية فيه، وتكوينه الأحكام النقدية عليه.

- تنمية قدرة التلميذ على تتبع ما يسمع و فهمه فهما صحيحا، ونقده والانتفاع به في الحياة العملية.

- تحصيل المعلومات وتنميتها وتنسيقها.

ت،تقنيات التنشيط)،دارالثقافةللنشروالتوزيع،الدارالبيضاء،المغرب،ط1، 1998، ص.100.

(1)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

- الكسب اللغوي، وتنمية حصيلة التلميذ من المفردات والتراكيب الجديدة والعبارات الجميلة.

- تدريب التلميذ على التعبير الصحيح عن معنى ما قرأ >> [1].

1 - 2آليات تلقي النصوص:

تتطلب عملية قراءة النصوص وبالتالي تلقيها،آلي ت ذهنية يستدعيها القارئ أثناءها، وهي ليست بالعملية السّهلة، أو على الأقل ليست بتلك البساطة التي كان يُنظر إليها سابقا،إذا لقراءة اليوم قراءة منهجية<< تنظر إلى النص باعتباره نسيجا علائقيا، لمكونات خارجية و داخلية متفاعلة>>[2]، تتعلق الخارجية بالذات القارئة بينما تختص الداخلية بالنص، والتفاعل هو العلاقة التي تقوم بينهما وهو أهم عامل لتحقيق كفاءة التلقي حسب النظريات المعاصرة التي ترى أن القارئ ليس مطالبا فقط بالبحث عن انسجام وملائمة المعاني بصورة نمطية مكررة بل مطالب أيضا بـ<< شحذ كفاياته القرائية بكيفية تمهيرية، تمكنه من اكتساب آليات تحليل قابلة للنقل، بغرض توظيفها في قراءة مجالات أخرى>>[3]، وهنا يتبيّن لنا أن القراءة لا تستهدف فقط التمكن من الولوج إلى المعاني المبثوثة في النص التعليمي، سواء كان أدبيا أم لا، وإنما تهدف إلى أبعد من ذلك وهو إكساب المتعلم آليات للتحليل بحيث يتمكن من استدعائها ومن ثم توظيفها كلما كان بصدد فعل القراءة، وهو المطلوب تماما من المدرسة أن تعززه و أن تعمل على تنميته لدى المتعلم، الذي غالبا ما يقف عاجزا عن تحليل نص سياسي مثلا، يقرؤه في جريدة ما، نظرا لافتقارهل هذه الآليات. وتتمثل هذه العمليات الذهنية في: الإدراك، الفهم والتخزين.

---

(1)- جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوعي، الجزائر، ط13، 2012 ، ص.85.

(2)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ص.14

(3)-المرجع نفسه،ص.18، 19.

أ ـ الإدراك:

يذهب أغلب الباحثين في علم النفس إلى أن <<العلاقة بين الحاسة المستخدمة في الإدراك والدماغ البشري مؤثرة في نوع هذا الإدراك نفسه>>[1]، وفي حالة تلقي النصوص المكتوبة فإن القارئ (المتعلم) يستخدم حاسته البصرية أي العين لنقل الإشارات والرموز التي يتوفر عليها النص والتي يتكفل الدماغ فيما بعد بمعالجتها في شكل معلومات، ولهذا فإن المتعلم أثناء فعل القراءة يقوم بنقل الدوال بواسطة العين التي تتحرك <<لا بشكل خطي كما يُعتقد خطأ، بل في شكل قفزات متتالية محدودة في الزمان والحيز>>[2] وذلك ما نسمّيه بالقراءة الأولية وهي قراءة سريعة تقوم بحفظ المعلومات بطريقة اختزالية انتقائية، فلإدراك نص ما يستخدم القارئ معطيين أساسيين وهما:

<<- معطى بصري ووسيلته العين.

- ومعطى معرفي ناتج عن استخدام القارئ لموسوعته المعرفية المخزونة ووظيفته التوسط في استحضار تمثلات ذهنية قادرة على ترجمة الدوال إلى مدلولات>>[3].

ولإنشاء هذه الدلالات أثناء القراءة لابد من عنصر آخر يكون الدماغ مسؤولا عن إصداره، يعمل على ربط المكتسبات القبلية ومجموع التجارب السابقة للمتعلم بالمكتسبات الجديدة، ألا وهو الفهم.

ب- الفهم:

مما لا يختلف فيه اثنان أنه ولكي يتمكن القارئ من النفاذ إلى معنى النص لا بد له من كفاءة الفهم، وهذا الأخير هو <<عملية ذهنية تنتج عن فك شفرة رسالة، ما يسمح للقارئ (فهم المكتوب) أو السامع (فهم المنطوق) بتعيين الدلالة التي تغطيها الدلالات المكتوبة أو المسموعة>> [4]وبما أنه عملية ذهنية

(1)- ميلود حبيبي، بيداغوجيا التلقي واستراتيجيات التعلم، ص.201.

(2)-المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(3)- ميلود حبيبي، بيداغوجيا التلقي واستراتيجيات التعلم،ص.201.

(4)- R.GALISSON et D.COSTE, Dictionnaire de didactique des langues,p.110

فهو يتطلب توافر مجموعة من الميكانيزمات والكفاءات التي تتظافر أثناء فعل القراءة ومحاولة اكتشاف المعنى، ولذلك فإن هذه الكفاءة لا تتأتى إلا من خلال المعرفة بالنظام اللغوي بكل مستوياته الصرفي والنحوي والتركيبي والمعجمي أي التمكن من الكفاءة اللسانية ، ومعرفة بالمحتوى المرجعي الذي يحيل إليه النص أي <<معرفة بقوانين الاشتغال النصي والتناص (تنظيم الجمل فيما بينها، وظيفة النص، علاقة النص بنصوص أخرى)>>[1]، في معنى الاشتغال النصي يمكن التمييز بين معرفة الخطاطات الشكلية للنصوص، ومعرفة خطاطات المضمون حيث <<يقصد بالخطاطات الشكلية للنص تنظيم العناصر التي تكونه، إذ من المعلوم أن للنصوص تنظيمات نوعية مختلفة باختلاف الوظائف والمقاصد والأسس التي تقوم عليها... هكذا يمكن القول بأن البنية السردية توظف في القصة القصيرة وفي الرواية كما يمكن أن يستعان بها لتقديم حدث عارض أو حدث سياسي، كما يمكن التعرف على البنية الوصفية في الدلائل السياحية أو في كنف النصوص الأدبية...] أما خطاطات المضمون[فلها علاقة وثيقة بالكفاءة الثقافية للقارئ إذ إن الموسوعة المعرفية التي يمتلكها القارئ تتيح له إمكانية ربط المعارف المقروءة بالتجارب و المعارف السابقة و تشكيل «سيناريوهات» تتمثل في استحضار مواقف أو أفعال أو حتى معرفة مرجعية سابقة لهذا الموضوع أو ذاك>>[2].

ومعنى هذا أنه ليتحصل القارئ على كفاءة فهم شاملة تسمح له بالتوغل في أعماق النص واستخراج مكنوناته ومعانيه الدفينة، لا بُد له من معرفة بالخطاطة الشكلية للنص والتي يُقصد بها البنية النصيّة التي ينتمي إليها هذا الأخير، وبالتالي التقرب من الهدف الذي قيل من أجله، فمعرفة البنية الحجاجية مثلا تساعد المتعلم على وضع تصورات أو تمثلات أولية تتمثل

(1)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ص.112.

(2)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

في التكهن بما يحاول النص أن يقوله من خلال هذه البنية وهو الدفاع عن قضية أو طرح رأي ما، وكذلك الأمر بالنسبة لبقية البُنى النصية.

كما أنه لا يمكن إغفال الجانب الذاتي للقارئ والمتمثل في مرجعياته الثقافية (الكفاءة الموسوعية)، تلك التي اكتسبها من قراءات سابقة في مختلف مراحله الدراسية وفي مختلف المواد الدراسية أيضا، ولهذا فإن الخبرات السابقة تعتبر جد مهمة ومساعدة على تحصيل كفاءة الفهم إذ <<لا يمكنه]القارئ[أن يواجه النص دون الاستعانة بمكتسباته القبلية ومعارفه السابقة، مثلما أن النص لا يصبح له معنى إلا بعد خضوعه لعمليات الانتقاء والتصفية والتحويل التي تعمل على إدماجه في البنية المعرفية للمتلقي>>[1] وهو ما يؤكده روجرس (Roegiers) بقوله إن <<المكتسبات القبلية الضرورية أهداف تعد ملكتها ضرورية في بداية التعلم و إلا وقع الإخفاق >> [2].

التخزين:

من البديهي أن يقوم المتعلم أثناء تلقيه للنصوص بعملية تخزين للمعلومات و المعارف الجديدة في الوقت ذاته و ذلك ليتسنى له استرجاعها في وقت لاحق سواء في قراءة أخرى أو في عملية الإنتاج الشفهي أو الكتابي.

و لكن الذاكرة لم تعد مجرد وعاء للتخزين وحفظ المعلومات كما كان يُنظر إليها سابقا، بل هي اليوم في ظل النظريات النفسية والإعلامية الحديثة<<اشتغال وظيفي>>[3] وبهذا فقد تحول الخطاب عن الذاكرة إلى خطاب عن أنساق للتخزين والاستفادة وإعادة الإنتاج، وهي في ذلك تشتغل بكيفية متكاملة ومتداخلة[4].

---

(1)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ص.108.

(2)- بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص.344.

(3)- ميلود حبيبي، بيداغوجيا التلقي واستراتيجيات التعلم، ص.202.

(4)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

ويتجسد التخزين انطلاقا من كل هذا من خلال:

<<**السجل الحسي:** الذي يشتغل استجابة لحافز خارجي.

التخزين القصير المدى: ويسمى كذلك بالذاكرة المباشرة أو العلمية (نسق للمعالجة والاحتفاظ الوظيفي).

التخزين البعيد المدى: أو الذاكرة العميقة، وهو نسق للتخزين والاحتفاظ بالمعلومات لمدة طويلة، حسب أهميتها أولا واهتمام الشخص بها ثانيا>>[1].

ومن هنا فإن احتفاظ المتعلم بالمعارف على مستوى الذاكرة العميقة هو الأنجع والمطلوب أيضا في العملية التعليمية/التعلمية، وخاصة في تحصيل تعلّمات وظيفية، إذ لطالما اكتفت بيداغوجيات التعليم سابقا باستهداف ذاكرة المتعلم القصيرة المدى حيث يحتفظ بالمعلومة لفترة وجيزة تكون غالبا مرتبطة بفترة الامتحانات التي تمثل الهاجس الأول للمتعلم، ثم لا يلبث أن ينساها فور خروجه من المدرسة خاصة إذا لم يعد إليها مرة ثانية في موقف مماثل من مواقف حياته اليومية.

غير أنّ الاحتفاظ بالمعلومات لإعادة استرجاعها في مواقف تواصلية معيّنة أو في الاختبارات التي تُجرى في القسم لا يكفي بل لا بدّ من أن يكون المتعلم قادرا على فهم المعطيات المعرفية التي قام بتخزينها، باعتبار أن عملية التخزين << لا تُختصر في النظر إلى الذاكرة كخزان للمعلومات، بل كاشتغال دينامي وظيفته معالجة المعلومات (في الذاكرة العملية) وتنظيمها والاحتفاظ بها (في الذاكرة البعيدة المدى>>[2] خلاصة القول، أنه ولكي نحقق كفاءة في تلقي النصوص يجب أن يكون المتعلم قادرا على:

(1)- المرجع نفسه والصفحة نفسها

(2)- ميلود حبيبي، النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج، من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة، في: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ص.169.

<<- معرفة موضوع النص بدون تردد، وبمجرد إدراكه للدوال النصية والإشارات خارج-نصية.

- معرفة العلاقات العامة للاستمرار النصي.

- معرفة التمفصلات البنيوية الكبرى للنص كنسق موجه.

- التمييز بين الأنواع النصية.

- معرفة «الأدبية» وخصائصها في مختلف الأنواع النصية>>.[1]

إنّ التلقي البيداغوجي الجيّد للنصوص القرائية، يتعثر بمجموعة من الصعوبات المتعلقة إما بالنص أو بالسياق أو بالمتلقي نفسه، وهي صعوبات شخّصها الدارسون والمهتمون بالشؤون التربوية التعليمية ومن ذلك ما سنذكره فيما يلي.

2. صعوبات تلقي النصوص الأدبية:

تواجه المتعلم عدة صعوبات تتعلّق بتلقي النصوص الأدبية، خاصّة في مرحلة التعليم الثانوي حيث يتعرّف للمرة الأولى على نصوص أدبيّة تعود لعصور زمنيّة بعيدة – نظرا للمدخل التاريخي المعتمد في تنظيم المحتويات- وسنحاول حصر هذه الصعوبات في النقاط الآتية:

إن تفاعل العناصر الثلاثة {النص، القارئ والسياق} هو ما يؤدي إلى نجاح عملية التلقي وتحقيق الهدف المرجو من القراءة ألا وهو الفهم، فالعلاقة القائمة بين هذه العناصر هو ما يشكل الفارق بالنسبة لدرجة استيعاب المتعلم للنص القرائي وفهمه، فإما أن تكون العلاقة جيدة، ما يتيح إمكانية الفهم الجيد، أو العكس، ومثال ذلككما يوضح محمد البرهمي، الوضعية التي يكون فيها النص <<ملائما للمستوى الإدراكي للقارئ المتعلم، ولكن القراءة تنجز في سياق غير ملائم كأن يقرأ المتعلم أول مرة قراءة جهرية همزية أبي القاسم الشابي في فصل فيه جلبة وضوضاء، لا يسمح له بتمثل

(1)- ميلود حبيبي، الاتصال التربوي وتدريس الأدب، ص.116.

هذه القصيدة التي مطلعها: سأعيشُ رغمَ الدَّاءِ والأعدَاءِ كالنّسرِ فوق القمَّةِ الشَّمّاءِ >>[1].

فمن المؤكد أن القارئ هنا يجد صعوبة في قراءة النص وبالتالي في فهم معانيه، إذ هو يبذل جهدا عضليا إضافيا نتيجة مخارج الأصوات من جهة والضوضاء التي تسود القسم من جهة أخرى، وبهذا يتشتت ذهنه بين محاولة إيصال صوته لزملائه وبين محاولة فهمه لما يقرأ.

أو الوضعية التي<< يكون فيها سياق القراءة مساعدا على تحقيق تمثّل أفضل للنص المقروء، غير أن ذلك لا يكون ميسرا بسبب بنية النص أو محتواه، أو هما معا البعيدين عن المستوى الإدراكي للقارئ المتعلم >> [2]

وانطلاقا من الفكرة الأخيرة تتبدى لنا صعوبة أخرى تتمثل في عدم امتلاك المتعلم لتمثلات واضحة عن البنية النصيّة والخطاطة التي ينبني عليها النص، فإذا لم يكتسب آليات اشتغال البنية الحجاجية مثلا لا يمكنه التفاعل مع النص وفهم مدلولاته، إذ لا بدّ من معرفة مبطّنة بكيفية اشتغال هذه البنية أوتلك كما أن النص الأدبي وبالنظر إلى طبيعته الشعريّة والتخييلية <<يحتاج إلى ترميز خاص في مستوى الكتابة وإلى تفكيك يراعي هذه الخصوصية في مستوى الفهم والتأويل>>[3]وعليه لا بد من توفير أدوات منهجية تساعد المتعلم على تفكيك هذه الرموز.

هذا ويؤكد التربويون على ضرورة أن تكون النصوص التعليمية المختارة قريبة من واقع المتعلم مستمدة من قضايا عصره كونها تساعده على الاقتراب من معنى النص والتفاعل معه والتمكن من استدعاء معارفه السابقة التي تلقاها قبلا ليدمجها أثناء فعل القراءة ويقوم بربطها بالمعارف الجديدة التي يكون بصدد بنائها في عملية تفاعلية، وفي الحديث عن المكتسبات القبلية

(1)- محمد البرهمي، القراءة المنهجية للنصوص تنظيروتطبيق، ص.35.

(2)- المرجع نفسه، ص.35.

(3)- ميلود حبيبي، النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج،ص.168.

للمتعلم يؤكد الباحثون أيضا على أن لحظة ما قبل القراءة لحظة هامة بالنسبة للمتعلم بل هي <<لحظة منهجية ثمينة ينبغي استغلالها بيداغوجيا في إزاحة العوائق المعرفية التي تحول دون الاكتساب النوعي للمفاهيم التي ينبني عليها صرح المراحل القرائية اللاحقة>>[1] أما المفاهيم التي تُقصد هنا والتي تشكل حاجزا بين القارئ وبين فهمه للنص فهي من قبيل << مفهوم الثقافة الأدبية، مفهوم المؤثرات البيئية، مفهوم العصر الأدبي، مفهوم السياق التاريخي، مفهوم العلاقة الجدلية بين الأدب والواقع، مفهوم النوع، مفهوم الجنس الأدبي، مفهوم التخييل، الإبداع، الكتابة...الخ >>[2].

ومن هنا فإن المتعلم الذي لا يمتلك معلومات كافية عن الدائرة التي يتموقع فيها النص لن يتمكن بالضرورة من التفاعل معه وبالتالي فهم مدلولاته، لأنه سيواجهه بذهن خالٍ، فاقد للمعطيات الأولية التي يستأنس بها أثناء فعل القراءة، ومنه نقول بضرورة وجود مثل هذه المؤشرات في النصوص الأدبية المبرمجة في مرحلة التعليم الثانوي تحديدا، والتي تبدو مستغلقة على قارئها الذي لم يتعرف في مراحله الدراسية السابقة إلا على نصوصٍ عادية لا تعدو أن تكون مقتطفات كُتبت بلغة عصرية وأسلوب بسيط (لمرحلة التعليم المتوسط)، وتجدر الإشارة إلى أن ذلك لا يعني أن نضع أمام المتعلم موسوعة خاصة بكل موضوع، و لا أن نقدم له كافة المعلومات الجانبية المصاحبة للنص، إذ يكفي أن نشير إلى أهم المعطيات التي تحيط به و التي تساعد على فكّه، أي الاكتفاء بالمفاهيم المفتاحية دون إفراط و لا تفريط خاصة وأنّ <<هذه المعرفة الخارجية المؤطرة للنص، ليست هدفا في ذاتها بقدر ما هي وسيلة لتشكيل الوعي الأولي بفضاء و حدود القراءة >>[3].

(1)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ص.37.

(2)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ص.37.

(3)- المرجع نفسه، ص.38.

ومن بين أكثر العوائق والصعوبات التي تحول دون فهم المتعلم للمعنى المُتضمّن في النص عجزه عن إقامة علاقات بين مختلف وحداته وعناصره مثلما يؤكد الباحثون، وتكون غالبا: <<صعوبات معجمية أو مرتبطة بالتنظيم النصي (عدم ضبط التلميذ للمستوى التركيبي للغة ككل وللقواعد المنظمة لتعالقات الجمل فيما بينها) أو بالمجال المرجعي (المضمون، الموضوع المعالج..)>>[1].

فإذن، تتعلق هذه الصعوبات بالكفاءتين اللسانية والموسوعية، حيث يتعذر على المتعلم أن يصل إلى المعاني المبثوثة في النص ما لم يكتسبهما، وكثيرا ما يجد المتعلمون أنفسهم أمام هذا العجز حينما يكون مستوى النص يفوق قدراتهم على الفهم ولهذا يُشترط في النص <<أن لا يكون مستغلقا غامضا... مثلما يشترط فيه من ناحية ثانية أن لا يكون مغرقا في البساطة والوضوح حتى لا يفرغ محاولات بناء المعنى من الجدية المطلوبة>>[2]، فالنص المستغلق على الفهم والذي لا يتماشى ومستوى المتعلمين الفكري والعمري – خاصة من حيث المعجم- يتطلب من هؤلاء العودة في كل مرة إلى القواميس في محاولة لشرح المفردات الصعبة و مثل هذا الإجراء كما يؤكد الباحثون من شأنه <<أن يحمل إلى النص المعالج، دلالات مشوشة قد تعيق فعل بناء المعنى>>[3]، لكن، هذا لا يعني في المقابل تذليل الصعوبات اللغوية، بل يجب أن يتمتع النص بشيء من التمنع والانغلاق الذي يجلب للقارئ عنصر التشويق و الرغبة في خوض غماره والبحث عن الدلالات التي يفضي بها سياقه العام، إذ الفهم لا يعني تجاوز كل الصعوبات المعجمية و شرح كل المفردات المستعصية مادام السياق العام للنص يتكفل ببسط دلالاتها أثناء القراءة.

---

(1)- المرجع نفسه، ص.109.

(2)- المرجع نفسه، ص.136.

(3)- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص.135.

خاتمة:

إنّ التحوّل عن النص والكاتب والاهتمام بالقارئ وبعملية التلقي لم يتوقف على النظريات التي أفرزتها الدراسات النقدية والأدبيّة فحسب، بل كان هذا الاهتمام من صميم مباحث حقل التعليم والبيداغوجيا ومن أهم المبادئ التي تقوم عليها المقاربة بالكفاءات التي اعتمدتها المدرسة الجزائرية عقب إصلاح 2003 والتي أولت المتعلم أهميّة بالغة باعتباره محورا للعملية التعليمية/ التعلمية.

ومن هنا كان استثمار هذه النظريات والدراسات التي جادت بها الحركة النقدية والأدبية وتكييفها بما يتماشى والمتطلبّات البيداغوجية ضرورة لابدّ منهامن أجل الخروج عن دائرة المقاربات التقليدية التي تنظر إلى المتعلم نظرة سلبية، وهكذا تمّ تغيير المفاهيم المتعلقة بالقراءة، وكذا ضبط الآليات والصعوبات التي تواجه المتعلمين أثناء تلقي نص ما، وذلك من أجل فهم جيّد للنصوص ومن أجل تغيير تلك النظرة التي كانت سائدة، وتفعيل دور المتعلّم في تلقي النصوص المدرسيّة -الأدبية خاصة- والتي كانت دراستها وتحليلها ترتكز أساسا على الاهتمام بالنص وعوامل إنتاجه النفسية والاجتماعية والتاريخية... وغيرها، مما أدى إلى توجيه القراءة ومن ثم المتلقي إلى اكتشاف هذه العوامل وإبرازها لتكون محل الدراسة دون الاهتمام بالقارئ في حدّ ذاته وما يقوم به من عمليات ذهنية أثناء القراءة للولوج إلى معاني النص ودلالاته العميقة، ودون الاهتمام بمكتسباته القبلية وموسوعته المعرفية التي كوّنها من قراءات سابقة والتي يُفترض أن تُشكّل منطلقا لتلقّي نصوص قرائية جديدة.

***المصادر والمراجع:

اللغة العربية/

بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010،

1- بشير إبرير، «التواصل مع ا لنص: إشكالات الفهم والقراءة الفعالة»، في: اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، عدد 10، 2005،

2- جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الوعي، الجزائر، ط13، 2012 .

3- عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية الديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية: الدار البيضاء، المغرب، ج 1، ط1، 2006.

4- عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 1994.

5- محمد البرهمي، القراءة المنهجية للنصوص تنظير وتطبيق، TOP EDITION، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

6- محمد حمود، مكونات القراءة المنهجية للنصوص: (المرجعيات، المقاطع، الآليات، تقنيات التنشيط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع: الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980.

7- ميلود حبيبي، الاتصال التربوي وتدريس الأدب: دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993.

8- ميلود حبيبي، النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج، من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة و الكتابة،في: نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24،مطبعة ا لنجاح الجديدة: لدار البيضاء المغرب.

9- ميلود حبيبي، بيداغوجيا التلقي واستراتيجيات التعلم، تلقي النصوص الأدبية بين تأثير البنية النصية والموسوعة المعرفية» في: من قضايا التلقي والتأويل، كلية الآداب بالرباط،المغرب،ط 1، 1994.

اللغة الأجنبية/

1. R.Galisson et D.Coste, Dictionnaire de didactique des langues, 4ème éd., Hachette : Paris, 1979.

2. R.GALISSON et D.COSTE, Dictionnaire de didactique des langues.

المفعول المطلق وترجمته في سورة الإسراء إلى اللغة الإنجليزية
دراسة تحليلية مقارنة

أ.ابتسام بِرِي
-الجزائر-
berribtissem@gmail.com

ملخص:

تظل الترجمة القرآنية مقاربة بين لغة القرآن الكريم واللغة المترجم لها، ومعلوم لدى أهل الاختصاص من المترجمين أن ترجمة القرآن الكريم، باللفظ والمعنى لا تكون إلا في النادر القليل؛ لما للغة القرآن من خصوصيات تتعلق بخصوبة الألفاظ أو مُسْتَتْبَعات التراكيب وتأتي هذه الدراسة لتختبر موضوعا لغويا في سورة قرآنية كريمة هي سورة الإسراء. أمّا الموضوع فهو المفعول المطلق وترجمته إلى اللغة الإنجليزية من خلال ثلاثة مترجمين وتقوم هذه الدراسة على التحليل والمقارنة.

The abstract:

The translation of the Holy Quran keeps being an approach between the language of the Holy Quran and the target language. It's known for the specialized people that translation of the Holy Quran by its words and meaning is rare to happen; for what the language featured with concerning its multiple meaning of vocabulary and linguistics. This study comes to test a linguistic subject in Surat Al-Israa (The Night Journey) where it attempts to study the cognate object and its translation into English by three translators: Abdullah Yusuf Ali, Muhammad Muhsin Khan and Muhammad Taqi Ud-din Al-Hilali. The study is to be analytical and comparative.

مقدمة:

إن المتأمل في ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، ومنها اللغة الإنجليزية لا يهتدي إلى نظرية بعينها ولا يقف على أمثلة نموذجية، لكنه يجد رؤًى متباينةً واجتهاداتٍ مختلفةً تُمليها ثقافة المترجم، مع ملاحظة أنَّ الاختلاف بيّنٌ بينَ مُترجم عربي مُسلم ومترجِم مسلم، ومترجم أجنبي عن العربية غير مسلم. هذا الذي لاحظته من خلال تجربة تعلَّقت بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية.

ولا يطمع المترجم أنْ ينقل القرآن إلى لغة أخرى؛ لأن في القرآن الكريم نظمًا مُعجِزًا يصعب تأديته للغة الأخرى وعليه فالمَرْجُوُّ من الترجمة، ترجمة المعاني وحسبُ. وفي هذا المعنى يقول محمد الخضر حسين "ليس بالمستطاع أن تنقل إلى لغة أجنبية المعاني الأصلية، وهي محفوفة بالمعاني التي هي مظهر بلاغة القرآن، والناهضة بقسط عظيم من بَيِّنَات إعْجازه".[1]

لهذا اتَّفَقَ الكثير من مترجمي القرآن، على أنَّ ترجمة آياتِه بشَكْلٍ عام تكون باتِّباع مَنْهَجٍ يوجين نِيدا Eugene Nida القائم على أنَّه «ينبغي التمييز بين نوعين رئيسيين مِن التكافؤ: تكافؤ شكلي وآخر ديناميكي (أو متحرك). ويؤكد نيدا أنّ الترجمة التي تعتمد مبدأ التكافؤ الشكلي تقوم بإعادة النص الأصلي بطريقة آلية، شِبْهَ حرفية، ويحاول فيها المترجم الحفاظ على تراكيب النص الأصل وأسلوبه بما في ذلك الشِّعْرِيّة، ويسمي نيدا هذا النوع من الترجمة بـ(الترجمة الشَّرْحِية) التي تلجأ إلى وسائل عِدَّة لإيضاح دلالة النص الأصل»[2].

---

(1) محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، ص66.

(2) أ.د. مسعود عمشوش، من مبادئ النقد الترجمي: التكافؤ، https:// /www.mahaarat.com/?p=1401https://www.mahaarat.com

غير أنه يُلاحَظُ «أنّ في القرآن آياتٍ واضحةَ المعنى، لو نُقل معناها الأصلي إلى لغة أجنبية، لَتَساوى كلام المُفَسِّر المُحَقِّقِ العربي، والناقل له إلى اللغة الأجنبية، في أداء ذلك المعنى الأصلي كآية:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾5آل عمران: 64.

وهي الآية التي صدَّربها رسول الله خطابه إلى قَيصرَ وكِسرى، في الدعوة إلى الإسلام وهما لا يعرفان العربية، وإنما يَتَلَقَّيان معناها مِن طريق الترجمة»[1].

وسنتعرف على المفعول المُطلق وترجمته إلى اللغة الإنجليزية من خلال سورة الإسراء، ونرى أنه من اللازم الضروري أن نُعرِّفَ المفعول المطلق، ثُم الإشكالية التي ينطلق منها البحث، مع الإشارة إلى المترجِمِين الذين عناهم البحث.

المفعول المطلق: هو مصدر يَرِدُ للقيام بوظائف تتعلق بالمعنى الذي يسعى المتكلم إلى تبليغه أو الإقناع به، وينقسم من حيث مُؤدَّاهُ إلى أربعة أقسام، هي: التوكيد وبيان النوع، وبيان العدد. وقد يَرِدُ المفعول المطلق بالنيابة؛ أي في صورة النائب، وسيأتي تفصيله في أثناء دراسة الآيات الواردة شواهدَ للمفعول المُطلق في سورة الإسراء.

أمّا الإشكالية التي يطرحها البحث؛ فهي: هل وَرَدَ المفعول المُطلق في اللغة الإنجليزية كما ورد في اللغة العربية؟ وهل ترجمه المترجمون الذين استهدفتهم الدراسة، كما هو في الأسلوب العربي أم عدلوا عنه. أمّا المترجمون الذين اعتمدناهم في ترجمة موضوع الدراسة؛ فهم عبدالله يوسف علي[2] ، ومحمد

(1) محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، ص67.

(2)داعية إسلامي هندي ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، ولد في 14 أبريل 1872 وتوفي في 10 ديسمبر 1953. درس عبدالله الأدب الإنجليزي في العديد من الجامعات الأوروبية

محسن خان[1]، ومحمد تقي الدين الهلالي[2].

وستجيب الدراسة عن كلّ ذلك بطريقة تحليليّة مقارِنة لترجمة المفعول المُطلق في سورة الإسراء إلى اللّغة الإنجليزية، مُعتمدين في ذلك على تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، وتفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي وتفسير ابن كثير.

وفيما يلي نبحث عن المفعول المطلق في اللغة الإنجليزية، ثُم من خلال المترجمين الذين اعتمدتهم الدراسة، في سورة الإسراء:

المفعول المطلق في اللغة الإنجليزية:

لا مقابل للمفعول المطلق خصوصا في اللغات الهندية الأوروبية؛ لأنّ هذه خاصية تتفرد بها اللغات السامية.

إنّ وظيفة المفعول المطلق في اللغة العربية وكل اللغات السامية هي التوكيد [وغيره] وبالتالي، فيمكن للمترجم أنْ يستعمل عند ترجمة المفعول المطلق إلى الإنجليزية مايقابله فيها، مُستخدِمًا أدواتِ توكيدها. مثل : surely أو indeed أوverily ؛ لإبراز واقعة التوكيد بطريقة ديناميكية؛ لأنّ المكافئ اللفظي ليس مُتأتِّيًا دائمًا خصوصا بين لغات لا تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة

كماركزجهوده على القرآن ودرس التفاسير القرآنية، ونشر القرآن الكريم مترجما عام 1938 موقع المرسال، https://www.almrsal.com/post/230011، 09/07/2020، بتصرف.

(1) مؤلف ومترجم باكستاني من مواليد 1927 بباكستان. من مؤلفاته: معجزة القرآن والكفر والنفاق والقاموس الإسلامي...

(2) محدث ولغوي وأديب وشاعر ورحالة سلفي ظاهري مغربي، يعد أول من أدخل الدعوة السلفية إلى المغرب بعد أبو شعيب الدكالي ومحمد العلوي. من أبرز أعماله ترجمة صحيح البخاري إلى اللغة الإنجليزية، كما ترجم المجمع للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية جنباً إلى محمد محسن خان، الواسع الانتشار في مكتبات العالم. كان المرجع اللغوي والمشرف على إذاعة برلين العربية في فترة الحكم النازي. الموسوعة الحرة ويكيبيديا ar.wikipedia.org/wiki/تقي_الدين_الهلالي، 09/07/2020، بتصرف.

كالعربية والإنجليزية[1].

أما ترجمة بعض المترجمين للمفعول المطلق في القرآن الكريم، فهي اجتهاد مِن المترجم الذي أَسْقَط على تَرجمته التفسيرَ أكثرَ مِن الترجمة، لتأدية وظيفة المفعول المُطلق، وهذا جائزٌ بل مُحَبَّذٌ عند ترجمة القرآن الكريم؛ لأنّ ترجمة القرآن الكريم، تفسيرللمعاني قبل كل شيء. وفي هذا المعنى يقول أبو إسحاق الشاطبي في موافقاته:»إنَّ ترجمة القرآن على الوجه الأول-يعني النظر إلى معانيه الأصلية- مُمْكِنٌ، ومن جهته صحة تفسير القرآن وبيان معانيه لِمن ليس له فهمٌ على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائزًا باتِّفاق أهل الإسلام، فصارهذا الاتِّفاقُ حجةً في صحة الترجمة على المعنى الأصلي. وإذا كان نقل المعاني الأصلية قد يقع صحيحا، وكان في مستطاع]في مُكْنَة[مَن يُجيدُ لغةً أجنبيةً أنْ ينقلَ هذه المعاني مِن اللغة العربية إلى اللغة التي أجاد معرفتها، لم يبقَ سوى النظر في تفصيل حُكْم هذا النقل، وبيان حال المَنْعِ مِنه أو الإذْن فيه»[2]

فنقل المعنى الأصلي لآية أو آيات مِن هذا القبيل جائزٌ، وهذا ما يريده أبو إسحاق الشاطبي... ويصحُّ أنْ يتفق أهل الإسلام على جَوازه. أمّا ترجمة المعاني الأصلية للقرآن كُلِّه أو لِجُزْءٍ كَبيرٍ منه متتالي الآيات، فَيَلْحَقُها مِن الخَلَل ما يوجِبُ الحَذَرمنه[3]

أما المفعول المطلق - كما ورد في سورة الإسراء- فقد ورد في أساليب مُتنوِّعة، بعضُها يتلاءم مع ما ورد في الكلام العربي وبعضها الآخر بدا بخصوصيته التي تُبيّن أنّ للقرآن الكريم لغةً خاصة وتراكيب غير اعتيادية. وسنعرف هذا من خلال دراسة الأساليب التي ورد عليها المفعول المطلق في السورة موضوع الدراسة .

(1)http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?p=58859 بتصرف

(2) محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، الدار الحسينية للكتاب، 1997م، ص 67-66

(3) نفسه، ص67 بتصرف

أما الأساليب الواردة في الآيات فهي:

المفعول المطلق الوارد للتوكيد:الآية رقم 12 :

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾الإسراء- 12.

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
We have made the Night and the Day as two (of Our) Signs: the Sign of the Night have We obscured, while the Sign of the Day We have made to enlighten you; that ye may seek bounty from your Lord, and that ye may know the number and count of the years: all things have **We explained in detail.**	And We have appointed the night and the day as two Ayat (signs etc.). Then, We have made dark the sign of the night while We have made the sign of day illuminating, that you may seek bounty from your Lord, and that you may know the number of the years and the reckoning. And We have **explained everything (in detail) with full explanation**

وأمّا في قوله تعالى «...وفصَّلناه تفصيلا» ، فقد ورد عقب ذكر الليل والنهار كونهما آيتين مِن آيات الله، وجَعَل آية النهار مُبصرة ليقضي الناسُ حاجاتِهم ويتحرّكوا في هذا الكون، كلٌ لشأنه أعْقبها بآية المفعول المطلق الدال على مُطلق عِلم الله وقُوَّته [1]. وهذا كلام لا يصدر إلاعن إله عليم قدير.

ترجم عبدالله يوسف المفعول المطلق (تفصيلا)بـ« we explained in detail» جملة ، فأتى بالمفعول المطلق وترجمه ترجمة حرفية كما جاءت في التفسير.

(1) د. محسن الحمصي دار الرشيد دمشق- بيروت ص282

أما محسن خان والهلالي فترجماها بـ« We have explained everything (in detail) with full explanation»، أيضا ترجماها كيوسف علي، مع وضع المفعول المطلق بين قوسين (in detail) وإضافة جُملة (مع شَرْحٍ شامِل) ترجمتنا. وهذا يدل على أنّه ربطها بأوّل الآية (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ... تَفْصِيلًا)

الآية رقم 106:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾الإسراء:106

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
(It is) a Qur'an which We have divided (into parts from time to time), in order that thou mightest recite it to men at intervals: We have revealed it **by stages.**	And (it is) a Quran which We have divided (into parts), in order that you might recite it to men at intervals. And We have revealed it **by stages. (in 23 years)**

وعندما تَعَلَّقَ الأمر بالقرآن الكريم؛ كونه مُوحَىً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- ورد مُنَجَّمًا؛ أي في فترات متعاقبة ولم ينزلْ عليه جملة واحدة. قوله تعالى: " ونَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا" ناسب ما ورد قبله وهو قوله تعالى "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاه لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاه تَنزِيلًا". فالقرآن لم ينزل جُملة واحدةً بدليل قوله (وفرقناه) ثم أعقبها بقوله " لتقرأه على الناس على مُكْثٍ " فإنّ تنزيله على هذا النحو مِن الرعاية والهداية، ناسَبَه المفعولُ المُطلقُ (تنزيلا) الدال على توكيد صفة أنزلناه مُنَجَّمًا، ثم لقراءته على مُكْثٍ. وهكذا لم يرد المفعول المطلق للتوكيد وحَسْبُ، بل لغاية أمْلاها السِّياق الذي تَكوَّنَ لخدمة المعنى العام للمفعول المُطلق وهكذا القرآن الكريم في تعبيراته.

اتَّفق المترجمون على ترجمته بمعنى اسْم « by stages» . لكن محسن خان والهلالي لم يَكْتَفِيَا بترجمة المَصْدر فَقَط وإنّما أضافا إليه (in 23 years) وذلك كما جاء في تفسير القُرطبي عندما تحدث عن المُدَّة الزمنية التي نزل فيها القرآن الكريم كما رُوي عن ابن عباس[1].

المفعول المطلق لبيان النوع:

الآية رقم 19 :﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾الإسراء19-.

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
Those who do wish for the (things of) the Hereafter, and strive therefor **with all due striving**, and have Faith,- they are the ones whose striving is acceptable (to Allah).	And whoever desires the Hereafter and strives for it, **with the necessary effort due for it (i.e. do righteous deeds of Allah's Obedience)** while he is a believer (in the Oneness of Allah Islamic Monotheism), then such are the ones whose striving shall be appreciated, thanked and rewarded (by Allah).

يقول ابن كثير (ومَنْ أراد الآخرة)؛ أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النّعَم والسرور (وسعى لها سَعْيَها)؛ أي طلب ذلك مِن طريقه وهو مُتابَعَةُ الرسول -صلى الله عليه وسلم- (وهو مُؤْمِن)؛ أي قَلْبُهُ مُؤمِنٌ أي مُصَدِّقٌ مُوقِنٌ بالثواب والجزاء (فأولئك كان سعيهم مشكورا)[2].

(1) الإمام أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، ط2، دارالكتب المصرية1964 ، ج10 ، ص305

(2) تفسيرابن كثير، ابن كثير - إسماعيل بن عمربن كثيرالقرشي الدمشقي، دارطيبة، 2002، ج5، ص96

ترجم يوسف علي المفعول المُطلق (سَعْيَهَا) بـ «with all due striving» وترجماه محسن خان والهلالي بـ « with the necessary effort due for it» على أنّه السعي؛ الجهد المناسب مع إضافة شرح لماهية السعي المراد إتيانه.

إذا ما عمدنا للمقارنة في استخدام المُفردات نجد أنّ كلمة « striving» أبلغ وأفصح عن قول « necessary effort" لهذا لم يحتج يوسف علي إلى إضافة توضيح أو شرح.

الآية رقم 80:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ الإسراء: 80

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
Say:«O my Lord! Let my entry be by the **Gate** of Truth and Honour, and likewise my exit by the **Gate** of Truth and Honour; and grant me from Thy Presence an authority to aid (me)."	And say (O Muhammad SAW): My Lord! Let my entry (to the city of Al-Madinah) be good, and likewise my exit (from the city of Makkah) be good. And grant me from You an authority to help me (or a firm sign or a proof(

لَمّا أمَرَهُ الله تعالى بالشُّكر الفعلي عطف عليه الأمر بالشكر اللساني بأن يبتهل إلى الله بسؤال التوفيق في الخُروج مِن مَكان، والدخول إلى مَكان؛ كَيْ لا يَضُرَّه أنْ يستَفِزَّهُ أعداؤه مِن الأرض ليخرجوه منها، مع ما فيه مِن المُناسبة لقوله {عَسَى أن يبعثك رَبُّك مَقامًا مَحْمودًا}، فلمّا وعده بأنْ يُقيمه مَقامًا محمودا ناسب أنْ يسألَ أنْ يكونَ ذلك حَاله، في كل مقام يقومه، وفي هذا التلقين إشارةٌ إلهيةٌ؛ أنّ الله تعالى مُخرجُه مِن مَكة إلى مهاجر. والظاهر أنّ

هذه الآيةَ نزلتْ قُبَيْلَ العقبة الأولى التي كانت مُقَدِّمَةً للهجرة إلى المدينة[1].

ترجم عبدالله يوسف المفعول المطلق (مُدْخَلَ) و (مُخْرَجَ) بمعنىً واحد «Gate " وهو اسم. وأمّا محسن خان والهلالي فعبَّرا عن المفعول المطلق (مُدخَلَ) بـ" entry، والمفعول المطلق (مُخرَجَ) بـ exit «، لكنّهما لم يقفا عند الكلمة نفسها واكتفيا بالمعنى المُتضمّن الآيةَ، وأسباب نزولها كما جاء في تفسير القرطبي: « قيل: عَلَّمَهُ ما يَدْعُو به في صلاتِه، وغيرها مِن إخراجه مِن بين المُشرِكين وإدْخالهم وضع الأمن؛ فأخرجه مِن مكة وصيَّره إلى المدينة. وهذا المعنى رواه الترمذي عن ابن عباس. قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة ثم أُمِر بالهجرة فنزلتْ الآية»[2].

ويَتَّضِحُ أنّ المفعولَ المطلقَ، بالنسبة إليه قريبٌ مِن الحال أو كأنّه هو.

المفعول المطلق لبيان العدد :

الآية رقم 4: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ ﴾الإسراء- 4

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
And We gave (Clear) Warning to the Children of Israel in the Book, that **twice** would they do mischief on the earth and be elated with mighty arrogance (and twice would they be punished(!	And We decreed for the Children of Israel in the Scripture, that indeed you would do mischief on the earth twice and you will become tyrants and extremely arrogant

(1) تفسير التحرير والتنوير 15 : 186

(2) تفسير القرطبي، 10 : 281

يخبر تعالى أنّه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب؛ أي تَقَدَّمَ إليهم وأخبره ما في الكتاب الذي أنْزلَه عليهم أنّهم سيفسدون في الأرض مَرَّتَيْن ويعلون عُلُوًّا كبيرا أي يتجبَّرون ويَطْغَوْنَ ويَفْجُرون على النّاس.

اتّفق المترجمون جميعُهم: يوسف علي ومحسن خان والهلالي على ترجمة المفعول المُطلق (مرّتيْن) بـ" twice» بمعنى حَال. ونَجِدُ في ترجمة الآية أنّ يوسف علي، ترجمها ترجمة لفظيةً، لمْ يخرجْ فيها عن تركيب الآية كَما وردتْ في القرآن الكريم لفظًا ومعنىً.

على عكس مُحسن خان والهلالي، فإنّهما لم يُغَيّرا شيئا في الترجمة، سوى أنّهما قدَّما المفعولَ المطلقَ (مَرَّتَيْن) وهذا غيرُ جائزٍ في الأسلوب العربي؛ فهما لم يَحترِما المَبْنَى على قدْر احترامهما المَعْنى.

النائب عن المفعول المطلق:

الآية رقم 74 : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ الإسراء: 74

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
And had We not given thee strength, thou wouldst nearly have inclined to them a little.	And had We not made you stand firm, you would nearly have inclined to them a little.

قال ابن عاشور " وانتصب شيئا عن المفعول المطلق لـ (تَرْكَنُ)؛ أي شيئا من الركون، ووجه العدول عن مصدر تركن، طلبُ الخِفَّة، لأنّ مصدر تركن " وهو الركون، فيه ثقل فترْكُه أفصح، وإنما يقتصر على "قليلا" لأنّ تنكير "شيئا" مفيدٌ التعليل، فكان في ذكره تهيئة لتوكيد معنى التعليل فإنّ كلمة (شيئا) لتوغُّلِها في إبْهام جِنس ما تُضافُ إليه أو جِنس الموجود مُطْلَقًا مُفيدٌ للتقليل غالِبًا؛ كقوله تعالى: " فلا تأخذوا منه شيئا"[1].

(1) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والمؤسسة

وفي الآية لم يلتفت المترجمون إلى ترجمة النائب عن المفعول المطلق.

الآية رقم 79:

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾الإسراء: 79

ترجمة عبدالله يوسف	ترجمة محمد محسن وتقي الدين
And pray in the small watches of the morning: (it would be) an additional prayer (or spiritual profit) for thee: soon will thy Lord raise thee to a Station of Praise and Glory!	And in some parts of the night (also) offer the Salat (prayer) with it (i.e. recite the Quran in the prayer), as an additional prayer (Tahajjud optional prayer Nawafil) for you (O Muhammad SAW).It may be that your Lord will raise you to Maqaman Mahmuda (a station of praise and glory, i.e. the highest degree in Paradise(!.

قوله تعالى: (نافِلَةً) لك أي كرامة لك، قالها مُقاتِلٌ. واختلف العلماء في تَخْصيص النبي – صلى الله عليه وسلم – بالذكر دُونَ أُمَّته؛ فَقيل: كانتْ صلاة الليل فريضةً عليه لقوله :نافلةً لك؛ أي فَريضَة زائدة على الفريضة المَفْروضة على الأمَّة . قال الزجاج « نافلةً «، نائب عن المفعول المطلق؛ لأنّ مَعْنى (تهجَّد) و (تنفَّل) واحدٌ. والمعنى أنّ قوله (نافلةً) نائبٌ عن المفعول المطلق[1].

الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ج17، ص175، وانظر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب بيروت 1963، ج3، ص621

(1) إعراب القرآن المنسوب للزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري القسم الثاني

ترجم يوسف علي المفعول المطلق (نافلةً) بـ «an additional prayer (or spiritual profit)) « وجاءت كلمة نافلة مترجمة نصًا، وأضاف لها شرح مُبَسَّطٌ عن ماهيتها.

أمّا محسن خان والهلالي فترجماها بـ « as an additional prayer (Taha-jjud optional prayer Nawafil)» مضيفان إليها نقحرةَ ما يُقابل الكلمة «نافلة «في اللغة العربية وهي (النوافل) وكذلك (تَهَجَّدَ).

ومنه يمكن القول إنَّ المترجمَين اتفقا على ترجمة المفعول المطلق(نافلة) بمعنى صفة، ورغم إضافتهما شرح الكلمة، إلا أنّ الترجمتين آمنتين شكلا ومضمونا.

أمَّا بعدُ، فقد انتهتْ الدراسة إلى أنّ أسلوب المفعول المُطلق في اللغة العربية، ينقسم إلى أربعة أقسام؛ قسم يأتي للتوكيد وثان لبيان النوع وثالث لبيان العدد، كما يرد المفعول المطلق بالنيابة.

أما المفعول المطلق في القرآن الكريم فيرد ليس لذاته وإنما عندما يتطلَّبُه الموقف ويقتضيه الحال. هذا على مستوى أسباب وجوده في القرآن الكريم. وجديرٌ بالذِّكْر أنّ المفعول المطلق الوارد للتوكيد، تكرر بشكل لافتٍ ؛ حيثُ تَرَدَّدَ ثماني مرات في سورة الإسراء موضوع الدراسة .أما الوارد لبيان النوع فتكرر أربع مرات، وأما الوارد لبيان العدد فورد في السورة مرة واحدة، و أما النائب عن المفعول المطلق فتردّد ثلاث مرات في السورة. وأما في القرآن الكريم بعامة فهو عدولٌ يتطلبه الموقف وتقتضيه الضرورة المتعلقة بفصاحة اللفظة في سياق النُّظم.

أما عن المفعول المطلق في الترجمات القرآنية إلى اللغة الإنجليزية، في سورة الإسراء؛ فورد بالمعاني الآتية: صفة، اسم، حال، جملة فعلية، أمّا عن النائب عن المفعول المُطلق فلم ينتبهْ إليه المُترجِمون. ولعله بهذا الجهد المتواضع نكون قد عرّفنا بأسلوب المفعول المُطلق في اللغة العربية والقرآن وترجماته إلى اللغة الإنجليزية.

ص767، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني د.ت

*** المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم

1. إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني لبنان د. ت

2. الإمام أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، ط2، دار الكتب المصرية1964

3. تفسير ابن كثير، ابن كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، 2002

4. محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، الدار الحسينية للكتاب،1997

5. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

6. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب بيروت 1963.

-اللغة الأجنبية/

1.Al Hilali Muhammad Taqi-udDin & Khan, Muhammad Muhsin : Translation of the Meaning of The Noble Quran in the English Language, King Fahad Complex for the Printing of the Holy Quran, Madina, K.S.A,

2.THE HOLY QURAN (KORAN) English Translation of the Meanings and Commentary by Abdullah Yusuf Ali Formatting by William B. Brown

-المواقع الإلكترونية:

1-https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%82%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%84%D8%A7%D9%84%D9%8A#cite_note-Assessing_English_Translations_of_the_Qur'an-8

2-http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?p=58859

3-https://www.mahaarat.com/?p=1401 , https://www.mahaarat.com/

https://www.almrsal.com/post/230011

تعدد المصطلح العلمي المدرسي في كتب علوم الطبيعة والحياة -شعبة العلوم تجريبية أنموذجا-

أ. سارة لعقد

جامعة أبو القاسم سعد الله-الجزائر -2

sarahlaked@gmail.com

ملخص:

من الإشكالات التي يعاني منها المصطلح العلمي المدرسي قضية تعدد المصطلحات للمفهوم العلمي الواحد؛ وهو الشيء الذي طالما دعت إلى رفضه المجامع اللغوية العربية وكذا المؤسسات الأجنبية الفاعلة في عملية تقنين المصطلحات العلمية والسبب في رفضه يرجع إلى الخلل العلمي الذي يمكن أن يحدث بسببه خصوصا عندما يتعلق الأمر بالمصطلح العلمي المدرّس في المدارس لأنّك في هذه الحالة تتعامل مع فئة معينة وأي خلل يمكن أن يشعرهم بعدم قدرة لغتهم على حمل الشحنة العلمية المتواجدة في مصطلح ما من جهة، والشك في صحة العلوم من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية : المصطلح المدرسي، السياقي، اللاسياقي، التعدد المصطلحي.

تمهيد

يعدّ التجديد من أهم الميزات التي اتّسم بها مجال البحث العلمي والتكنولوجي خلال الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا، ولعل هذا التجديد الدائم والمستمر هو السبب وراء ذاك الكم الهائل من المصطلحات والمفاهيم

العلمية؛ فيوميا تظهر مصطلحات جديدة معبرة عن مفاهيم قد تكون جديدة كليا، وقد تكون مفاهيما متعلقة بسابقة لها فتكون هذه الأخيرة مكملة للأخرى وأكثر دقة منها. إنّ عملية التجديد والتطور تلك تفرض على التوازي الوضع المستمر والدائم للمصطلحات العلمية الممثلة لتلك المفاهيم العلمية الجديدة .

إنّ الحاجة الدائمة إلى نقل المصطلحات العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية؛ ومحاولة وضع مصطلحات عربية أو تبني تلك المستعملة كما هي في بيئتها الأصلية، جعل مختلف الجهات والأفراد يعملون على نقل ووضع مصطلحات جديدة في اللغة العربية حالها بذلك حال بقية اللغات؛ غير أنّ عدم اتفاق هذه الجهات والتنسيق فيما بينها من جهة، وبينها وبين الأفراد من جهة أخرى...ما جعل المصطلح العلمي الواحد يصبح مصطلحات علمية لمفهوم واحد، ولعل انتقال التعدد المصطلحي -الذي طالما تحدثنا عنه وقلنا أنّه منافيا لمبادئ علم المصطلح الذي يعتبر مبدأ توحيد المصطلح من أهم مبادئه- من ميدان البحث فيه وواقعه في اللغة التواصلية في مختلف المجالات والتخصصات سواء العلمية أم التقنية أم الفنية إلى ميدان أكثر حساسية إنّه ميدان التعليم؛ حيث نلاحظ أنّ الكتب المدرسية أو بالأحرى مؤلفو الكتب المدرسية لم ينتبهوا إلى هذه القضية وربما اعتبروها من باب الترادف كما يذهب إلى ذلك بعض اللسانيين، غير أنّ الأمر مختلف اختلافا كبيرا فالتعدد لا يثري اللغة كما يدّعي هؤلاء بقدر ما يضعفها ويظهرها في صورة اللغة غير القادرة على استيعاب المفاهيم العلمية والتقنية والفنية المستجدّة من جهة أو عدم القدرة على توفير مسمّيات هذه المفاهيم م جهة أخرى.

تعدّ قضية التعدد المصطلحي من أهم الإشكالات التي سال فيها حبر كثير سواء في الكتب أم مختلف الملتقيات والمؤتمرات التي تعقد في مختلف دول العالم لنجد مصطلحًا مثل: السيتوبلازم يرادفه مصطلحا الهيولى،

والسيتوبلازمة للدلالة على مفهوم علمي واحد ألا وهو الجزء السائل من الخلية[1] ونجد استعمال مصطلح الحويصل، والتجويف إضافة إلى مصطلح الفجوة للدلالة على مفهوم واحد أيضا «**عبارة عن جزء محصور وخامل يتخلل الهيولى؛ ويوجد في الفجوة سائل مؤلف من مركبات كيميائية معقّدة التركيب**»[2] وغيرهذا كثيرفي اللغة العربية في شتّى المجالات والتخصصات العلمية والتقنية والفنية مسببة بذلك خللا كبيرا في استدام المصطلح والمفهوم العلميين على السواء لأنّ المستعمل لهذه المصطلحات قد لا ينتبه في البداية إلى أنّ المفهوم العلمي لها واحد ما يجعله يفكر مفهوم البقية إذا كان هذا المفهوم متعلقا بالمصطلح الأول، وإذا كانت سلبيات هذه الظاهرة كثيرة في شتّى المجالات -العلمية والتقنية والفنية- فإنّ عملية تعليم وتعلم مختلف العلوم يجعل من هذه الظاهرة تنتقل من الميادين البحثية إلى ميدان التعليم ما يسهم في انتشارهذه الظاهرة وترسيخها ومحاولة جعل التعامل معها وكأنّها ظاهرة لغوية كبقية الظواهر التي لا تعدّ شيئا شاذا عن اللغة أو يمكن أن يسبب إشكالات علمية ومنهجية في جلّ العلوم فتضمن الكتب المدرسية لهذه الظاهرة يزيد من حدة المشكلة وتفاقمها حيث يجد التلميذ نفسه أما مفهوم واحد له جملة من المصطلحات التي تصطلح عليه وأيّ هذه المصطلحات الأقدرعلى أن يطلق على هذا المفهوم والأكثر قدرة على تمثل تلك الشحنة العلمية والحمولة المعرفية لذلك المفهوم، والقضية لا تتعلق بمادة تعليمية دون غيرها؛ بل إنّ التعدد يمسّ جلّها إن لم نقل كلها، ولنأخذ كتب علوم الطبيعة والحياة لمرحلة التعليم الثانوي شعبة العلوم تجريبية أنموذجا لدراسة قضية التعدد المصطلحي، ولعل الإشكال الذي نطرحه في هذا السياق: هل تضمّنت كتب علوم الطبيعة والحياة لمرحلة

(1)- ينظر: محمد هشام السمّان، دار المعرفة –نشر-توزيع-طباعة-ترجمة-، دمشق، سوريا، ط1، 1993م، ص156.

(2)- أسود وليد، معجم المصطلحات النباتية. قاموس موسوعي متعدد اللغات-فرنسي، انجليزي، عربي-، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص537.

التعليم الثانوي ظاهرة التعدد المصطلحي؟ وكيف عمل المؤلفون على تضمين هذه الظاهرة في هذه الكتب؟ وما أثرها في عملية تعليم وتعلم العلوم؟

أولا/ المصطلح العلمي المدرسي

إنّ الحركة العلمية المتطورة جدا التي عرّفها ويعرفها العالم كانت السبب الرئيس في تزايد عدد المصطلحات العلمية المعبرة عن المفاهيم العلمية الجديدة التي تنشأ باستمرار في إطار هذه العلوم، لن نقف على الجذر اللّغوي للمصطلح ولا على مفهومه الاصطلاحي لأنّ جلّ الدراسات المصطلحية تعرضت لهذا الأمر ولكن سنقف على بعض التعريفات للمصطلح العلمي للتدرج في دراسة المصطلح العلمي المدرسي؛ وعند بحث أهم المؤلفات في علم المصطلح نجد المصطلح العلمي معرّفا عند علي القاسمي على أنّ: «**عبارة عن مجموعة من الرموز اللغويّة تدلّ على مفاهيم تتعلق بفرع من فروع العلم أو التكنولوجيا**»[1]، وعرّفه البوشيخي على أنّه: «**تلك الألفاظ التي تسمي مفاهيم معينة في أي علم من العلوم، بأصنافها الثلاثة: العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المادية، في أي عصر الأعصار، وفي أي مصر من الأمصار، ولدى أي اتجاه من الإتجاهات، وفي أي تخصص من التخصصات**»[2] وعرّف عند رجاء ويحد دويدري على أنّه: «**لفظ يصطلح عليه أهل العلم المتخصصون للتفاهم والتواصل بينهم**»[3] واعتبارا من هذه التعريفات الثلاثة يمكن القول إنّ المصطلحات العلمية هي تلك الرموز اللّغوية التي يطلقها مجموعة من المتخصصين على المفاهيم العلمية

(1)- علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2019م، ص229.

(2)- الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2012م، ص15.

(3)- رجاء وحيد دويدري، المصطلح العلمي في اللغة العربية -عمقه التراثي وبعده المعاصر-، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص21.

الجديدة في علم ما بغرض تمييزها عن غيرها بدال متعلق بها لتسهيل عملية التواصل بينهم. ويشترط في المصطلح العلمي[1]:

• صحة اللغة؛ فيجب أنّ يكون المصطلح مراعيا لقواعد اللغة العربية

الإيحاء بالمعنى؛ فيفضل المصطلح الذي يوحي بمعناه أكثر من آخر يحتاج إلى الشرح مثالا على ذلك استعمل مصطلح (انتاش) في كتب علوم الطبيعة والحياة ويقصد به انتقال البذرة من الحياة البطيئة إلى الحياة النشطة[2]، ولكن محاولة فهم مصطلح الانتاش يجعل تنتقل تلجأ إلى المعجم من أجل ايضاح ذلك جيدا، غير أننا نجد مصطلحا أكثر ايحاءً على معناه ألا وهو مصطلح (الانبات)

• الدقّة؛ والدقّة ضرورة في اللغة العلمية.

• السهولة.

• شيوع الاستعمال.

منذ بداية ظهور علم المصطلح في سبعينيات القرن الماضي فريقين المتحرر والقائل بنقل المصطلحات العلمية من لغتها الأصلية إلى العربية باقتراضها كما هي مع إخضاعها لقوانين اللغة العربية فالغليسيدات Glu-cide، والغلوبين Globine، والجليكوجينGlycogène...وهذا كثير جدا في اللغة العربية حيث كانت عمدا في بعض الأحيان ومن باب الحاجة في أحايين كثيرة؛ حيث يضطر الباحث إلى مصطلحات تكون غير منقولة من اللغات الأجنبية إلى العربية فيتعامل بالمصطلح كما هو في لغته. والفريق المحافظ والقائل بمحاولة استثمار التراث العربي وإيجاد مصطلحات عربية مقابلة لتلك الأجنبية لأنّ هذا أنفع للعربية على المدى البعيد ما جعلهم يفكّرون في وضع منهجية من أجل وضع مصطلحات عربية مقابلة للمصطلحات الأجنبية والمتمثلة فيما يلي[3]:

(1)- علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص351.

(2)- السعيد بولوذينات وآخرون، العلوم الطبيعة والحياة س1 ج م (ع تك) ، ص13.

(3)- علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص270.271.

- وجود مناسبة أو مشاكلة أو مشابهة بين المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للمصطلح
- وضع مصطلح واحد للمفهوم الواحد(التوحيد)
- استقراء التراث العربي واستثماره
- مسايرة القوانين الدولية في وضع المصطلحات العلمية.
- تفضيل المصطلح العربي على الأجنبي أو المقترض.
- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق.

إنّ هذه المصطلحات التي يعمل على نقلها المجامع والمجالس المترجمون والكتاب وغيرهم تنتقل من هذه المجالات التي يلعب المصطلح العلمي بالنسبة لها دورا حضاريا مهما إلى مجال التعليم اعتبارا لتتغير وظيفة هذه المصطلحات من تأدية الوظيفة التأليفية والبحثية إلى الوظيفة التعليمية ما جعل علاقة المصطلح العلمي والتعريب علاقة قوية؛ ذلك لأنّ التعليم في حاجة إلى التعريب والتعريب يحتّم علينا محاولة نقل المصطلحات العلمية والتقنية والفنية من أجل تلبية حاجات المتعلمين، إنّ عملية النقل هذه المصطلحات من الميدان البحثي إلى التعليم يجعلنا نتحدث عن نوع أكثر خصوصية ألا وهو المصطلح العلمي المدرسي والذي يمكن أنّ نعرّفه على أنّ مجمل الرموز اللّغوية التي تعبر عن مفاهيم ما والتي اتفق عليها أصحابها في علم من العلوم، فانتقلت من بيئة المخابر والتي تعرّفها بأدقّ صورها إلى بيئة المدرسة، حيث يراعي في إطار هذا النقل تناولها من المصطلح البسيط إلى المعقّد، ومن المفهوم العام إلى المتخصص. يتميز المصطلح العلمي المدرسي بالدقة والوضوح ويجب أن يراعي مؤلفو الكتب المدرسية سنّ التلميذ عند استعمال مصطلح ما، كما يجب أن يرعوا المكتسبات القبلية لتلميذ.

1. آليات شرح المصطلح المدرسي

تستعين الكتب المدرسية بجملة من الآليات لشرح المصطلحات العلمية

المقدّمة للتلاميذ كلّ حسب ما يقتضيه المصطلح ومفهومه العلمي والمتمثلة فيما يلي[1]:

• **آلية التعريف التعليمي:** تلك التعريفات التي تقترن بالمصطلحات العلمية المستعملة في الكتب المدرسية والتي تقوم بحصر المفاهيم في صيغة لغويّة محددة وواضحة بغية تقريبها من ذهن المتعلمين[2].

• **آلية الترادف:** وهي تقديم مصطلح علمي ثانٍ؛ حيث يكون للمصطلحين الأول والثاني المفهوم العلمي نفسه، ولعل أهم عيوب هذه الآلية أنّها تسهم في تنمي ظاهرة التعدد المصطلحي.

• **آلية المقابل:** وتعني تقديم مصطلح أجنبي سواء كان فرنسي أم انجليزي للمصطلح العلمي العربي أو المعرّب المستعمل في الكتاب المدرسي.

• **آلية الصورة:** تقديم صور توضيحية عن الظاهرة أو التقنية أو الشيء المراد تدريسه.

• **آلية العبارة الاصطلاحية:** وتعني تقديم عبارة مشكّلة من كلمتي أو أكثر يكون الغرض منها التعريف بالمصطلح ولكن سرعان ما تصبح تلك العبارات مصطلحات مرادفة وهي تؤدي أيضا إلى التعدد المصطلحي في كثير من الأحيان.

• **آلية المثال:** وتعني تقديم أمثلة تعمل على توضيح وتقريب المفهوم من الذهن عن طريق استحضار الأمثلة عن ذلك.

• **آلية التشبيه:** وتتمثل في عملية تشبيه عنصر ما بعنصر آخر أكثر وضوحا في ذهن المتلقي.

---

(1)- ينظر: سارة لعقد، تعدد استعمال المصطلح العلمي بين الكتاب المدرسي والمعجم العربي المتخصص، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد8، ع3، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، 2019م، ص184.

(2)- ينظر: سارة لعقد، التعريفات التعليمية للمصطلحات العلمية في الكتب المدرسية، مجلة اللغة العربية، مجلد 21، ع43، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2019م، ص238.

2.المصطلح المدرسي العام والخاص

تتحدد خصوصية المصطلح المدرسي من عموميته بالمصطلح في حد من جهة، ومن جهة أخرى بالإطار الذي استعمل فيه هذا المصطلح وللتف أكثر نعرض لهاذين النوعين:

1.2 المصطلح المدرسي العام: جملة المصطلحات المتعلقة بـ التعليمية والبيداغوجيا فإنّ هذه المصطلحات عامة تجد لها حضور مستوى جميع المواد التعليمية في المدرسة وللتمثيل نأخذ المصطا التالية:

- التقييم: هو المسار الذي نحدّد ونحصل ونمنح بواسطته المعل المفيدة التي تتيح اتخاذ القرارات الممكنة...[1]
- الكفاءة: مهارة مكتسبة بفضل استيعاب مجموعة من المعارف...[2]
- الكفاءة الختامية:كفاءة يتمّ اكتسابها إثر مسار تعلّم طويل نسبيا.

فمثل هذه المصطلحات تعدّ مصطلحات عامة يستعملها كل أ المؤسسة التربوية بغض النظر عن المادة التعليمية التي يدرسها لذلك في حاجة لاستعمال مصطلح التقييم والكفاءة بشتى أنواعها الخ والقاعدية وغيرها وفي حاجة للحديث عن الوضعيات التعليمية والت ومختلف استراتيجيات التعليم وطرائقه...إلخ. واستعمال هذه المصطا يتكرر على مستوى كل المواد وفي مختلف مراحل التعليم.

---

(1)- بدرالدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث –عربي-إنجليزية-فرنسي-، منش المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م، ص134.

(2)-ينظر: بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث –عربي-إنجليزية-فر ص274. وعبد الكريم غريب، المنهل التربوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البـ المغرب، ط1، 2006م، ص162.

(3)- ينظر: بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث –عربي-إنجليزية-فر ص277

2.2 المصطلح المدرسي الخاص: جملة من المصطلحات العلمية ومنظوماتها المفاهيمية المستعملة في مواد تعليمية تكون خاصة بها فلا نجدها في غيرها من المواد التعليمية الأخرى وللتمثيل:

• ففي اللغة العربية نجد مصطلحات مثل: الفعل: كلمة دلّت على معنى في نفسها اقترنت بأحد الأزمنة[1]، القول: اللفظ الدال على معنى، ويشمل الكلمة، والكلام، والكلم فكلاهما قول والعكس غير صحيح[2].

• في مادة الجغرافيا نجد مصطلحات مثل: «أرخبيل»: في علم المحيطات جزيرة[3]، ومصطلح «تصحّر»:تطور مناخي حيوي نحو تحويل منطقة ما إلى صحراء[4]

وللإشارة فإنّ الغة العلمية التي يكتب بها أي نص من النصوص العلمية لا تتشكل م المصطلحات العلمية فقط ولكنها تكون ظاهرة بشكل واضح في هذه النصوص. وكلّما تخصصت هذه النصوص أكثر اختصت المصطلحات العلمية المستعملة أكثر فأكثر

3. المصطلح المدرسي السياقي واللاسياقي في الدراسة النصيّة

إنّ دراسة المصطلح العلمي تكون في نظر عديد رواد البحث المصطلحي نصية؛ ويقصد بها «**دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه من صفات وعلاقات وضمائم وغير ذلك**»[5]، وهذا هو أساس

(1)-محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنّية بشرح المقدمة الأجرومية، مكتبة السنة الدار التبليغية لنشر العلم، القاهرة، مصر، دط، 1989م، ص7.

(2)- ينظر: ابن مالك، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: ابن عقيل، دار التراث النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط20، 1980م، ص14.

(3)- بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، تر: حمد الطفيلي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2002م، ص28.

(4)- بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، ص186.

(5)- الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص49.

الدراسة المصطلحية ذلك لنّ مفهوم المصطلح يتضح ويظهر عند استعماله في تلك النصوص «**فكما أنّ المصطلح وعاء المفهوم فكذلك النص وعاء المصطلح**»[1] فلا يتضح في كثير من الأحيان معنى المصطلح إلا في حضوره الفعلي أثناء عملية الاستعمال وهذا الاستعمال يكون باستخدام المصطلح مكونا من مكونات اللغة العليمة التي يكتب بها ذاك النص، ولا يعني هذا أنّ لغة هذه النصوص تكون في شكل مصطلحات فقط بل في شكل متتاليات مصطلحية وكلمات من اللغة العامة ومختلف الروابط التي تستعمل في مختلف النصوص الخاصة والعامة والمستمدّة في أساسها من اللغة العامة. ولهذا دائما نلفت انتباه الباحث إلى أنّ اللغة الخاصة مختلفة عن اللغة العامة من حيث المصطلحات والرموز والمختصرات بل حتى من حيث بعض العبارات المصطلحية غير أنّها لا تخرج عن إطار اللغة العامة في قوانينها العامة.

إنّ النصوص بالنسبة للمصطلحات العلمية هي «**المادة الخام التي يجب أنّ تعالج داخل مختبرات التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيرا**»[2]، حيث يمكن للباحث أن يستخرج العناصر المفاهيمية التي تميز هذا المصطلح العلمي عن غيره من المصطلحات، غير أنّ الدراسة النصية للمصطلح العلمي المدرسي أظهرت لنا أنّ هناك مصطلحا مدرسيا سياقيا وهناك مصطلحا مدرسيا لا سياقيا:

1.3 المصطلح المدرسي السياقي:

هي المصطلحات التي لا يظهر معناها إلا في سياقاتها النصية أو هي المصطلحات التي يتغير مفهومها من سياق لآخر فمثلا مصطلح «الخلية» يختلف من سياق لآخر، فتختلف الخلية النباتية عن الحيوانية، وذات الشيء فيما يخص الخلية حقيقية النواة أو بدائية النواة، وكذا مصطلح «نسيج»، فيختلف النسيج النباتي عن النسيج الحيواني ولا يتضح ذلك إلا من خلال

(1)- مصطفى فوضيل، الدراسة النصية للمصطلح، دراسات مصطلحية، ع5، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب، 2006م، ص42.

(2)- الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، ص49.

السياق، بذكر المميزات التي تميز كل نسيج عن الآخر، ؛ ومعنى هذا أنّ بعض المصطلحات العلمية تحتاج إلى قرائن سياقية تحدد مفهومها العلمي.

2.3 المصطلح المدرسي اللاسياقي: ويقصد بهذا النوع المصطلحات العلمية ثابتة المفهوم في الذهن فلا تتغير خلال المسار الدراسي نحو مصطلح «**الماء**» الذي يرمز له H2O، ومصطلح «**الأكسيجين**» الذي يرمز له بالرمز O2...فالماء لا يتغير مفهومه عند التلميذ فهو سائل لا لون له ولا رائحة، وكذا الأكسجين؛ فالأكسجين في عملية التنفس أو عملية أكسدة الحديد لا يتغير عن مفهوم الأكسجين؛ ومعنى هذا أنّ بعض المصطلحات العلمية لا يتغير مفهومها سواء تغير السياق العلمي الذي وردت فيه أم لا.

وبناءً على ما على ما سبق يمكننا اقتراح نوع جديد من أنواع السياقات المعروفة من مثل اللغوي والنفسي والثقافي والاجتماعي نطلق عليه مصطلح «**السياق المصطلحي**» فلا تستقيم الدراسة النصية دون الاحتكام إلى السياق المصطلحي الذي يشكل الإطار أو جملة النص.

ثانيا/ إشكالات المصطلح المدرسي

ذلك لأنّ المطلع على هذه الكتب للوهلة الأولى سيجد الأمر عاديا لا يوجد فيه أيّ إشكال غير أنّ المتمعن في تلك المادة العلمية المتضمنة في هذه الكتب سيلحظ أنّها تعج بمصطلحين إلى ثلاثة مصطلحات تعبر عن مفهوم واحد.

هذا الشيء بات واقعا يتعامل معه البعض في البلد الواحد وكأنّه من قبيل الترادف ويعدونه ضرورة لغوية في تعليم وتعلم العلوم، لكن المتخصصين في مجال المصطلحية لا يجدونه كذلك؛ بل يعدّ تعددا مصطلحيا؛ حيث يفرق هؤلاء بين الترادف والتعدد تفريقهم بين اللغة العامة واللغة الخاصة وتفريقهم بين الكلمة والمصطلح.

فعندما نقدم للتلميذ الفعل والاسم والأداة-مصطلح كوفي- في مرحلة التعليم الابتدائي فإنّ الغريب أن يجد التلميذ نفسه في مرحلة التعليم المتوسط يتعلم أنّ الكلام يتشكل من فعل واسم وحرف.

1.التداخل

قبل بحث التداخل اللّغوي في الكتب المدرسية لابدّ أن نتطرق إلى مصطلح التداخل في المعاجم العربية أولا وقبل كل شيء؛ إذ تعرضت له عديد المعاجم اللغوية؛ ومن أبرزها معجم لسان العرب «**لابن منظور**» حيث قال فيه:«**تداخُلُ المفاصل ودِخالُها: دخول بعضها في بعض...وتداخُلُ الأمور: تشابهها والتباسها ودخول بعضها في بعض، والدِّخْلة في اللون: تخليط ألوان في لون**»[1]؛ ومعنى هذا أنّ التداخل في معناه اللغوي المستمد من مادة [د خ ل] يعني الاحتكاك والتشابه والالتباس واختلاط شيئين أوأكثرفي بعض، وفي المعجم الوسيط جاء:«**تداخلت الأشياء: داخلت، والأمور: التبست وتشابهت**»[2] وهو نفس ما ورد في معجم لسان العرب «**لابن منظور**»؛ إذ يدل تداخل الأشياء على تشابهها، والتشارك، و التباسها ببعضها.

ومصطلح «**تداخل**» على وزن «**تفاعل**» والذي تدل صيغته في أساسها على «**التشريك بين اثنين أو أكثر**»[3]؛ ومن هنا فإنّ التداخل هو تشارك شيئين أوأكثرفيما بينها.

كما ورد مصطلح التداخل،Interférence باللغة الفرنسية و-Interfe rence باللغة الانجليزية؛ ويعني التداخل اللّغوي، وأوضح «**مبارك مبارك**» أنّ التداخل يكون «**عندما يستعمل شخص ثنائي اللغة في لغته الأولى خاصة أو سمة صوتية أو حرفية أو نحوية مختصة باللغة الثانية**»[4]؛

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: ط1، 2000م، المجلد الخامس، مادة[د خ ل]، ص230.

(2)- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر: ط4، 2004م، مادة [د خ ل]، ص275.

(3)- بن محمد بن أحمد الحملاوي أحمد، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان للطباعة والنشر: دط، دت، ص82.

(4)- مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي-انجليزي-عربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان: ط1، 1995م، ص150.

واعتبار من أنّ التداخل اللغوي هو حدوث تفاعل بين لغتين بالنسبة للفرد ليصبح بذلك ثنائي اللغة؛ وبالانطلاق من مفهوم «**مبارك مبارك**» فإنّ التداخل اللّغوي له عدة أنواع هي: تداخل على المستوى الصوتي Niveau phonétique «**التداخل الصوتي**»، وتداخل على المستوى التركيبيNiveau syntaxique «**التداخل التركيبي**»، وقد تحدث «**عبد الكريم غريب**» عن التداخل اللّغوي بين اللغة الأم ولغة التعليم في معجمه[1] «**المنهل التربوي**» مشيرا إلى أنّ هذا النوع من التداخل اللّغوي يسبب للتلميذ مشاكل عديدة في اكتسابه للغة المتعلمة، وأشار في هذا الخصوص إلى المستويات اللغوية التي يمكن أن تتأثر بالتداخل اللّغوي بين لغتين أو أكثر مضيفا إلى ما ذكرناه سابقا «**التداخل المعجمي**»؛ و «**التداخل الثقافي**»، واخترنا أن نتحدث عن التداخل الذي يحدث على مستوى المصطلحات على اعتبار أنّ المصطلحات العلمية هي في الأصل كلمات كانت تنتمي إلى المعجم العام ثم انتقلت إلى المعجم المتخصص لأنّها انتقلت من كونها كلمة إلى كونها مصطلحا ينتمي إلى مجال علمي خاص؛ أما التداخل المعجميّ؛ إما يكون على مستوى المعجم العام فيحدث بتداخل معاني ودلالات الكلمات[2]، وإما يكون على مستوى المصطلحات بتداخل مفاهيم هذه المصطلحات بين لغتين مختلفتين وهو ما سنطلق عليه اسم «**التداخل المصطلحي**» .

2. الهجين

تعدّ ظاهرة الهجين اللّغوي؛ وهو كما عرّفه صالح بلعيد في مقاله المعنون ب: «التهجين اللّغوي: المخاطر والحلول»؛ «**استيلاد لغة لا هي بالعربية ولا هي بالأعجمية، بالمزج في الخطاب بين كلمات عديد من اللغات**»[3] حيث

(1)- ينظر: غريب عبد الكريم، المنهل التربوي، ص532.

(2)- أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية وآخرون، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، صص37.38.

(3) - بلعيد صالح، التهجين اللغوي: المخاطر والحلول، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال يوم دراسي حول: اللغة العربية بين التهجين والتهذيب الأسباب والعلاج، دار

نجد في كثير من الأحيان اللغة العلمية للكتب المدرسية تنتقل من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية بإدراج كلمات فرنسية، هو يكون في نظرنا نتيجة للتداخل المصطلحي السلبي .

3. التعدد المصطلحي

تعدّ قضية تعدد المصطلح العلمي من أهم وأبرز القضايا التي دارت حولها عديد المؤتمرات والندوات العلمية التي أقامتها المجامع والجامعات في مختلف الدول العربية وكان الغرض الأساس لها؛ هو الدعوة إلى توحيد المصطلح العلمي في مختلف الدول العربية، وبالرغم من كل تلك المحافل العلمية والمؤلفات التي تفصح عن المنهجية التي تسمح بهذا التوحيد وكذا كلّ تلك المعاجم التي تملأ رفوف المكتبات إلا أنّ الإشكال مازال قائما إلى يومنا هذا مادامت الجهود مشتتة، ومادام التعدد المصطلحي مازال قائما في الدولة الواحدة فمن الصعب بما كان أنّ نتحدث عن توحيد المصطلح العربي بشكل يمسّ كل الدول العربية؛ وبالنسبة لنا فمن الصواب أنّ تنظر كل دولة في المصطلحات العلمية التي تستعملها أولا وقبل كل شيء؛ حتى يتسنى لنا معرفة ما إذا كانت الدول العربية قد استطاعت أن توحد المصطلح العلمي كلٌّ في قطرها ثمّ في مرحلة تالية لذلك ننتقل إلى العالم العربي بشكل عام، وفي نظرنا فإنّ المدرسة هي المكان الوحيد الذي يمكننا أن ننطلق منه في محاولة معرفة ما يعانيه المصطلح العلمي من إشكالات، ولعل المدرسة الجزائرية واحدة من تلك المدارس التي يمكننا الانطلاق منها لمعرفة ما إذا كانت الجزائر من ضمن الدول التي عملت بتلك الشعارات الداعية للتوحيد أم لا ؟

1.3 مفهوم التعدد المصطلحي: وهو ظاهرة لغوية تتجسد باستعمال مصطلحين أو أكثر للدلالة على نفس المفهوم وعكسه التوحيد وهو مبدأ من مبادئ المصطلحية والذي يعني استعمال مصطلح واحد في مقابل مفهوم واحد.

الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.ص22.

2.3 الأسباب

تعدّ قضية توحيد المصطلح العلمي من القضايا المصطلحية والإشكالات العلمية التي عرفتها عديد العلوم، وتعددت الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع رغم جلّ الملتقيات والمؤتمرات التي تقام على طول السنة وفي كل الدول سواء الغربية أم العربية إلا أنّنا نجد أنفسنا أمام كمٍّ هائلٍ من المصطلحات العلمية المتعددة وأكبر مثال على ذلك المصطلح العلمي الذي شاع استعماله هذه الأيام والذي أطلق على الفيروس الذي اجتاح العالم ألا وهو كورونا أو كورونا فيروس والذي يطلق عليه في ذات الوقت فيروس كوفيد 19 وغيره كثير.

- إنّ السبب الرئيس في تعد المصطلح العلمي في الوطن العربي عدم الاتفاق على تبني المصطلحات التي أقرّها مكتب تنسيق التعريب أو بقية المجامع في الوطن العربي، فنجد كل دولة عربية تستعمل الذي شاع استعماله فيها...
- تعدد واضعي المصطلح العلمي فإضافة إلى ما يقدمه مكتب تنسيق التعريب والمجامع اللغوية نجد أيضا المترجمون والكتّاب والصحفيون...إلخ.
- إعتقاد البعض أن التعدد ما من مشكل فيه باعتبارأنّه من باب الترادف وليس هذا بصحيح فالفرق بين الترادف والتعدد واضح؛ فالترادف يكون في اللغة العامة يكون الغرض منه إثراء اللغة الأدبية والفنية والإبداع بتعدد الصور التي يمكن للمبدع أن يخلقها من خلال اللغة استخدام المترادفات، والترادف عام، غير أنّ التعدد خاص بالمصطلحات العلمية في الغة العلمية والتقنية والذي يؤدي إلى خلط في اللغة العلمية أو التقنية وهو مرفوض في علم المصطلح، فكل تعدد مصطلحي ترادف وليس العكس صحيحا.

ثالثا/ تعدد المصطلح العلمي المدرسي في الكتب المدرسية

بناءً على ما قدّمناه في الجانب النظري من هذا المقال كان علينا أنّ ننظر في الكتب المدرسية المتعلقة بمادة علوم الطبيعة والحياة لأهميتها بالنسبة لتلاميذ مرحلة التعليم الثانوي شعبة العلوم تجريبية، إذ تعدّ هذه

المادة أساسية بالنسبة لتخصصات العلمية في التعليم العالي مثل الطب، الصيدلة، العلوم البيولوجية، علوم الأرض والكون...إلخ

1. التعدد المصطلحي في كتاب علوم الطبيعة والحياة س1

المصطلح المستعمل	المصطلح الأول	المصطلح الثاني	المصطلح الثالث
المرستيم	النسيج الأقسومي	/	/
خلية إنشائية	أرومة خلوية	/	/
الهيولى	السيتوبلازم	/	/
اللحاء	النسيج الغربالي	/	/
خميرة الخبز	خميرة الجعة	/	/
بكتيريا Lactobacillus	بكتيريا Streptococus	/	/
عصب رئوي معدي	العصب الدماغي X	/	/
السيالة العصبية	الرسالة العصبية	/	/
الخلية البيضية	المشيج الأنثوي	/	/

التعدد المصطلحي في كتاب علوم الطبيعة والحياة س1

2. المصطلحات العلمية في كتاب علوم الطبيعة والحياة س2

المصطلح المستعمل	المصطلح الأول	المصطلح الثاني	المصطلح الثالث
المستقبلات الحسية	المغازل العصبية الحسية	العصبونات الحسية	/
الرسالة العصبية	السيالة العصبية		/
الوسيط الكميائي	النبأ الكميائي	الأسيتيل كولين	/
داء السكري	الإفراط السكري	/	/
البنكرياس	المعثكلة	/	/
الهيولى	السيتوبلازم	/	/
ADN	الحمض النووي منقوص الأكسجين	المعلومة الوراثية أو البرنامج الوراثي	المادة الورثية

الشبكة الهيولية	الشبكة الأندوبلاسمية	/	/
الاستيلاد	التحويل الوراثي	/	/

التعدد المصطلحي في كتاب علوم الطبيعة والحياة س2

3. المصطلحات العلمية في كتاب علوم الطبيعة والحياة س 3

المصطلح المستعمل	المصطلح الأول	المصطلح الثاني	المصطلح الثالث
ARN	الحمض الريبي النووي	Acid Ribo Nicléique	/
ARN_m	ARN رسول	ARN (Messager)	/
CMH	معقد التوافق النسيجي	Complexe Majeur Histocompatibilité	/
سيتوبلازم	الهيولى	/	/
المستضد	مولد الضد	/	/
CAM	معقد الهجوم الغشائي	Membranaire Attaque Complexe	/
السيدا	فقدان المناعة المكتسبة	إيدز	SIDA
القنوات البروتينية	القناة المرتبطة كميائيا	قناة مبوبة كميائيا	/
الأسيتيل كولين	المبلغ الكميائي	المبلغ العصبي	/
الغدة التيموسية	الغدة السعترية		/
فيروس الأنتيغراز	فيروس الإدماج		
بالعات كبيرة	ماكروفاج		/
خلية بلازمية	بلاسموسيت		/
غشاء سيتوبلازمي	غشاء هيولي		/

التعدد المصطلحي في كتاب علوم الطبيعة والحياةس3

4. تحليل الجداول

من خلال هذه الجداول يتضح لنا أنّ الكتب المدرسية الجزائرية تعاني حقا ظاهرة التعدد المصطلحي للمصطلح العلمي المدرسي؛ حيث نجدها تستعمل مصطلحين أوثلاث مصطلحات لدلالة على المفهوم العلمي الواحد وهو الشيء الذي يناقض مبادئ علم المصطلح والملاحظ حول استعمال المصطلحات العلمية في كتب علوم الطبيعية والحياة لمرحلة التعليم الثانوي في المدرسة الجزائرية أن قضية التعدد المصطلحي مازالت إلى يومنا هذا، سمة بارزة في هذه الكتب وهذا ما يشكل خطورة كما يصفها البعض خصوصا ما تعلق منها بعلوم الطبيعة والحياة، والمدرسة الجزائرية غيض من فيض الوطن العربي ومن منطلق هذا يجب علينا الاسراع «**بالعمل المشترك الذي يستهدف التوحيد العاجل في لغة المدرسة**»[1]؛ ذلك لأنّ «**اختلاف المصطلحات التي يضعونها للمعنى الواحد أمسى داء من أدواء لساننا فانفصال الأقطار العربية بعضها عن بعض سياسيا جعل الأساتذة والمؤلفين والمترجمين في بعض الأقطار العربية يضعون في العلوم الحديثة مصطلحات تختلف عمّا يضعه غيرهم في الأقطار الأخرى**»[2]، إنّ هذه الأسباب وغيرها أدت مع الوقت إلى تراكم ومنها تعدد المصطلحات العلمية في اللغة العربية؛ الشيء الذي جعل بعض الجهات والكثير من الباحثين يفكرون في منهجية علمية تمكن من التقنين في المصطلح العلميّ المستعمل في الوطن العربي بشكل عام نذكر منها أهم النقاط[3]:

---

(1)- حقي خيرالدين، وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، ع2، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغربي، 1965م، ص31.

(2)- الشهابي مصطفى، ضرورة توحيد المصطلحات العربية، مجلة اللسان العربي، ع3، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب ، ص342.

(3)- ينظر: هيثم الخياط محمد، توحيد المصطلح العلمي العربي –من طور الهمّ إلى طور الفعل-، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،ج81، مصر، 1997م، صص114.113.

- تستعمل لفظة عربية واحدة في مقابل التعبير الأجنبي ولا تستعمل المترادفات إلا فيما ندروعند الضرورة وبذلك يتحقق توحيد المصطلح.
- تستعمل ترجمة المصطلح الأصلح لتأدية المفهوم في حالة وجود جملة من المرادفات لهذا المفهوم.
- يدرس المصطلح ومفهومه العلمي دراسة جيدة في اللغة الأجنبية قبل أن ينقل إلى العربية ويستحسن أن لا يترجم ترجمة حرفية.
- عند نقل مصطلح أجنبي يستحسن أن تستعمل الألفاظ التي تداولها علماء العربية سابقا إذا كانت تفي بالمفهوم العلمي.

وعلى الرغم من هذه المنهجية وغيرها في سبيل هدف واحد ترومه الدول العربية إلا أنّ ظاهرة التعدد المصطلحي مازالت ونلاحظ أنّها تتفاقت أكثر فأكثرفي الأعوام القليلة الماضية، ففي مطلع الألفية الجديدة صاحب اصلاح المنظومة التربوية الجزائرية إصلاح المناهج التعليمية ومسّ بطبيعة الكتب المدرسية في جميع المراحل وكلّ الكتب المدرسية الأدبية منها والعلمية والشيء الذي نلمسه أثناء تفحصنا للغة العلمية في كتب علوم الطبيعة والحياة أنّها تعجّ بالمصطلحات العلمية العربية المترادفة كاستعمال مصطلح الهيولى، والبلازمة، والسيتوبلازم، والسيتوبلازمة...إلخ وغيرها من المصطلحات التي تدل على مفهوم واحد بالرغم من أنّ البحوث الاصطلاحية والتربوية تؤكد على ضرورة استعمال مصطلح واحد في مقابل مفهوم واحد[1]وذلك لأنّ **«مصطلحات العلوم تتمتع بمضامين محددة ومعينة فلا تحتمل الترادف اللغوي ولا تعرف خاصية الاشتراك اللفظي داخل المجال المعرفي الواحد»**[2]، ومعنى هذا أنّ التعدد المصطلحي في علوم الطبيعة مرفوض

(1)- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي، الرباط (18-20/2/1981)، مجلة السان العربي، المجلد18، ج1، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ص175.
(2)- قروي زهيرة، التأسيس النظري لعلم المصطلح، مجلة العلوم الانسانية، ع29، جوان 2008م، ص287.

بإجماع الباحثين في المصطلحية لأنّه يحد من الدقة والتي تعتبر شرطا وركيزة من ركائز اللغة العلمية التي يجب أن تكون عليها لغة علوم الطبيعة والحياة.

والتعدد المصطلحي في كتب علوم الطبيعة والحياة لم يقف عند تعدد المصطلح العربي في الاستعمال بل تعدى ذلك بعض المؤلفين وكذا الأساتذة إلى استعمال المصطلح كما هو في لغته الأصل وهو الشيء الذي لاحظناه في كتب علوم الطبيعة والحياة –ش ع ت- وعلى هذا الأساس فنحن مطالبون ليس بمحاولة القضاء على التعدد المصطلحي في المصطلح العربي فقط بل وحتى الأجنبي الذي بات بالنسبة للبعض أصدق صور العصرنة.

الخاتمة:

نخلص من خلال البحث في الموضوع المعنون:« **تعدد المصطلح العلمي المدرسي في كتب علوم الطبيعة والحياة-شعبة العلوم تجريبية أنموذجا-**» إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

1. ينقسم المصطلح العلمي المدرسي من حيث مفهومه إلى مصطلح مدرسي خاص ومصطلحي مدرسي عام

2.ينقسم المصطلح العلمي المدرسي من حيث الدراسة النصية له إلى مصطلح مدرسي سياقي ومصطلح مدرسي لاسياقي

3. من أهم آليات الشرح التي تسهم في تنامي ظاهرة التعدد المصطلحي: آليتي الترادف والعبارة الاصطلاحية.

4. التعدد المصطلحي يختلف عن الترادف ذلك لأنّ غرض الترادف جمالي بين التعد يسهم في انتشار الأغلاط العلمية.

5. تعاني كتب علوم الطبيعة والحياة من ظاهر التعد المصطلحي والذي لا يمكن التخلص منها إلا بإعادة تنقيح الكتب المدرسية وطباعتها طبعات جديدة.

***المصادر والمراجع :

1 - ابن مالك، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: ابن عقيل، دار التراث النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط20، 1980م.

2 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، مادة[د خ ل]. دار صادر للطباعة والنشر.- بيروت: لبنان: ط1، 2000م،

3 - أسود وليد، معجم المصطلحات النباتية. قاموس موسوعي متعدد اللغات- فرنسي، انجليزي، عربي-، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

4 - أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية وآخرون، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية.

5 - بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث –عربي-إنجليزية-فرنسي- د.ط، د.ن، د.م،د.ت.

6 - بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث –عربي-إنجليزية-فرنسي-، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م.

7 - بلعيد صالح، التهجين اللغوي: المخاطر والحلول، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال يوم دراسي حول: اللغة العربية بين التهجين والتهذيب الأسباب والعلاج، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

8 - بن محمد بن أحمد الحملاوي أحمد، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان للطباعة والنشر: د.ط، د.ت.

9 - بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، تر: حمد الطفيلي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2002م.

10 - حقي خير الدين، وحدة المصطلح العلمي، مجلة اللسان العربي، ع2، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغربي، 1965م.

11 - رجاء وحيد دويدري، المصطلح العلمي في اللغة العربية -عمقه التراثي وبعده المعاصر-، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.

12 - سارة لعقد، التعريفات التعليمية للمصطلحات العلمية في الكتب المدرسية، مجلة اللغة العربية، مجلد21، ع43، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2019م.

13 - سارة لعقد، تعدد استعمال المصطلح العلمي بين الكتاب المدرسي والمعجم العربي المتخصص، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد8، ع3، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، 2019م.

14 - السعيد بولوذينات وآخرون، العلوم الطبيعة والحياة س1 ج م (ع تك) ..

15 - الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2012م.

16 - الشهابي مصطفى، ضرورة توحيد المصطلحات العربية، مجلة اللسان العربي، ع3، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب .

17 - عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.

18 - علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2019م.

19 - غريب عبد الكريم، المنهل التربوي.

20 - قروي زهيرة، التأسيس النظري لعلم المصطلح، مجلة العلوم الإنسانية، ع29، جوان 2008م.

21 - مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي-انجليزي-عربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان: ط1، 1995م.

22 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة [د خ ل]، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر: ط4، 2004م.

23 - محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنّية بشرح المقدمة الأجرومية، مكتبة السنة الدار التبليغية لنشر العلم، القاهرة، مصر، دط، 1989م.

24 - محمد هشام السمّان، دار المعرفة –نشر-توزيع-طباعة-ترجمة-، دمشق، سوريا، ط1، 1993م.

25 - مصطفى فوضيل، الدراسة النصية للمصطلح، دراسات مصطلحية، ع5، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب، 2006م.

26 - ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي، الرباط (18- 20/2/1981)، مجلة السان العربي، المجلد18، ج1، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب.

27 - هيثم الخياط محمد، توحيد المصطلح العلمي العربي –من طور الهمّ إلى طور الفعل-، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج81، مصر، 1997م.

عود الضمير
هاء الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن
عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره.
أواخِر سورة البقرة نموذجا [من الآية 170 إلى الآية 280]-

د. جمال بوكو.
أستاذ مساعد قسم - ب-
جامعة الجزائر1/كلية العلوم الإسلامية.
البريد الاكتروني: d.boukou@univ-alger.dz
djamelmaxi@gmail.com

ملخص البحث:

-من مسائل الدراسات القرآنية التي لها مِن الأهمية بمكانٍ، مسائل عود الضمير في القرآن الكريم، ولاسيما منها « هاء الضمير الغائب»، فقد اعتنى المفسِّرون وأهل اللغة بمسائله، وأتوا بشواهد قرآنية وما أُثر عن العرب من أقوالهم و أشعارهم.

- ومعرفة عود الضمير للآيات القرآنية يحتاج إلى فكرٍ وتحقيقٍ وتدقيقٍ، خاصةً إذا كان عود الضمير يعود إلى احتمالات كثيرةٍ، كأن يعود إلى مُقدَّرٍ أومحذوفٍ أو إلى أبعد مذكورٍ، فاختلاف تحديد عود الضمير في الآية الواحدة مِن أحد أسباب اختلاف المفسرين، فمنهم مَن يُعيد الضمير إلى أقرب مذكورٍ، ومنهم من يعيده إلى أبعد مذكورٍ، و الآخَر قد يعيده إلى محذوفٍ، فكانت هذه الدراسة في بيان أهمية «هاء الضمير الغائب» في القرآن الكريم.

- اهتم المفسِّرون بمسائل عود الضمير في تفاسيرهم كابن جرير الطبري رحمه الله في كتابه الماتع «جامع البيان في تأويل القرآن»، إذ تطرق إلى موضوع عود الضمير في مواضع متعددة في تفسيره، ودراستنا هذه مبنيةٌ على التتبع

والاستقراء لـ«هاء» الضمير الغائب وأثرها في توجيه معاني القرآن الكريم عند الإمام ابن جرير الطبري من خلال تفسيره «**جامع البيان في تأويل القرآن**»، مُركِّزا على أواخر سورة البقرة، مع بيان أقوال أهل العلم ثم مناقشتها على وجه الاختصار، مُبرزا رأي الباحث في كل مسألة من مسائل عود الضمير.

مفاتيح البحث: هاء الضمير الغائب و أثرها / توجيه معاني القرآن / عند الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره / أواخِر سورة البقرة نموذجا.

المقدمة:

لقد اهتم العلماء على وجه العموم والمفسِّرون بوجه الخصوص بالقرآن الكريم حفظا ودراسة من الناحية البلاغية، والنحوية، والأحكام الشرعية وغيرها. وموضوعنا «هاء الضمير الغائب» وأثرها في توجيه المعنى لا يقل أهمية وشأنا مما ذُكر، لأنَّ معنى الآية يختلف باختلاف تحديد عود الضمير، إن كان الضمير يعود إلى أكثر مِن عائد.

إذن فما توجيه «هاء الضمير الغائب» في تفسير ابن جرير الطبري؟، وهل يُرجّح بقواعد عود الضمير؟، وهل يذكر خلاف العلماء؟ أم يقتصر على ما يرجحه ويراه صوابا؟.

تعريف الضمير لغة:

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن الضمير أصله من: «ضَمَرَ: «الضَّاد» و «المِيمُ» و «الرَّاءُ» أصلان صحيحان، أحدهما: يدل على دقَّةٍ في الشَّيء، والآخر يَدلُّ علَى غَيْبَةٍ وتَستُّرٍ»[1].

ويأتي الضمير بمعنى الهُزال تقول: «تضَمَّرَ وجهُه أي انضَمَّت جلدته من الهُزال»[2]، وسُمي الضمير بذلك لقلة حروفه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج3/ 371، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

(2) العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ج7/ 42، دار ومكتبة الهلال.

والضَّمِيرُ: العِنبُ الذابلُ[1].

فنجد أن الضمير يدل على غيبة وتستر وهزال وكلها تؤدي معنى الضمير.

تعريف الضمير اصطلاحا:

هناك عدة تعريفات للضمير فمن أجودها نجد تعريف السهيلي فقال رحمه الله: «سمّيت تلك اللفظة اسماً مضمراً، لأنها عبارة عن الاسم الذي أضمر استغناءً عن لفظه الظاهر»[2].

وهنا ينبغي أن ندكر أن الضمير لابد له من عائدٍ يعود إليه حتى يزول الإشكال، وهذا العائد إما أن يكون مذكورا أو مُقدَّرا بحسب ما يقتضيه السياق.

- نماذج تطبيقية لـ هاء الضمير الغائب لأواخر سورة البقرة:

1/ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾البقرة- 170.

موضع الشاهد: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾

ذكر الطبري اختلاف العلماء في تحديد عود الضمير ﴿لَهُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ فقال رحمه الله: « وفي هذه الآية[3] وجهان من التأويل: أحدهما: أن تكون «الهاء والميم» من قوله: ﴿وإذا قيلَ لهم﴾ عائدة على ﴿ مَنْ﴾ في قوله: ﴿ومنَ الناس مَنْ يَتخذُ من دون الله أندادًا﴾، فيكون معنى الكلام: ومن الناس مَنْ يَتخذُ من دُون الله أندادًا، وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله، قالوا: بل نتبع ما ألفينا عَليه آباءنا. والآخر: أن تكون «الهاء والميم» اللتان

(1) لسان العرب، لابن منظور، ج4 /491، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

(2) نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السُّهيلي، ص170، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

(3) قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170].

في قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ مِن ذكر ﴿الناس﴾ الذين في قوله: ﴿يا أيها الناسُ كلوا مما في الأرض حَلالا طيبًا﴾، فيكون ذلك انصرافًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب، كما في قوله تعالى ذكره: ﴿.....حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾يونس22-»[1].

ثم رجح الطبري عود الضمير ﴿لَهُمُ﴾ إلى الناس الذين ذكرهم الله في قوله:﴿ يا أيها الناسُ كلوا مما في الأرض حَلالا طيبًا﴾ فقال رحمه الله:« وأشبه عندي بالصواب وأولى بتأويل الآية أن تكون «الهاء والميم» في قوله: ﴿لَهُمُ﴾، من ذكر ﴿الناس﴾، وأن يكون ذلك رجوعًا من الخطاب إلى الخبرعن الغائب، لأن ذلك عَقيب قوله: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض﴾ فلأنْ يكون خبرًا عنهم، أَولى من أن يكون خبرًا عن الذين أخبرَ أنّ منهم ﴿مَنْ يَتخذ من دُون الله أندادًا﴾، مع ما بينهما من الآيات، وانقطاع قَصَصهم بقصة مُستأنفة غيرها»[2].

نلاحظ أن الطبري رحمه الله أعاد الضمير ﴿لَهُمُ﴾ إلى ﴿الناس﴾ لقربه منها، فيكون المعنى: وإذا قيل للناس اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أَلفَينَا عَلَيهِ آبَاءَنَا.

ذكر أبوحيان اختلاف العلماء في تعيين عائد الضمير ﴿لَهُمُ﴾ ورجح احتمال عود الضمير إلى كفار العرب معتمِدا على قرينة السياق لأنّ العرب كانوا يقتدون بآبائهم فقال رحمه الله: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ الضمير في ﴿لَهُمُ﴾ عائد على كفار العرب، لأن هذا كان وصفهم، وهو الاقتداء بآبائهم»[3]، فيكون المعنى: وإذا قيل لكفار العرب اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أَلفَينَا عَلَيهِ آبَاءَنَا.

(1) تفسير الطبري، ج3/ 304- 305.

(2) تفسير الطبري، ج3 /305.

(3) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج2/102، دار الفكر، بيروت، 1420هـ

أما السمين الحلبي فقد وافق قول الطبري ورجَّحه فقال: «قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ الضميرُ في ﴿لهم﴾ فيه أربعةُ أقوال أحدُها: أنه يعود على ﴿مَنْ﴾ في قولِهِ: ﴿مَن يَتَّخِذُ﴾ البقرة- 165 وهذا بعيدٌ. الثاني: أنه يعودُ على العرب الكفَّار لأنَّ هذا حالُهم. الثالث: أنه يعودُ على اليهودِ لأنَّهم أشدُّ الناس اتِّباعاً لأسلافِهم. الرابعُ: أنه يعودُ على الناسِ في قولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الناس﴾البقرة- 68]، قاله الطبري، وهو ظاهرٌ، إلاَّ أنَّ ذلك يكونُ من بابِ الالتفات من الخطابِ إلى الغَيْبَةِ، وحكمتُه أنهم أُبْرِزوا في صورةِ الغائبِ الذي يُتَعَجَّبُ مِنْ فِعْلِهِ، حيث دُعِيَ إلى شريعةِ اللَّهِ والنورِ والهدى فأجابَ باتِّباع شريعةِ أبيه»[1].

تبين لي -والله أعلم- أن الضمير ﴿لهم﴾ يعود إلى الناس الذي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا...﴿١٦٨﴾﴾البقرة: 182

إذ «عدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم، كأنه التفت إلى العقلاء وقال لهم: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون»[2]. وهو ما ذهب إليه الطبري، لأنه أقرب مذكور.

وأما عود الضمير ﴿لهم﴾ إلى ﴿مَنْ﴾ كما في قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا...﴿١٦٥﴾﴾البقرة- 165، فإنه بعيد استبعده كثير من العلماء[3]..

2/ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا.... ﴿١٧٤﴾﴾ البقرة- 174.

موضع الشاهد: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلا﴾

اختلف العلماء في تحديد ضمير «الهاء» في ﴿به﴾ من قوله تعالى:

﴿يشترون به﴾

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ج2 /226، دار القلم، دمشق.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج1 /119، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ

(3) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /102. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج2 /226.

الإمام الطبري رحمه الله رجح عود الضمير ﴿به﴾ إلى «الكتمان» أي: مِن المصدر المفهوم مِن قوله تعالى: ﴿يكتمون﴾ فقال رحمه الله: «و«الهاء» التي في ﴿به﴾ مِن ذكر «الكتمان»، فمعناه: ابتاعوا بكتمانهم ما كتموا الناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوَّته ثمنًا قليلا»[1].

يرى ابن عطية أن الضمير يعود إلى الكتاب فقال رحمه الله: «والضمير في ﴿به﴾ عائد على الكِتابِ»[2].

ذكر أبو حيان أقوال العلماء في تعيين عائد الضمير ﴿به﴾ ورجح عوده إلى الاسم الموصول ﴿ما﴾ فقال رحمه الله: «﴿به﴾ الضمير عائد على الكتمان، أو الكتاب، أو على الموصول الذي هو: ﴿ما﴾، أقوال ثلاثة، أظهرها الآخِر، ويكون على حذف مضاف، أي بكتم ما أنزل الله به»[3]. غير أن أبا حيان ذكر فرقا دقيقا بين من جعل عود الضمير إلى الكتمان وبين من أعاده إلى الاسم الموصول ﴿ما﴾ فقال رحمه الله: «والفرق بين هذا القول وقول من جعله عائدا على الكتم، أنه يكون في ذلك القول عائدا على المصدر المفهوم من قوله: ﴿يكتمون﴾، وفي هذا عائدا على ﴿ما﴾ على حذف مضاف، وتقدم الكلام في تفسير قوله: ﴿ليشتروا به ثمنا قليلا﴾[4]، فأغنى عن إعادته، إلا فعل الاشتراء جعل علة هناك، وهنا جعل معطوفا على قوله: ﴿يكتمون﴾، ورتب الخبر على مجموع الأمرين من الكتم والاشتراء، لأن الكتم ليست أسبابه منحصرة في الاشتراء، بل الاشتراء بعض أسبابه. فكتم ما أنزل الله من الكتاب، وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنكار نبوته وتبديل صفته، كان لأمور منها

(1) تفسير الطبري، ج3 /328.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج1/241، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.

(3) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /120.

(4) سورة البقرة الآية79.

البغي ﴿بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾ البقرة90-، ومنها الخسارة، لكونه من العرب لا منهم»[1].

ذكر السمين الحلبي احتمالات عود ضمير «الهاء» ورجح ما ذهب إليه أبوحيان فقال رحمه الله:« قوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ﴾ الضميرُ في ﴿به﴾ يُحْتَمَلُ أن يعودَ على ﴿ما﴾ الموصولةِ، وأَنْ يعودَ على الكَتْمِ المفهومِ من قولِه: ﴿يكتمون﴾ وأَنْ يعودَ على الكتابِ، أظهرها أوَّلُها، ويكونُ ذلك على حَذْفِ مضافٍ، أي: يشترون بكَتْمِ ما أَنْزل»[2].

يظهر لي -والله أعلم- أنّ الضمير ﴿به﴾ يعود إلى ﴿ما﴾ الموصولةِ التي في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، لأنه أقرب مذكور، فيكون معنى الكلام إنّ الذين يشترون بكتم ما أنزل الله به ثمنًا قليلاً، ويجوز عوده إلى الكتمان، لأنّ السياق يقتضيه.

3/ قال الله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾البقرة- -180 181.

موضع الشاهد: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾

اختلف أهل العلم في تحديد عائد ضمير «الهاء» في ﴿بَدَّلَهُ﴾ فرجح الطبري عوده إلى محذوف في الكلام يدل عليه السياق وهي الوصية لأنها بمعنى الإيصاء أي: مَن بدّل أمروصية الميت، فقال رحمه: «فإن قال لنا قائل: وعلامَ عادت «الهاء» التي في قوله: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾؟ قيل: على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر، وذلك هو أمر الميت، وإيصاؤه إلى من أوصَى إليه، بما أوصَى به، لمن أوْصَى له، ومعنى الكلام: ﴿كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا عَلى المتقين﴾، فأوصوا لهم،

(1) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /120.

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج2 /241.

فمن بدَّل ما أوصيتم به لهم بعد ما سَمعكم توصون لَهم، فإنما إثم ما فعل من ذلك عليه دونكم، وإنما قلنا إن «الهاء» في قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ عائدة على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهرُ، لأن قوله: ﴿كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموتُ إن ترك خيرًا الوصية﴾ من قول الله، وأنّ تبديل المبدِّل إنما يكون لوصية الموصِي، فأما أمرُ الله بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يبدِّله، فيجوز أن تكون «الهاء» في قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ عائده على «الوصية».[1]

أما أبو حيان فرجح عود الضمير ﴿بَدَّلَهُ﴾ إلى الوصية التي بمعنى: الإيصاء، مراعة للمعنى دون اللفظ فقال رحمه الله: « ﴿فمن بدله بعد ما سمعه﴾ الظاهر أن الضمير يعود على الوصية بمعنى الإيصاء، أي: فمن بدل الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه سماع تحقق وتثبت، وعوده على الإيصاء أولى من عوده على الوصية، لأن تأنيث الوصية غير حقيقي»[2].

وقيل[3]: ضمير «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ عائدة إلى الفرض، والحكم و الأمر الذي فرضه الله تعالى، فمعنى الكلام: فمن بدل الأمر المقدم ذكره.

وقيل[4]: الضمير يعود على الكَتْب أي: المصدر المفهوم من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾.

يظهر لي -والله أعلم- عود الضمير ﴿بَدَّلَهُ﴾ إلى الوصية التي بمعنى الإيصاء، فيكون المعنى: فمن بدّل الإيصاء عن وجهه -إذا كان لا يخالف الشرع-، فإنما إثمه على الذين يبدلونه.

---

(1) تفسير الطبري، ج3 /396- 397.

(2) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /166.

(3) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /166. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج2 /263.

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج2 /263.

4/ قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة213-.

موضع الشاهد: ﴿أُوتُوهُ﴾

يرى الطبري أن ضمير «الهاء» في قوله تعالى ﴿أُوتُوهُ﴾ يعود إلى الكتاب الذي أنزله الله بمعنى: وما اختلف فيه إلا الذين أوتوا الكتاب فقال رحمه الله: «و «الهاء» في قوله: ﴿أُوتُوهُ﴾ عائدة على «الكتاب» الذي أنزله الله»[1].

يرى أبو حيان أن الضمير في قوله تعالى: ﴿أُوتُوهُ﴾ يعود إلى ﴿ما﴾ الموصولة التي في قوله تعالى ﴿وما اختلفوا فيه﴾ فقال رحمه الله: «والذي يظهر من سياق الكلام وحسن التركيب أن الضمائر كلها في: ﴿أُوتُوهُ﴾ و﴿فيه﴾ الأولى والثانية، يعود على ﴿ما﴾ الموصولة في قوله: ﴿وما اختلفوا فيه﴾»[2].

ذهب «الزجاج» إلى أن ضمير ﴿أُوتُوهُ﴾ يعود إلى علم نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي ما اختلف في أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا الذين أعْطُوا علمَ حَقيقتِهِ»[3].

يرى ابن الجوزي أن ضمير «الهاء» ﴿أُوتُوهُ﴾ تعود إلى الكتاب بلا خلاف، فقال رحمه الله: «فأما «هاء» ﴿أُوتُوهُ﴾ فعائدة على الكتاب من غير خلاف»[4]، والصحيح -والله أعلم- أنه فيه خلاف كما رأينا.

(1) تفسير الطبري، ج4 /281.

(2) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /366.

(3)معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ج1 /284، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

(4) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج1/ 177.

يتبين لي -والله أعلم- أن الضمير ﴿أُوتُوهُ﴾ يعود إلى ﴿ما﴾ الذي في قوله تعالى:﴿وما اختلفوا فيه﴾، لأنه أقرب مذكور، فيكون معنى الكلام وما اختلف في الاسلام إلا الذين أوتوا الدِّين من بعد ما جاءتهم البينات.

5/ قال الله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ البقرة253-.

موضع الشاهد: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

يرى الطبري أن ضمير «الهاء» في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ تعود إلى جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا تعود إلى موسى وعيسى عليهما السلام فُهِم ذلك ضمنيا من كلامه رحمه الله فقال: «﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بعدهم﴾ يعني: من بعد الرسل..... وقد قيل: إن «الهاء والميم» في قوله:﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من ذكر موسى وعيسى»[1].

وافق أبوحيان ترجيح الطبري فقال رحمه الله: «﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ والضمير عائد على الرسل، وظاهر الكلام أنهم القوم الذين كانوا من بعد جميع الرسل، وليس كذلك، بل المراد: ما اقتتل الناس بعد كل نبيّ، فلفّ الكلام لفًّا لم يفهمه السّامع وهذا كما تقول: «اشتريت خيلا ثم بعتها»، وإن كنت قد اشتريتها فرسًا فرسًا وبعته، وكذلك هذا، إنما اختلف بعد كل نبيّ»[2].

ذهب قتادة[3] إلى أن ضمير ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعود إلى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

(1) تفسير الطبري، ج5 /380.

(2) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /603.

(3) تفسير الطبري، ج5 /380. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج1/ 288.

ذكر الشوكاني قولا ثالثًا وهو احتمال عود الضمير ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ إلى موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فقال رحمه الله: « قَوْلُهُ: ﴿وَلَو شاءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ أَي: مِن بَعدِ الرُّسُلِ وَقِيلَ: مِن بَعدِ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ، لِأَنَّ الثَّانِي مَذكُورٌ صَرِيحًا، وَالأَوَّلُ وَالثَّالِثُ وَقعَتِ الإِشَارَةُ إِلَيهِمَا بِقَوْلِهِ: مِنهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ»[1]

يظهر لي –والله أعلم- أن الضمير ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعود إلى جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، لظاهر الآية، وهو قول أكثر المفسرين.

6/قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾البقرة264-.

موضع الشاهد: ﴿ فَمَثَلُهُ﴾

يرى الطبري أن ضمير «الهاء» في ﴿فَمَثَلُهُ﴾ تعود على ﴿الذي﴾ أي: الذي ينفق ماله رئاء الناس لأنه أقرب مَذكور فقال رحمه الله : «فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخرو»الهاء» في قوله: ﴿فَمَثَلُهُ﴾ عائدة على ﴿الذي﴾»[2]، فيكون المعنى: أن الله شبه المانّ المؤذي بالمنافق، وشبّه المنافق بالحجر الأملس الذي عليه تراب فأصابه مطر غزير فجعله صَلْدًا[3].

ذهب إلى هذا القول الإمام أبو حيان وجوز عود الضمير في ﴿فَمَثَلُهُ﴾ إلى الكافر المباهي فقال رحمه الله: «واختلف في الضمير في قوله: ﴿فَمَثَلُهُ﴾

(1) فتح القدير، للشوكاني، ج 1 /309، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ

(2) تفسير الطبري، ج5 /523.

(3) يقال الصلد من الحجارة أي: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره. ينظر: تفسير الطبري، ج5 /524.

فالظاهر أنه عائد على كالذي ينفق ماله رئاء الناس لقربه منه، ولإفراده ضرب الله لهذا المنافق المرائي، أو الكافر المباهي»[1].

ذكر «السمين الحلبي» احتمال عود الضمير إلى المانّ المؤذي[2] بعدما رجَّح قول القائل بأن الضمير يعود إلى الذي ينفق ماله رئاء الناس فقال رحمه الله:« و»الهاءُ» في ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فيها قولان: أظهرهُما: أنها تعودُ على ﴿كالذي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ الناس﴾ لأنه أقربُ مذكورٍ. والثاني: أنها تعودُ على المانّ المؤذِي، كأنه تعالى شَبَّهه بشيئين: بالذي يُنْفِقُ رئَاءَ وبصفوانٍ عليه ترابٌ، ويكونُ قد عَدَلَ من خطابٍ إلى غَيْبه، ومن جمعٍ إلى إفرادٍ»[3].

الذي يظهر لي -والله أعلم- أن ضمير «الهاء» في قوله: ﴿فَمَثَلُهُ﴾ تعود إلى المانّ المرائي، لأنه أقرب مذكور، وظاهر السياق يقتضيه، وهو اختيار الطبري.

7/ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۖ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ.... ﴿٢٨٢﴾﴾البقرة- 282.

موضع الشاهد: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾

رجح الإمام الطبري عود ضمير «الهاء» في ﴿وَلِيُّهُ﴾ إلى ﴿الحق﴾ أي: صاحب المال في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ فقال رحمه الله:

---

(1) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /663.

(2) هذا القول للضحاك، ينظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج1 /694، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999م. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ج2 /44، دار الفكر، بيروت.

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ج2 /586.

«فوضع الله جلّ وعز عنهم فرض إملال ذلك، للعلل التي وصفنا -إذا كانت بهم- وعذرهم بترك الإملال من أجلها، وأمرَ عند سقوط فرض ذلك عليهم، وليَّ الحق بإملاله فقال: ﴿فإن كان الذي عليه الحقّ سفيهًا أو ضعيفًا أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل﴾، يعني: وليُّ الحقّ»[1].

أجاز الفرّآء عود ضمير «الهاء» في ﴿وَلِيُّهُ﴾ إلى ﴿الحق﴾ فقال: «﴿فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾ يعنى جاهلا ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ صغيرا أو امْرَأَة ﴿أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ يكون عييّا بالإملاء ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ يعني: صاحب الدين، فإن شئت جعلت «الهاء» للذي وليّ الدين، وإن شئت جعلتها للمطلوب، كلُّ ذلك جائز»[2].

رجح ابن قتيبة عود الضمير ﴿وَلِيُّهُ﴾ إلى ﴿**الحق**﴾ أي: صاحب الدَّين فقال رحمه الله: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ أي : وَلِيُّ الحق[3]، فيكون معنى الكلام: «إن عجَزمَن عليه الحقُّ من الإملال، فَيُملل وليُّ الحقّ وصاحبُ الدَّين بالعدل، لأنه أعلمُ بحقِّه»[4].

عقَّب ابن عطية على قول الطبري فقال: «وذهب الطبري إلى أن الضمير في ﴿وَلِيُّهُ﴾ عائد على ﴿**الحق**﴾ وأسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس، قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي شيء لا يصح عن ابن عباس، وكيف تشهد على البينة على شيء وتدخل مالا في ذمة السفيه بإملاء الذي له الدين؟ هذا شيء ليس في الشريعة، والقول ضعيف إلا أن يريد قائله أن الذي لا يستطيع أَنْ يُمِلَّ بمرضه إذا كان عاجزا عن الإملاء فليمل صاحب

(1) تفسير الطبري، ج6 /58- 59.

(2) معاني القرآن، للفرآء، ج1 /183.

(3) غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، ص99، دار الكتب العلمية، سنة الطبع 1978م.

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج1 /393. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ

الحق بالعدل ويسمع الذي عجز، فإذا كمل الإملاء أقر به، وهذا معنى لم تعن الآية إليه، ولا يصح هذا إلا فيمن لا يستطيع أن يمل بمرض»[1].

أما أبوحيان فيرى أن الضمير في ﴿وَلِيُّهُ﴾ يعود إلى ﴿الذي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ يعني: المَدين، وسواء كان المدين ضعيفا أوسفيها أولا يستطيع الإملاءأو نائبا أووليًّا فقال:«﴿فليملل وليه بالعدل﴾ الضمير في ﴿وَلِيُّهُ﴾ عائد على أحد هؤلاء الثلاثة، وهو ﴿الذي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.... وذهب الطبري إلى أن الضمير في ﴿وَلِيُّهُ﴾ يعود على ﴿الحق﴾، فيكون الولي هو الذي له الحق»[2].

فيما سبق يظهر لي -والله أعلم- أن ضمير «الهاء» في ﴿وَلِيُّهُ﴾ يعود إلى ﴿الذي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: المدين، وهو ظاهر السياق، وإليه ذهب جمهور المفسرين، أما ما ذهب إليه الطبري فقد ضعفه العلماء يقول الرازي:« وقال ابن عباس ومقاتل والربيع: المراد بوليه ولي الدين يعني: أن الذي له الدين يملي وهذا بعيد، لأنه كيف يقبل قول المدَّعي، وإن كان قوله معتبرا، فأي حاجة بنا إلى الكتابة والإشهاد»[3]، ويقول الشوكاني:« وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّ الضَّمِيرَ فِي قَولِه: ﴿وَلِيُّهُ﴾ يَعُود إِلَى الحَقُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا»[4].

---

(1) المحرر الوجيزفي تفسيرالكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج1 /380.

(2) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج2 /726.

(3) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ج7 /94، درا إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ

(4) فتح القدير، للشوكاني، ج1 /345، دارابن كثير، ودارالكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ

الخاتمة:

من خلال عرض هذا البحث ظهرت لي بعض النتائج منها:

- ابن جرير الطبري في تفسيره بالمسائل اللغوية كمسألة هاء الضمير الغائب.

-إن الاهتمام بعود الضمير وتحديد عائده يُزيل كثيرا من الإشكال حول التفسير.

-نجد أن ابن جرير الطبري في تفسيره يذكر اختلاف العلماء في تحديد عود الضمير، ثم يرجح ما يراه صوابا إما بقاعدة لغوية أو بالسياق.

- إن اختلاف تحديد عود الضمير في الآيات القرآنية مِن أحد أسباب اختلاف المفسرين.

***المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ
2. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ
3. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.
4. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1999م
5. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الثانية.
6. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
7. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

8. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين، المعروف بابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دارالكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ
9. .سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1985م.
10. العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
11. غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دارالكتب العلمية، سنة الطبع 1978م.
12. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الاسلامية، الطبعة الأولى، 2002م.
13. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1995م.
14. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ
15. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
16. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دارإحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ
17. معجم البلدان، لياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دارالغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
18. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
19. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، درا إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ
20. نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السُّهيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

اجتهادات الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية

د.سعاد شرفاوي
جامعة قاصدي مرباح (ورقلة) -الجزائر-
souadcherfaoui@gmail.com

إن وضعية اللغة العربية، وهي أمام مجموعة من التحديات والتي فرضتها العولمة وتكنولوجيا المعلومات، تستوجب السعي الحثيث لمواكبة البحث اللساني وهذا الانفجار المذهل في التكنولوجيا. وعبد الرحمن الحاج صالح الذي اقتنع أن اللغة العربية يمكنها أن تكون وعاء لهذا التطور، وأنها قادرة على التفاعل مع ميادين تقنية وعصرية. وقد وجدناه حاول البحث عن نظرية لغوية عصرية مناسبة لمستوى تطلعاته، وهي النظرية الخليلية الحديثة،والتي يمكن استغلالها في خدمة اللغة العربية، وتطويرها، أيضا مشروع الذخيرة العربية، وكذلك جهود الباحث في المصطلحات اللسانية، ومساهمته في التكوين. وكل هذا يمكن أن نعدّه اجتهادات واضحة للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، جديرة بالوقوف عليها،لتقييم هذا الجهد، وقياس مدى إضافته للدرس اللساني العربي الحديث، ومساهمته العلمية والعملية في خدمة اللغة العربية،وتنميتها، والبحث اللساني العربي الحديث.

أولا- النظرية الخليلية الحديثة

1- التعريف بالنظرية الخليلية الحديثة

إن النظرية الخليلية الحديثة[1]، هي قراءة لنظرية الخليل التراثية،

(1) - يقول الحاج صالح: «قال لي أحدهم: وهل الخليل عنده نظريتان حتى تقول الحديثة؟ فقلت له: الحديثة هي ما تأولته أنا، وقد أكون صحيا، أو أكون مخطئا- وأضاف الباحث- فقد أخذت نظرية الخليل وتأولتها بحسب ما تتطلبه المقاييس العلمية» مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 03 /11 /2013 م، من سا 10 و30 د إلى سا 11 و30د

ووصفت بالحديثة لأنها تمثل اجتهادا تقويميا صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه خاصة، وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه إلى غاية القرن الرابع الهجري[1].

وإن قراءة الحاج صالح للتراث النحوي العربي تصنف ضمن القراءة التي تتمحور حول قطاع معين من التراث اللغوي؛ كأن يتناول المستوى النحوي، أو الصرفي أو البلاغي

حيث وجدنا أن الباحث من اللسانيين التراثيين العرب، القطاعيين الذين اختاروا مستوى لغويا بعينه في بحثهم اللساني، ونجده ركز على الجانب النحوي[2] لينتج نظريته الخليلية الحديثة.

II- القيمة العلمية للنظرية الخليلية الحديثة

يمكننا استنتاج القيمة العلمية للنظرية الخليلية الحديثة، من خلال تتبعنا لمجموعة من العوامل، ونذكر منها:

أ – محاولة مواكبة البحث اللساني العالمي:

لم يخف الحاج صالح اقتناعه بوجود نظرية لسانية عربية ميزت أعمال النحاة الأوائل، تحتاج للكشف عنها من جديد، ليس من باب تمجيد للماضي فحسب، بل هو كذلك الطموح من الباحث الحاج صالح لمواكبة البحث اللساني العالمي.

وإن الواقع الكئيب الذي افتتح به العرب ثمانينات هذا القرن ليطرح بجد مسألة ما إذا كان العرب يتقدمون بخطوات(سريعة أو بطيئة) إلى الأمام، أم أنهم بالعكس من ذلك، يغالبون بدون أمل، والخطى تنزلق بهم إلى الوراء[3].

(1)- النظرية الخليلية الحديثة(مفاهيمها الأساسية)، عبد الرحمن الحاج صالح، كراسات المركز، العدد الرابع، 2007 م، ص5.

(2)- وقد وجدنا أنه انتقل إلى مستوى لغوي آخر بعد ذلك في عمله الأخير، والذي ركز فيه على المستوى البلاغي في نظرية الوضع والاستعمال.

(3) - الخطاب العربي المعاصر(دراسة تحليلية نقدية)، محمد عابد الجابري، مركز

ولقد وجد البحث اللساني العربي تبعا لعدد من الممارسات الاستشراقية، كما وجد نفسه أيضا تبعا لعدد كبير من النظريات والمناهج والمدارس الغربية، وذلك لأنه لا يملك نظرية خاصة به مستوحاة من الحضارة التي يريد أن ينطق باسمها[1].

وقام الحاج صالح بعقد مقارنة بين النظرية الخليلية الحديثة والنظريات اللسانية الغربية الحديثة، في مناسبات متعددة، خاصة البنوية والنظرية التوليدية التحويلية، لشهرتهما ومكانتهما في البحث اللساني الحديث، خاصة وأن الباحث معلوماته وافرة في تفاصيل النظريات اللسانية الغربية الحديثة.

وغاية هذه المقارنة هو التحقق مما إذا كانت النظرية تنطوي على تقدّم علمي وتستطيع في حالة وضعها موضع الفحص أن تحافظ على صلاحيتها واستمرارها[2]. فقد حرص الحاج صالح على أن يكون أصيلا في إحيائه لعلم الخليل، ولم يكن مقلدا لا للبنوية، ولا التوليدية، حيث يقول: «لست متبعا لأي منهج غربي، أميل إلى تشومسكي، ولكن أرد عليه كثيرا مما كان يزعمه»[3].

كما حرص الباحث في مسيرته في البحث اللساني على إبراز الجوانب العلمية التي اعتقدها في أفكار الخليل وسيبويه، واجتهد في الكشف عن مقاصدهما، والتي رأى أنها لم تفهم في أغلب الأحيان، سواء من المتأخرين أو المحدثين. ووقف على مجموعة من المفاهيم الخليلية العلمية، والتي تصوّر أنها ذات جوهر رياضي، وأن الكثير منها تجهله وتفتقده اللسانيات الغربية الحديثة، كمفهوم اللفظة والموضع.

دراسات الوحدة العربية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، بيروت، ط5، 1994 م، ص38.

(1) - قضايا لسانية حضارية، منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، دط، دت، ص14.

(2)- المرجع نفسه

(3)- مقابلة مع الحاج صالح، بالمجمع الجزائري للغة العربية، بتاريخ: 21/06/ 2011 م، من سا 9 إلى سا 10 و30 د.

1 - نقد البنوية

لقد كان اهتمام الحاج صالح واضحا بالبنوية كمنهج لساني حديث له شهرته وتأثيره البالغ في مجموعة من اللسانيين العرب المحدثين، والذين هم أتباع لهذا المنهج. والمعلوم أنه لم يكنمؤيدا للمنهج البنوي في كثيرمن مبادئه، ولكنه كان مهتما به، ويظهر هذا الاهتمام عنده من خلال العناوين الآتية، وهي عناوين لمقالاتهالمنشورة، وهيكما يأتي:

- النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي[1].
- بعض ما يتفق فيه النحو العربي مع اللسانيات البنوية[2].
- أهم ما يوجد من الفوارق بين النحو والبنوية[3].
- ينطلق البنويون من واقع اللغة كظاهرة وكذلك النحاة الأولون[4].

ولقد انتقد الحاج صالح البنوية وأتباعها، واعتبرها منهجا تجاوزه الزمن، وقد قارن ما جاء فيها بمبادئ النحو الخليلي، مبينا نقاط الاتفاق والاختلاف، وأهم الفوارق التي ركز عليها الباحث، هي المعيارية والوصفية، ورد على انتقادات الوصفية للمعيار. أما عن نقاط الالتقاء، فهو الانطلاق من واقع اللغة، وقد استشهد بهذا الباحثون العرب الوصفيون، وغيرهم لإثبات علمية النحو العربي. ويبدو أن الحاج صالح قد استفاد كثيرا من نقده للبنوية أثناء بنائه لنظريته الخليلية الحديثة، وتمكن من خلال نقده لها من تخطي ما وقعت فيه هذه النظرية من أخطاء منهجية، وسذاجة في تحليل اللغة. ووجدناه قد استفاد كثيرا من انتقادات تشومسكي لها.

2 - ملاحقة التوليدية

وفي نقد الباحث للبنوية فإنه يلمح إلى ما أحدثته مدرسة النحو التوليدي

(1) - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، عبد الرحمن الحاج صالح،موفم للنشر، دط، 2007 م. ص23.

(2)- المرجع نفسه، ص24.

(3)- المرجع نفسه، ص26.

(4)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص25.

التحويلي الأمريكية من تمثيل لبنية الجملة بتفريع الفروع على شكل شجرة، وصاحبها نوام تشومسكي[1]. ومن هنا تصور الباحث أهمية لنظريته، ذلك أنه بنى نظريته اللسانية الحديثة بربطها ومقابلتها بهذه النظريات، وأصغر وحدة هي اللفظة، وهي وحدة قابلة للامتداد بالزيادة[2]، واقترح تطبيقها في اللسانيات الحاسوبية، انطلاقا من نموذج البناء التفريعي التركيبي الخاضع لقسمة التركيب[3].

ويقول الحاج صالح عن تشومسكي: أنه أول من وضع نظرية الأنحاء الصورية، وهو من اللغويين الذين تزودوا بالمعلومات الرياضية في أحدث صورها، وهو جد متمكن في هذه المادة، حتى ليظنه الكثير من المهندسين الرتابيين عالما رياضيا، بل ومؤسس نظرية رياضية[4]. ولقد حاول الحاج صالح ربط مفاهيم نظريته الخليلية الحديثة بالرياضيات. وقال: «فقد حان الآن أن نتحدث عن العلاقة التي توجد بين نظرية العامل العربية هذه والنظرية الغربية المسماة: بالتبعية النحوية Dependency»[5]. ومن هذه المفاهيم نذكر الآتي:

- الباب والنظير:

وجد الباحث أن لفظة باب ولفظة نظير هما من أهم المصطلحات التي تنتمي إلى مجال مفهومي رياضي، ودليله على ذلك أنه إذا قيل هذا من باب فعُل أو باب أفعل فإن المقصود هو المجموعة من الكلم التي جاءت على أحد البنائين أو الوزنين. وهي مجموعة من النظائر بالمعنى الرياضي الذي تقتضيه

(1) - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص67.

(2)- النظرية الخليلية الحديثة، ص10

(3)- منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، دارراجعي للنشر، دط، 2010 م ، ص30

(4)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص87.

(5) - المرجع نفسه، ص255.

ما يسمونه بقسمة التركيب[1]. ويقول عن الباب بأنه مفهوم رياضي محض لم يعرفه الفلاسفة القدامى من غير العرب، فباب فِعْل مثلا هو مجموعة خالية، وباب فِعِل هو مجموعة وحيدة العنصر؛ إذ لا يوجد ما هو على هذا البناء إلا إبِل. فالأشياء التي تحتوي عليها الأبواب هي ضروب من الكلام، أو النحو لا هي في ذاتها، بل فيما هو أهم من ذلك، وهو ميزتها التركيبية كما يتصورها الرياضي في زماننا. وما يؤكد به الباحث اعتقاده فيما يخص ماهية الباب الرياضية، وقربها من مفهوم المجموعة ما وجده عند النحاة من استعمالهم لكلمة نظير مع كلمة باب في أكثر النصوص[2]. والنظير الذي اعتبره الباحثون شبيها أو مطابقا، فإن الحاج صالح يراه أنه ليس هو الشبيه أو المطابق في الصفات بل المكافئ؛ أي المساوي للبنية التي تطرد عليها النظائر، وهي الباب أو المجرى النحوي الذي تتفق عليه.[3]

- الأصل والفرع:

نظر الحاج صالح إلى وحدات اللغة ووجد أن جميع مستوياتها مراتب بعضها إزاء بعض. وكذلك عندهم كل الظواهر اللغوية كالعمل والتقديم والتأخير وغير ذلك. وذكر للتفريع صورا متنوعة من التغيير:

- تغيير الأصل بتصريف الكلمة لفظا ومعنى.
- تغيير الأصل بتصريف الكلمة معنى فقط.
- تغيير الأصل بتوليد كلمات لفظا ومعنى.
- تغيير الأصل لفظا فقط لعارض.

ويقول الباحث عن الأصلية والفرعية: أنها عامة جدا؛ إذ يمكن أن يتأول الأصل والفرع من الناحية المنطقية الرياضية زيادة على تأويل النمو البيولوجي الاجتماعي. فالأصل في كلا المنظورين التصريفي والاشتقاقي هو دائما المنطلق

(1)- منطق العرب في علوم اللسان، ص357.
(2)- المرجع نفسه، ص135 -137.
(3)- المرجع نفسه، ص357.

لعملية تحويلية، أو عدة عمليات تترتب ترتيبا خاصا، وأما الفرع فهو الذي تنتهي إليه هذه العمليات؛ فالعلاقة التي تربطهما هي علاقة التحويل من بنية إلى أخرى. وما يزيد لهذه العملية أهمية إمكانية رجوع الفرع إلى الحالة الأولى، وهو الذي يسميه النحاة برد الشيء إلى أصله، فيكون بذلك التحويل من كل أصل في النحو العربي إلى كل فرع ينعكس. فلكل تحويل نحوي على هذا تحويل مقابل، وهذا التناظر من أهم ما يتصف به التحويل النحوي العربي[4]

- وجوه التصرف:

يقول الحاج صالح ما يسميه الخليل بـ «وجوه التصرف» عند إحصائه لعدد التقاليب التي يحتملها الثلاثي والرباعي وغيرهما، لا يقابله شيء أبدا في منطق أرسطو، بل أبعد شيء عنه لأنه تحليل رياضي.إن ذلك الآن هو من أرقى فصول الرياضيات الحديثة، وقد سبق الخليل هذا التصرف برسم بياني على شكل دائرة. وهذا الرسم هو نفسه طريقة رياضية...ثم لا شك أن الخليل هو الذي اخترع هذا الحساب اختراعا؛ لأن المؤرخين للرياضيات لم يذكروا شيئا من هذا يكون قد حصل قبله[5]. وعدّ الباحث النحاة العرب أول من تفطن إلى أن التراكيب اللغوية يمكن أن تتناول بالتحليل الرياضي[6].

-القياس النحوي:

بيّن الحاج صالح مفهوم القياس كمصدر لـ قاس/ يقيس، ورأى أنه يدل على إجراء المتكلم في كلامه لمفردة، أو تركيب على مثال من مثل كلام العرب، ولو لم يسمع ذلك منهم، أومن فصيح، وذكر قول ابن جني في ذلك[7]: » وهو أن نبني من كلمة بناء لم تبنه ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه بناء

(4)-منطق الغرب في علوم اللسان، ص155.
(5)- المرجع نفسه، ص29.
(6)- المرجع نفسه، ص31.
(7)- المرجع نفسه، ص157.

كلامهم[1]. ويضيف أنه ليس كل ما في اللغة يقاس، أو يقاس عليه، وذلك لأنه جزء كبير من اللغة، ويؤخذ سماعا، ويضطر المتعلم أن يسجله في ذاكرته ليس إلا«[2].

وأكّد الباحثعلى أنه تكافؤ لا تطابق(indentity)، ولا مجرد شبه، الذي هو في تعريف القياس، الذي هو شائع عند المتأخرين، وذكر منهم تعريف أبي البركات بن الأنباري في كتابه «في أصول النحو»، فإنه يبدي تحفظا شديدا منه، ذلك لأن ابن الأنباري وأمثاله في تحديدهم للقياس النحوي أخذوا بتحديد الفقهاء الأصوليين للقياس. وقال عن هذا التعريف بأنه شاع عند المحدثين. ويرى الحاج صالح أن هذا التعريف قد أهمل أهم صفة للقياس النحوي، وهو أنه يخص البنى اللغوية إفرادا وتركيبا. وأضاف أن للقياس النحوي خصوصية هامة، وهي أن مجاله هو المثل اللفظية من أوزان للكلم وتراكيب للجمل. فحمل شيء على شيء لجامع بينهما، وهو تحديد ينطبق على القياسين لعمومه وعدم تقيده بمفهومي الأصل، والفرع[3].

3 -تحقيق الاستقلالية:

إن تحقيق الاستقلالية تعتبر من شروط نجاح البحث العلمي، وهي من أهم عوامل بوادر تشكيل لسانيات عربية حديثة، يفترض عدم تبعيتها الكلية للمناهج اللسانية الغربية.

ويرى الحاج صالح أنه لا بد أن يعتمد في عمليات البحث التطويري على التراث العربي، خاصة ما تركه اللغويون العرب القدامى. والذي يجب أن نركز عليه هو التجاوز المستمر لما نأخذه عن غيرنا، ويجب أن ننفض عنا غبار

---

(1)- المنصف(شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبو عثمان المازني)، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم. وزارة المعارف، ط1، 1954 م.3/ 280.

(2)- منطق العرب في علوم اللسان ، ص158.

(3)- منطق العرب في علوم اللسان، ص159.

التقليد الذي أصبنا به منذ أكثر من ستة قرون[1]. واقتنع أن النحاة العرب الأوائل ابتدعوا منهجا في التحليل انفردوا به، وإلى تصور بديع للعربية، ونظرية اختصوا بها. فمفهوم الوزن هو وليد البحوث التي أجروها على كلام العرب لاكتشاف التكافؤ، ووفقوا في ذلك من الناحية العلمية، إذ لم يلجؤوا إلى التقطيع والاستبدال الذي امتازبه البنويون في زماننا لمحاولتهم لاكتشاف الوحدات اللغوية، بل ذهبوا إلى أبعد من هذا[2].

وبيّن الباحث: أن أكبرعيب يتصف به الباحث هو أن يتجاهل ويحتقر كل ما ليس داخلا في نظريته التي تبناها أو صار من أتباعها، فيجب ألا يصدر ذلك من الباحث الموضوعي الذي لا يهمه إلا نجاعة النظرية مهما كانت. ولذلك لا يكتفي بما يعرفه بل يحاول أيضا أن ينتقد النقد البناء ما يراه غير صالح أو بعيدا عن هذه النجاعة لأننا بصدد عمل علمي وتطبيقي وليس أكاديميا محضا.[3]

والحاج صالح الذي اقتنع بأصالة اللغة العربية، وأصالة نحوها، ودفع شبهة تأثره بالنحو الأرسطي في النشأة، ولم يجعل الأصالة مقابلة لكلمة الحداثة، بل قابلها بالتقليد، وعرّف لنا الأصيل:»بأنه الذي لا يكون مقلدا لغيره»، ورفض هذا الذوبان، الذي نتج عن الاتباع الأعمى الذي اتصف به بعض الباحثين المحدثين، نتيجة الانبهار بهذه النظريات، وبأفكار مؤسسيها.

وخلاصة القول: أن هذه العناصر التي ذكرناها تلخص لنا علاقة النظرية الخليلية الحديثة بالنظريات اللسانية الغربية الحديثة، والتي يمكن اعتبارها منهجا وقيمة في الوقت نفسه، في البحث اللساني العربي الحديث.

(1) - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص116.
(2)- منطق العرب في علوم اللسان، ص171، 172.
(3)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص88.

وإن في تكامل المذاهب اللسانية بكيفية بناءة من شأنه أن يدعم أسس البحث اللساني العربي، ويقوي انطلاقته نحو آفاق مستقبلية أفضل[1].

حتى وإن كانت هذه الأفكار قد تجاوزها الزمن، وظهر ما يبطلها في النظريات الحديثة التي أثبتت جدارة في بعض أفكارها، كنظرية تشومسكي التي تأخر أتباع البنوية في السماع بها والتعرف على أفكارها. ومن سلبيات هذا التأثر بالنظريات الغربية والغربية على النحو العربي، هي المحاولات المتعددة من قبل هؤلاء الباحثين المتحمسين لأفكارها إخضاع اللغة العربية، ونحوها، لمبادئها رغم ما يميز اللغة العربية من خصوصية، والتي قد تشكل عائقا أمام إمكانية تطبيق هذه المبادئ والأفكار. وقد سعى الحاج صالح إلى إحياء التراث الخليلي، وكشف الجوانب العلمية فيه. فقد أخذت النظرية الخليلية الحديثة على عاتقها هذا الدور، وهو تحريك عجلة البحث العلمي اللغوي، ومسايرة التطور العالمي، والحفاظ على الهوية العربية. وأهم إجراء عملي ميزها هو محاولة صورنة اللغة العربية، وجعلها ميسرة التطبيق في جوانب تتطلب ذلك كالحوسبة.ويرى الحاج صالح أنه لا بد أن يعتمد في عمليات البحث التطويري للغة على التراث العربي، خاصة ما تركه اللغويون العرب القدامى.

ب- صلاحها لكثير من اللغات

حيث يقول صالح بلعيد:»لقد جربت النظرية على اللغة الفرنسية والإنجليزية لما لهما من خصائص تختلفان عن العربية، وأثبتت النظرية مدى قابليتها للتطبيق على اللغات الطبيعية، ويعني ذلك احتواء النظرية على شمولية التطبيق«[2]. مع أننا وجدنا أن هذا القول لم يوضّح لنا أين يكمن هذا التطبيق؟.

---

(1)-اللسانيات العربية الحديثة(دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)، مصطفى غلفان، مطبعة فضالة. المغرب، دط، دت ، ص61.

(2)- مقالات لغوية، صالح بلعيد، دار هومة، دط، 2009م، ص55.

وتقول خولة طالب الإبراهيمي: «وقد أوجز عبد الرحمن الحاج صالح أبنية الكلام في اللغة العربية (وفي كل اللغات)، في رسم بياني، حيث قال: إن أصغر ما يبنى من الكلام يتكون دائما من عامل(ع)، ومعمول أول(م1)، ومعمول ثان(م2)»[1].

فرغم اجتهاد الحاج صالح لإعطاء النظرية الخليلية الحديثة طابع الشمولية، والعامية، وقد أشار إلى ذلك خاصة فيما يتعلق بالتحليل اللغوي، حيث قدّم نقدا للمناهج الغربية المطبقة في ذلك. لكننا لا نستطيع أن نصدر حكما بصلاح هذه النظرية وتطبيقها على اللغات الغربية، خاصة وأن صاحبها كان تركيزه على اللغة العربية وعلى نحوها. وربما احتاج هذا الحكم إلى دراسات مستقبلية تثبتهمن قبل باحثين آخرين تابعين لهذه النظرية.

ج - دراسات نقدية للنظرية الخليلية الحديثة

1 - التعليميات:وهناك مجوعة من طلبة الدراسات العليا تخصص تعليميات قاموا باستغلال مبادئ النظرية الخليلية في إنجاز دراسات متخصصة وفعالة في هذا المجال ومنها[2]:

اسم الطالب	عنوان الرسالة
حبيبة بودلعة	النظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تعليم اللغة العربية:التركيب الاسمي نموذجا
صليحة مكي	دراسة تحليلية تقويمية لطريقة تعليم اللفظة الفعلية في السنة السابعة من التعليم الأساسي واقتراح البديل بناء على مبادئ المدرسة الخليلية الحديثة
فتيحة بن عمار	دراسة وصفية تحليلية تقويمية لأنواع التمارين النحوية للسنة السادسة من التعليم الأساسي واقتراح أنماط جديدة بناء على النظرية الخليلية

(1)- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط2، 2006 م، ص176.

(2)- مقالات لغوية، ص 55، 56.

وكان هدف الطلبة من هذه الدراسات، هو الخروج بإمكانية تطبيق مبادئ النظرية الخليلية في الميدان التعليمي، وقد أكد عبد الرحمن الحاج صالح أنه يمكن استغلال مجموعة من المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة، ومنها مفهوم اللفظة، التي يعرفها الباحث: «بأنها أصغر وحدة في الخطاب»[1]. ويقول عن التعاقب: «استغلال التعاقب يفيد كثيرا في تعلم النحو»[2].

وتقول خولة طالب الإبراهيمي: «إن اللفظة هي أصغر قطعة في الخطاب، أو الحديث؛ إذ لا تجد فعلا أو اسما في الخطاب إلا ويحدد داخل هذه المصفوفة أي داخل المصفوفة الخاصة به، ولهذا الإفراز نتائج عظيمة ليس فقط على صعيد التحليل اللغوي بل أيضا في مجال تعليم اللغات[3]».

2 - علاج أمراض الكلام

وقد وظفت الباحثة فوزية بداوي عضو مخبر علاج أمراض الكلام في مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بجامعة الجزائر (2) مبادئ النظرية الخليلية الحديثة في علاج أمراض الكلام في دراستها الأكاديمية، والتي كانت من متطلبات شهادة الماجيستير وكان عنوان الرسالة « تحليل لساني لاضطرابات الكلام في مستوى التراكيب لدى المصابين بالحبسة وتأثيرها في الخطاب».وتقول الباحثة: إن هذا البحث مكن من توضيح العلاقة القائمة بين الاضطراب في التركيب، وبين القدرة البلاغية لدى المصابين بالحبسة، وأنها قد قامت بفحص القدرات البلاغية لدى المصابين بالحبسة رغم الاضطراب الذي يصيب القدرة على تركيب وحدات منسجمة، وبينت النتائج

(1)- «لنحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما»، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر، ع17، 2013 م، ص22.

(2)- مقابلة مع الحاج صالح، بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 27/ 09/ 2012 م، من سا 10إلى سا 11.

(3)- مبادئ في اللسانيات ، ص99.

الأهمية التي يكتسبها استعمال النموذج التركيبي الخليلي كنموذج لساني في تحليل كلام المصابين بالحبسة والناطقين بالعربية.

ويعتبر تطبيق النموذج الخليلي طريقة جديدة في تحليل كلام المصابين، وقد مكن هذا النموذج من تطبيق توجه جديد في تحليل التراكيب وتأثيره على الخطاب، ومن اختيار أحسن للاختبارات الملائمة في دراسة مثل هذه البحوث، ويتمركز المشكل في هذا البحث في مجموعة تساؤلات، منها: هل الاضطراب الذي يصيب التراكيب له أثر سلبي على قدرة إنتاج الكلام المفيد وفق أحوال الخطاب؟، إذا كان تنوع مواضع الإصابة يؤدي إلى تنوع أعراض الاضطرابات وذلك حسب نوع الحبسة:

بروكا أوورنيك[1]، هل هذا التنوع له تأثير في قدرة المصاب

على تنظيم خطابه وفقمقامات التبليغ المكلف به؟[2].

3 - الجانب الصوتي

وهي دراسة تجريبية لمفهومي الحركة والسكون وقد جاءت هذه الدراسة التجريبية مكملة للتحليل النظري المنجز من قبل الحاج صالح، وقد ركزت الدراسة على مفهومي الحركة والسكون باستعمال قاعدة أصوات اللغة العربية، حيث تم تسجيل الأصوات بواسطة جهاز قياس حركات أعضاء النطق AG100.وقد يبين هذا الجهاز معلومات تخص الأعضاء مثل تموقع الأعضاء وسرعتها وتسارعها خلال الخطابة.[3]

---

(1)-حبسة بروكا: تتكون بفعل آفة قشرية، وتحت قشرية من ساحة بروكا مع التأثير على وظائف مكونات أخرى، والتي تملك معها منطقة بروكا خطوط اتصال محورية، وتظهر من خلال عيوب عميقة في الواقع، وبعد حادث نزيف أو صدمة.

حبسة ورنيك: تضم عيبا ضخما في فهم الكلام.

Linguistique, oliver soutet, imprimerie des presses universitaires de France, décembre 1997, P98, 99

(2)- ملخص رسالة ماجيستير للباحثة فوزية بداوي، نوقشت سنة 200 م بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.

(3)- « l'utilisation de l'articulograph AG100 dans l'étude acoustic articula-

4– المقالات:

لقد حظيت النظرية الخليلية الحديثة باهتمام بعض الباحثين والدارسين المحدثين، داخل الوطن وخارجه، مما أفرز بعض الدراسات النقدية القيّمة، والتي كان موضوعها النظرية الخليلية الحديثة، تأكيدا لأهميتها في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، وتعميقا لمكانتها العلمية، والتجديدية في ميدان البحث اللساني، والتي كانت في أغلبها مقالات نشرت في مجلات علمية، أو ألقيت في ملتقيات، وأيام دراسية، والتي نعتبرها تقييما لهذه النظرية، من جوانب متعددة، ولقد انتقيت بعضها، وهي كما يأتي:

- الجهود اللغوية والعلمية للباحث عبد الرحمن الحاج صالح(صالح بلعيد)

وجاء في مقدمة هذا المقال: لقد أسعدني الحظ لأقول كلاما في أستاذي الفاضل، فظفرت بهذه الكلمات الشوارد، ولكنني ماذا عساني أقول، وأنا في هذه المنصة التي أجد فيها نفسي كمانح الماء قطرة، فتعوزني الحجة والبيان، ولا أملك سلاح المواجهة...ما ذا أقول في عالم جليل فاقت شهرته الأفاق، وعطاءاته متنوعة، إذ كانت عضويته بالمجامع اللغوية قديمة، ورئاسته للمجمع الجزائري للغة العربية جديرة، وبعد في طليعة علماء اللسانيات الذين ينبع تاريخهم من أعماق الدراسات اللغوية الأصيلة يقرن المنهج العلمي بالعملي، وكتاباته ليست متعجلة تعيد إنتاج ما سبق، بل تأتي دائما بالجديد. وأنا أعد بعض الخصال العلمية لهذا الباحث، خصال شهد له بها طلابه الذين كانوا بجنبه، وأنا واحد منهم...فما يقول التلميذ في أستاذه !... وأنا طالب دراسات عليا، إذ كانت محاضراته وأماليه تجديدا وأصالة فانبهرت بها أيما انبهار، وكانت من الحوافز التي دعتني للوقوف على قضايا لغوية كثيرة

---

toire de la haraka et du sukun de l'arab standard et dans l'élaboratind'une base de dinnéessoonores», Mourad Abbas – GhaniaDroua, Abdrrahman-Hadj Salah، الندوة الدولية حول اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات، نصوص أعمال الندوة 28 و 29 ديسمبر 2002 م، نزل الأوراسي، الجزائر، ص45.

هي في حاجة إلى نظر. ورأيت أنه يأخذ بمناهج البحث العلمي وطرائقه أخذا جريئا، ويعمل على وصل الثقافة العربية بالثقافة الغربية، كما أن تحكمه في اللغات الأجنبية صنعت منه خصيصة لا تتوفر لكثير من الباحثين، وحداني ذلك أن أنصت متعلما علما كثيرا فاكتسبت علما كثيرا فاكتسبت ما لم أكن ممتلكه سابقا»[1]

- **مقامة في جهود الأستاذ الحاج صالح**، وهذا مقتطف منها: «...وأما باب التنظير اللغوي فإن الأمور محروسة الترتيب، محفوظة النظام، من منظور الباحث أن النظريات تتوالد وتتكاثر، مثلها مثل التعليميات، فلا بد من فعل لساني معاصر؛ يجعل النظرية تعبر عن زمانها ومكانها ومريديها، وكيف تتطور من زمان لزمان، وما هي درجات البيان، وأحكام المعاني وما تؤديه من مجار. ومن هنا فإنه من الضرورة بمكان أن تكون الحاجة أم الاختراع، وهذا يفضل ما يمكن أن تقدمه النظرية الجديدة من تحديد إطار عام؛ تدور فيه الأفكار دورانا تواتريا محكمة تزيد النظرية الجديدة إحكاما، وتعمل على ترقيتها تطويعا، ويضفي لها المنهج تمثيلا، وتقبل التطويع تطويرا، وبها أصبح الباحث لبيبا...أيها الحضور الكرام، لا أخفيكم بأني كنت ذات يوم في أم الدنيا طالبا، وطلبت الإشراف من شيخ وقور عالم، ولما علم أنني من الجزائر قال: يا بني اليوم أطبق عليك القاعدة الفقهية التي تقول: إذا الماء بطل التيمم، عندكم في الجزائر الحاج صالح، وتأتي لمصر لعبد غير صالح، وهذا أمر عجيب عندكم في الجزائر...عد إلى بلدك الجزائر، واعرض الموضوع على الحاج صالح...وذلك الذي فعلت، وبالنصيحة أخذت...وأقول: أحق إننا ننكر وناكر...هذه مقامتي المتواضعة في أعمال الباحث الأستاذ الحاج صالح...»[2]

(1)- مقاربات منهاجية، صالح بلعيد، دارهومة، 2004 م، ص144.

(2)-في الأمن اللغوي، صالح بلعيد، دارهومة، 2010 م.، صالح بلعيد، ص92-89.

-الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات (أمنصوري ميلود. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة وهران- اللسانية)، وقد جاء ملخص هذا المقال كما يأتي: » يبرز هذا المقال الفكر اللساني الذي تميّز به الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات. ومكانته العلمية، وجهوده في التعريف بالتراث اللغوي الأصيل للنحاة العرب القدامى، ومدى إعجابه بأفكارهم، وتبنيه لبعض مصطلحاتهم، وتوضيحه لمبادئ النظرية الخليلية التي سعى لتطويرها واستثمارها«. ذكر منصوري في هذا المقال مكانة الحاج صالح المرموقة في البحث اللغوي العربي الحديث، عند طلابه، وذكر تميز الحاج صالح وإعجابه الشديد بما أنتجه النحاة الأوائل، وتبنيه لأفكارهم، خاصة الجانب الصوتي، وتبنيه لمصطلحاتهم، وركز على المصطلحات الصوتية، ووضح دوافع الحاج صالح في تبنيه لمصطلح اللسانيات. ثم وضح كيف أن الحاج صالح أشاد بجهودهم اللغوية، وذلك أنه اقتنع أن جل ما أثبتوه هو أقرب إلى المفهوم اللساني الحديث، ومن ذلك مفهوم العلامة العدمية، التمييز بين المعنى والفائدة الذي عرف به العرب، وما جاء من مقارنة بين بعض مبادئ النحو العربي، وما جاء في اللسانيات الغربية، والتي أدرجها الحاج صالح في مقالاته المعرفة بعلم اللسان الحديث، الذي يخص تاريخ اللسانيات الغربية، ثم وضح صاحب المقال دفاع الحاج صالح عن النحاة الأوائل، والتصدي بالرد على من نفى عن نحوهم صفة العلمية، خاصة جورج مونان[1].

(1) «لفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح(من خلال مجلة اللسانيات)»، منصوري ميلود، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 07، جانفي 2005 م. www .ebreview.dz /23/04 2013 م.

- النظرية الخليلية الحديثة، وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة

شريف بوشحدان. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة باجي مختار)، حيث جاء في ملخص هذا المقال، ما يأتي: «نتناول في هذه الدراسة ما يمكن أن تسهم به النظرية الخليلية الحديثة في ترقية تعليم اللغة العربية في مراحل التعليم ما قبل الجامعة قصد تيسير استعمالها، وتوسيع مساحة انتشارها، وجعلها لغة التواصل الفعلي. إن فضل هذه النظرية كبير في توضيح الكثير من المفاهيم العلمية، التي أبدعها علماء العرب القدامى، لا تقل أهمية عما أثبتته اللسانيات الحديثة، وفي تقديم التحليلات اللغوية التي تنطلق من واقع اللفظ، وواقع الخطاب، وفي اقتراح أنجع الحلول لتدريس اللغة العربية، ونشرها، وجعلها اللغة المستعملة بالفعل. سنتطرق إلى السبل التي توفرها النظرية الخليلية الحديثة من خلال ما تضمنته من حقائق وقوانين، وما انبنى عليها من دراسات»[1].

- منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان. كريمة أوشيش

ذكرت الباحثة في هذا المقال المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ومنها مفهوم الباب، ومفهوم المثال، ثم مفهوما الأصل والفرع، وأيضا مفهوم القياس. ثم تطرقت الباحثة إلى مستويات التحليل، والتي ذكرها الحاج صالح بخصوص التحليل العربي، وهي: مستوى اللفظة، ومستوى الكلم، ومستوى الحروف، ثم مستوى التراكيب. وذكرت الباحثة بعد ذلك بعض الدراسات التي تناولت النظرية الخليلية الحديثة بالتطبيق، ومن ذلك: ميدان التعليميات، وعلم أمراض الكلام، وميدان العلاج الآلي للغة. ثم الخاتمة[2].

(1)- «النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقية تعليم اللغة العربية فيما قبل الجامعة»الشريف بوشحدان، التواصل(في اللغات والثقافة والآداب)، جامعة باجي مختار، عنابة، ع31، 2012م، ص105.

(2)- «منهج النظرية الخليلية الحديثة في تحليل اللسان»، كريمة أوشيش، مجلة الآداب

-أصالة الخطاب في اللسانيات الحديثة:(بشير إبرير- جامعة باجي مختار)

حيث درس في هذا الموضوع أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة فتتبع أهم خصوصياته وصفاته المميزة من حيث المفاهيم، والمبادئ. ويتجلى ذلك من خلال أصالة الخطاب عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فهو الذي أسس اللسانيات الخليلية الحديثة وعمل على نشر أفكارها وقدم قراءة نوعية لمفاهيمها الأساسية ومبادئها في التحليل وحدد مكانة علم اللسان العربي من علم اللسان العام، وأرخ له وأوجد له ميادين للاستثمار في العملية التربوية والذخيرة اللغوية وتكنولوجيا اللغة[1].

- أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللساني العربي الحديث:(مطهري صفية.جامعة وهران)

تقول الباحثة: تعد الدراسات اللغوية ذات أهمية كبيرة...ويرجع الفضل في ذلك إلى جهود العديد من الباحثين نذكر منهم العلامة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي استطاع أن يبرز المكامن العلمية لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه بقراءته الجديدة لهذا الموروث العلمي الكبيرووصوله إلى وجود نظرية عربية هي ما أسماه النظرية الخليلية.

إن أهم ما يميز النظرية الخليلية هو هذه الركائز الأساسية التي بني عليها الدرس اللساني العربي، حيث نجد الخليل قد أبدع في جميع ميادين اللغة بصفة عامة، وفي الدراسات اللغوية العربية بصفة خاصة، في ذلك مثلا، اختراعه للشكل واختراعه للنظام الصوتي العربي الذي بني عليه معجم العين الذي يعد أول معجم قائم على فكرة رياضية.فقد عمدت إلى إبراز إلى أي مدى وصل الدرس اللساني العربي وهو ينهل من النظرية الخليلية، وما هي النتائج العلمية الدقيقة التي استطاع أن يحققها[2].

واللغات، جامعة الجزائر2، ع12، ديسمبر 2015 م، من ص13 إلى ص40.

(1)- ملخصات مداخلات ملتقى(الأعمال العلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح)، يومي 3، 4 جوان 2008 م، بفندق الجزائر، الجزائر العاصمة، ص31.

(2)- ملخصات الملتقى، ص32

- أهمية النظرية الخليلية في الدرس اللساني العربي الحديث:(عوني أحمد محمد جامعة ابن خلدون، تيارت)

وجاء في هذا المقال:الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هو أبرز العلماء في ميدان اللسانيات على المستوى العربي، والعالمي، بل هو أستاذ الأجيال، الذي يعود إليه الفضل في البحوث اللسانية الحديثة، من خلال رؤيته لفكر الخليل بن أحمد، وربط ذلك بكل ما توصلت إليه جهود العلماء المحدثين في الدراسات اللسانية، ضمن النظرية الخليلية الحديثة...بهذا الإنتاج الفكري المتميزللأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح حق له أن يكون محل التقدير[1].

- تقويم الأعمال العلمية للعالم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: مازن الوعر-جامعة حلب، سورية

يقول مازن الوعر: إن أهم ما يميز أعمال أستاذنا الجليل عبد الرحمن الحاج صالح هو اتسامها بذلك الحس القومي الحضاري القائم على قراءة التراث اللغوي العربي قراءة دراية ورواية... ومازال شيخنا ينادي بإحياء جواهر ما قاله العلماء العرب لتكون السند الرئيس لترقية اللغة العربية طبقا لمعطيات العصر.

وأستاذنا الجليل أعده بقوة الحق العلمي ودونما تحيز عاطفي من تلميذ باربأستاذه سيبويه القرن الواحد والعشرين بمشروعه اللغوي هذا[2].

وما يمكن قوله عموما في شأن هذه الدراسات، والتي تناولت أعمال الحاج صالح بالتقييم، فقد طبعها طابعا عاما، وهي أنها أقرب للتكريم من التقويم، خاصة وأنها منجزة من قبل تلاميذ الحاج صالح. وبصفة عامة الدراسات التي تناولت النظرية الخليلية بالنقد، نقلت مبادئها حرفيا دون تعليق.ولاحظنا أنها يغلب عليها الطابع الوصفي، ولم تتعدى ذكرلهذه المبادئ، وقد اختلط الأمر

(1) - المرجع نفسه، ص33.

(2)- ملخصات مداخلات الملتقى، ص4.

في هذه الدراسات بين دراسة منهج القدماء النحوي، الذي هو معروف، وما ينتظر الكشف عنه في هذه الدراسة، هذا المنهج الذي يميز النظرية الخليلية الحديثة، إضافة لكونه امتدادا لمنهج القدامى، ومدى مساهمته في تجديد منهج البحث اللساني العربي الحديث.

ثانيا:الذخيرة العربية

ا-فكرة الذخيرة العربية وتعريفها

تعود فكرة الذخيرة اللغوية إلى اللغوي عبد الرحمن الحاج صالح بعد اطلاعه على ما يجري من تطور في الدرس اللغوي الحديث، وخاصة علوم اللسان، واشتغاله بجانب التراث اللغوي. ووقوفه موقفا معتدلا يبتغي المحافظة عليه، واستحداث أطره ليتناسب ومعطيات العصر[1].

ولقد عرض الباحث فكرة هذا المشروع على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان سنة 1986 م، حيث حاول أن يقنع زملاءه بأهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية، واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية، وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع. وقد أجمعت جهات كبيرة على أهمية هذا المشروع . وعلى إثر ذلك نظمت جامعة الجزائر بالاتفاق مع المنظمة ندوة أولى لدراسة المشروع، واتخاذ القرارات[2].

وإن مفهوم الذخيرة العربية من الوجهة الاصطلاحية هي نصوص حقيقية محررة، أو منطوقة تخص تحصيل معلومات الكلمة العربية، والجذور، وصيغ الكلم، وحروف المعاني، والمعرّب الذي ورد في الاستعمال، وصيغ الجمل، والأساليب الحية والجامدة، وما يتعلق بالعروض والضرورات الشعرية والزحافات والقوافي وما يخص المفهوم اللغوي، أو الأدبي أو الحضاري، أو العلمي، أو التقني،وهي تقبل الزيادة والتقويم حسب تطور المعلومات[3]. فهو إنترنيت عربي، وهو بنك آلي من المعلومات المحوسبة تجمع

(1)- في الأمن اللغوي، ص175.

(2)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص303.

(3)- في الأمن اللغوي، ص175.

إنتاج الفكر العربي القديم والحديث، ومن جهة أخرى أهم ما ينتجه الفكر العالمي منقولا إلى العربية، من أفكار علمية جديدة في جميع الميادين من نظريات وتنقيح وانتقادات لنظريات سابقة وأوصاف لتقنيات جديدة مما ينشره العلماء باللغات الأجنبية يوميا في المجلات العلمية المتخصصة العالمية. إضافة إلى ذلك كل المعلومات التي يحتاج إليها التلميذ والطالب مما يجب أن يتلقاه في تعليمه ودراسته مما لم يفهمه أولم يجده أصلا في دروسه. ونصوص تتراءى فيها الحياة العامة للشعب العربي، ويتراءى فيها الاستعمال العفوي للغة العربية في زماننا(عينة مفتوحة مما تنشره الصحف العربية من المقالات والتحليلات وما يسمع من الأحاديث والمحاضرات والموائد المستديرة في الإذاعة والتلفزيون والخطب وغيرذلك، وأن يتصفحها بيديه بل هي طرف آخر في حوار حقيقي، وذلك من النصوص الحية)؛ فليست الذخيرة نصوصا جامدة، أوراق كتاب أو أي وثيقة مكتوبة، فالحاسوب هو الذي يتصفحها لصالح المستفيد منها، والحاسوب هو الذي يستجيب لما يطلبه بمجرد تلقيه لسؤال أو أسئلة تطرح على الذخيرة[1].

II- فوائد الذخيرة العربية

إن مشروع الذخيرة اللغوية المحوسبة كبير جدا وطموح، ومفتوح للأجيال اللاحقة في استكمال تخزين معلوماتهم، فهو موسوعة كبرى لا مثيل لها في دوائر المعارف، أو الموسوعات العامة أو المتخصصة، تفيد مستعمل اللغة العربية في شتى الميادين، وخاصة في القدرة على استعمال العربية بسهولة، وبلغة سليمة وثرية، يلجأ إليها الصغير والكبير للإفادة مهما كان المستوى العلمي للباحث[2].

1 – التراث العربي والبحث فيه ومسحه بالحاسوب

فالتراث العربي ينبغي أن لا يبقى مختفيا في المكتبات، ولا في المخطوطات

(1)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص303.

(2)- في الأمن اللغوي، ص180.

التي لا يصل إليها إلا المتخصص. وحوسبة التراث تتطلب أن تشترك في إنجازه كل الدول العربية لضخامته.

2 – إطلاع العلماء العرب على كل ما يجد من جديد في العلوم

أما البحوث العلمية التي تنشر يوميا، على شكل مقالات في مختلف المجلات العلمية المشهورة وذات المستوى العالي، فكلها الآن هي باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية، وهي بعيدة المنال لا تصل إلى جمهور الباحثين العرب إلا القليل منها، وإلى القليل جدا منهم، وقد يكون مر على صدورها وقت طويل عندما تصل إليه، وقد يكون المانع هو هذه الصعوبة في الحصول على الجديد من المعلومات، أو صعوبة الحصول عليها في وقت وجيز لا بعد سنوات، أو صعوبة اللغة كذلك. فعلى هذا فلا بد أن نجعل كل ما يصدر من بحث عالي المستوى مما يحتوي على فكرة أو نظرة جديدة في جميع العلوم والتكنولوجيا مما يجب أن يحصل عليه الباحثون العرب في متناولهم أينما كانوا في حين صدوره، وإلا يكون قد تجاوزه تقدم العلم. وسيتم ذلك بترجمة المقالة العلمية فورا تشترك في ذلك جميع المؤسسات العلمية المشاركة لأنها هي المعنية بذلك.

3 – استفادة التلاميذ والطلاب من الذخيرة

أما التلاميذ الصغار والمراهقون وطلاب الجامعات فلا ينبغي أن يحرموا من الإنترنيت العربي. والإنترنيت وسيلة لمساعدة هؤلاء التلاميذ وهؤلاء الطلبة.

4 – الاطلاع على حياة الناطقين بالعربية وعلى استعمال هذه اللغة

وفيما يخص الحياة اليومية الاجتماعية والفنية وغيرها فتسجيل أحداثها من خلال الأخبار اليومية، والمقالات الصحفية ستتكون منه ثروة من المعلومات يمكن أن يستفيد منها المواطن أيا كان اختصاصه، وخاصة واضع المصطلحات فسيجد في هذه الذخيرة، اللغة العربية الفصحى المستعملة بالفعل، فيمكن أن يتعرف على الشائع من المصطلحات، وعلى القليل النادر

منه في الاستعمال وذلك بالنسبة إلى جميع البلدان العربية. فيحكم اللغوي أو المجمعي على أي مصطلح دخل في الاستعمال بأنه شاع شيوعا واسعا بالاعتماد على الحجة في ذلك، وهي بما تكشفه الذخيرة بتصفحها الكامل للاستعمال الحقيقي.

ثالثا: مشاركته في بناء بعض المعاجم

ا - المعجم التاريخي

المعجم التاريخي[1]هو ديوان يجمع بين دفتيه مفردات اللغة مرتبة وفق نظام معين، ومقرونة بضبطها وشرحها والاستشهاد عليها. فالمعجم التاريخي يعنى بالتطور التاريخي الذي يدور في فلك التتبع لمدلول الكلمة عبر التاريخ.[2]

والمقصود من المعجم التاريخي العربي هو التعرف على التحول الزماني لمفردات العربية، من حيث معناها، ودخول مفردات جديدة كمصطلحات علمية أو حرفية أو ألفاظ حضارية وتحديد معانيها واختفاء بعض المفردات وغير ذلك[3].ويشهد الحاج صالح لهذا العمل بالتميز عن أي عمل جماعي آخر؛لخصوصيات يتصف بها، وأهمها:

1 - ضرورة الاعتماد على مجموعة من المعطيات- وهي النصوص الحديثة والتي وصلت إلينا-وهي تبلغ من الضخامة في الحجم حدا بعيدا جدا.

(1)- من المعروف لكل المشتغلين بالعربية أن المستشرق الألماني(أوجيست فيشر)، كان قد بدأ مشروعه الضخم لعمل معجم تاريخي للغة العربية، يستقي مادته من النصوص العربية، ويستخلص منها دلالات الألفاظ والتراكيب، وقد قضى في هذا المشروع زمنا طويلا، قبل أن يختار عضوا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد لقي ترحيبا بالغا من أعضائه، وأنفق فيشر أنذاك أربع سنوات كاملة في جمع معجمه، واستكمالها، ونبويبها، وتنسيقها، لكنه أقعده المرض، ثم عاجلته المنية دون أن يخرج مشروعه الضخم إلا مقدمته، ونموذج من حرف الهمزة إلى مادة(أبد)، وقد نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد ذلك. دراسات وتعليقات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1994 م، ص14.

(2)- في الأمن اللغوي، ص128.

(3)- «المعجم التاريخي وشروط إنجازه» عبد الرحمن الحاج صالح، ص17.

2 - احتياجه إلى منهجية علمية دقيقة جدا للمقارنة اللغوية الدلالية بين الألفاظ في استعمال المستعملين، وفي ميدان معين بين عصر وآخر، لاكتشاف المعاني المقصودة بالفعل في كل هذه المراحل من تطور المعاني.

ويدعو صالح بلعيد إلى الأخذ في الحسبان طول النفس لإنجاز هذا المشروع، فالمدة سوف تكون طويلة وسوف تمر حكومات وحكومات، ويأتي جيل أو جيلان أو أكثر، وأيضا حاجة المشروع إلى تغذية تمويلية أقوى.[1]

فقد ساهم الحاج صالح في إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، والذي قرر إنجازه إتحاد المجامع العلمية العربية[2]. ويعتبره الباحث من المشاريع الهامة في مسيرته العلمية، وهو مشروع لم تنته أشغاله بعد.

II - الرصيد اللغوي للطفل العربي

وقد عرّف الحاج صالح بهذا المشروع، في مقال نشره بمجلة المجمع الجزائري للغة العربية، والذي قال عنه: بأن فكرته تعود إلى اهتمام المسؤولين عن التربية في البلدان العربية بمفردات اللغة العربية التي يتعلمها الطفل العربي، وإلى اقتراح الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لما أسمته بمشروع المفردات المدرسية، وذلك في مؤتمر التعريب المنعقد في 1961 م. ولم يكن لهذا المشروع أي حظ من التنفيذ أو حتى الإعداد، إلا في اجتماع الجزائر لوزراء التربية للمغرب العربي في سنة 1967 م. فقد اقترحت فيه كيفية إنجازه، واتفق على تسميته بمشروع الرصيد اللغوي الوظيفي، فشرع في العمل (بين بلدان ثلاث وهي: تونس والجزائر والمغرب)[3].

رابعا: جهوده في المصطلح

وللباحث جهد واضح في مجموعة من المصطلحات اللسانية، وضعا

(1)- في الأمن اللغوي، ص132، 133.

(2)-» المعجم التاريخي وشروط إنجازه«، عبد الرحمن الحاج صالح، ص9.

(3)- » الرصيد اللغوي للطفل العربي(وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر)«،عبد الرحمن الحاج صالح مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع11، ص10.

أو نقدا، أظهر من خلاله اهتمامه البالغ بجانب المصطلح والمفاهيم، وضرورة اختيارها الاختيار السليم، وتصويب أخطائها قبل شيوعها، متبعا المنهجية العلمية الدقيقة، لتبرير اختياراته أو أحكامه، ويمكن تتبعها، بعد أن استجمعت ما تناثر منها في كتاباته، وقد استخلصت خصائص عامة لها، ومنها:

أ- إحياء مفاهيم عربية تراثية

فقد أحيا الحاج صالح المفاهيم اللغوية العربية خاصة الخليلية منها، وبنى عليها نموذجه اللساني الحديث، وحاول أن يجعل لهذه المفاهيم التقليدية، حمولة حديثة، وقد قابلها بالمصطلحات اللسانية العامة الحديثة من جهة، ومن جهة أخرى مقابلتها بمفاهيم علمية دقيقة، خاصة الرياضية منها، كمفهوم المجموعة، والعاملي، والتكافؤ ...وغيرها.

مع أن إعمال المفاهيم اللسانية في التراث أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حد ذاتها، وإدراكها في مصادرها، أو نشرها بلسان غير اللسان الذي اكتشفت فيه، أو قل إن إعمالها في سياق حضاري غير السياق الذي نشأت فيه يمثل مستوى من الفهم والامتلاك أرقى من الفهم الأول، وهو في صعوبته يكاد يضاهي صعوبة ابتكارها من أصلها لأنه يقتضي من الباحث إدراكا لحقائق العلم في خصائصها المجردة وفي ماهيتها الصرف مهما كانت الملابسات الطارئة التي تحف بها.[1]

وقد اجتهد الحاج صالح في التعريف بمفاهيم سيبويه خاصة، ونذكر منها:

1 - الإعلام عند سيبويه: «ولا بد من الالتفات إلى ما يتصف به تحليل سيبويه للإعلام من الغمق، وما يترتب عليه من شروط، وهي حقائق لم تثبت

(1)- المنوال النحوي العربي(قراءة لسانية جديدة)، عز الدين مجدوب، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1، 1998م، .ص 42، 43.

بعد إلا في زماننا هذا في نظرية الإعلام(information theorie)، وقد تكون جدة النظر، وعدم تفطن الناس إلى مثل ذلك السبب في عدم التفات النحاة بعده إلى ذلك لأنه لا يخص النحو كنحو؛ أي بالمعنى الضيق الذي عرفه المتأخرون، بل يشمل كل ما هو تبليغ وتواصل.»[1]

2 - **الكلام عند سيبويه:** «إن للفظة كلام ثلاثة معان أساسية في استعمال النحاة لها وخاصة سيبويه وشيوخه، فهذه المعاني الثلاثة هي في الحقيقة قريبة بعضها إزاء بعضها الآخر:

الكلام من حيث هو خطاب يحصل في التخاطب ويقابل اللسان أو اللغة بمعناها المحدث. الكلام كطريقة في التعبير يختص بها قوم، أو جماعة وترادفه كلمة لغة عند سيبويه. الكلام كوحدة خطابية تستقل في تبليغ الغرض، وهو الكلام المستغنى عند سيبويه أو الجملة المفيدة عند من جاء بعده».[2]

3 - **الوضع:** بيّن الحاج صالح أن لفظة الوضع كمصدر لفعل وضع يضع قديمة في كلام العرب وردت في كتاب سيبويه بمعناها الأصلي في العربية؛ إذ لم ترد كمصطلح من مصطلحات النحو، إلا أن تطبيقها على ألفاظ العربية كان جاريا عند أقدم النحاة وهو المنطلق الحقيقي لتطورها وتخصصها على أيدي نحاة القرن الرابع كمصطلح لغوي معين.[3]

4 -**الحد:** «إن كلمة حد قد انزوى معناها النحوي القديم بعد سيبويه، وتنوسي فصارت تدل عند أكثر النحاة بعد سيبويه على تعريف المفهوم... واختفى تدريجيا المعنى النحوي الأصلي، وهو التعريف لطريقة الصوغ.»[4].

---

(1) - الخطاب والتخاطبفي نظرية الوضع والاستعمال العربية،عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، ، ص72.

(2)- الخطاب والتخاطب، ص14.

(3)- المرجع نفسه، ص21.

(4)- منطق الغرب في علوم اللسان، ص18

ب- تعريب مصطلحات غربية وترجمة مصطلحات عربية

1-Stylistique= علم الأسلوب.[1] ، وقد ترجم هذا المصطلح من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية بنفس الكلمة، وهي الأسلوب، وقد جاء ذلك في مصطلح اللسانيات[2].

2 - **ترجمة الحد:** «الحد ترجمناه بـ (schème gènèrateur)لأنه تتفرع عليه الفروع» [3].

3 -**ترجمة اللفظة:** اللفظة ترجمناها بـ lexie.[4]

وقد صحح الحاج صالح ترجمة بعض المفاهيم، حيث جاء في قوله:

4 -«**ترجمة مفهوم الـ positivism**[5]: والتي ترجمها الباحث بلفظة وضعية...وللصفة مدلولان اثنان مختلفان في اللغة العلمية لم يراع المترجم إلا أحدهما وأخطأ في اختياره...فهذا ما يدعو إليه المذهب المسمى بـ (posi-tivism) ولا يمكن أن يسمى بالوضعية بل أقرب لفظ إليه هو ما يدل على الإيجابي الذي يرادفه الثابت المحسوس.»[6]

5 - **ترجمة لفظة(features):** والذي يستعمل في الصوتيات. وهو الصفة التي يتصف بها الفونيم(الوحدة الصوتية)، وهي الحرف (المنطوق) عند اللغويين العرب. فإذا أضافوا صفة (relevant) فيكون معناها الصفة المميزة للحرف عن كل الحروف الأخرى. فكلمة (features)يترجمها بعض

---

(1)- الخطاب والتخاطب، هامش،209.

(2)- يراجع مصطلح اللسانيات، ص125.

(3)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، هامش ص89.

(4)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص219.

(5)- مفهوم فلسفي يعني الوضعية routledge dictionary of language and linguistics, hadumodbussmann, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kaz-/zazi, this edition published in the Taylor francis e-library,2006, p 923

(6)-«الأخطاء في تأدية المفهوم في التدريب والترجمة خاصة»، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع12، 2010 م، ص20، 21.

من ليس له اختصاص بالتراث العلمي العربي، بالملامح، مع إجماع علمائنا القدامى على التسمية السابقة الذكر. أي الصفة المميزة أو الذاتية فللكلمة الإنجليزية معنيان منها الصفة عامة، وهو الـ (charteristic) ومنها معنى ملامح الوجه خاصة. فاختار المترجم معنى الملامح، مع أن المقصود هو معنى الصفة عامة.»[1]

6 - ترجمة كلمة (vocal cords): وقد ترجمت بالحبال الصوتية، وهو خطأ، لأن الذي وضع العبارة الأعجمية، وهو طبيب فرنسي في القرن السابع عشر الميلادي قد صرح بأنه شبه العضلتين الصغيرتين اللتين تحدث الصوت الحنجري بأوتار الكمنجة(وأي معزف آخر له أوتار). فالذي نقله إلى العربية المترجم، وهو المدلول الآخر لكلمة (cord)، وهو الحبل، ولا يتصور أن تكون في الحنجرة حبال وأن ترن !.»[2]

7 - «ترجمة كلمة (épiglotti): وقد ترجمت بلسان المزمار، وهي تسمية جالينوس للأوتار الصوتية، أما هذه التسمية الحديثة فهي من وضع طبيب قرشي في القرن الثامن عشر يسمى(ferein) بعد أن شبه الجهاز المهتز بأوتار الكمنجة. وفي اللغة كلمة عربية لم تشع، تدل تماما على هذه الأوتار وهي كلمة شوارب، قال حمزة الأصفهاني: هي عروق في الحلق يقال: هي مخارج الصوت من الجوف إلى الحلق».[3]وهو خطأ، لأن هذه العبارة استعملها المترجمون القدامى، والأطباء العرب للدلالة على ما يسمى بالـ (épiglottis) وهو الفراغ الموجود بين الوترين. أما الطبق الذي ينطبق عليه(يغلق الممر إلى الحنجرة)، وهو الـ (épiglottis) فهو الغلصمة عند اللغويين وعند الأطباء العرب.»[4]

---

(1)- «الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة»، عبد الرحمن الحاج صالح،ص21.

(2)- المرجع نفسه، ص22.

(3)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، هامش ص62.

(4)- »الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة«، عبد الرحمن الحاج صالح، ص22.

8 - اقترح ترجمة لفظة «حركة» بـ:kinème ولفظة تحرك بـ: kinèse وضدها بـ:akinèse: ويرى أن المفهومين العربيين متحرك وساكن ، kinéisé akinéisé أوفق وأنسب من مفهومي سوسير implosif وexplosif.[1]

9 - ترجمة phoneme بصوتم: «قد تجرأ بعضهم باقتراحه لكلمة هجينة وهي لفظة صوتم لترجمة كلمة phoneme وتم تركيبها باقتباس اللاحقة eme وإقحامها في الكلمة العربية صوت. وقد سبقه بعض المختصين في الكيمياء، واقترحوا مثل هذا التهجين. وهو تجرؤ خطير جدا لأن المعروف عن جميع اللغات هو اقتباسها للكلمة الأجنبية ككل، ثم تكييفها بحسب ما يقتضيه نظامها الصوتي. أما اقتباس اللواحقي وحدها فغريب يكاد لايعرف.»[2]

ج- ما وقع اختياره عليها لأسباب علمية

1 - تسمية اللسانيات: فضّل تسمية اللسانيات، حيث يقول الحاج صالح: «فالأفضل أن نلجأ إلى عبارة علم اللسان، وقد استعملت قديما، ومرادفها اللسانيات.»[3]

فقد فضّل كلمة لسان على كلمة لغة[4]

2 - بنوية بدل بنيوية: حيث جاء في قوله:structuralism : نقول «بنوي» كما نقول»قروي» و «تربوي» و «طهوي» وغير ذلك».[5]

-(1)la notion de syllable et la théoriecinético- impulsionnelle des phonéticiensarabes,Hadj Salah

مجلة اللسانيات(مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر)، 20 شارع الشهيد خالد مصطفى، الأبيار الجزائر، العدد 01، المجلد الأول، 1971 م، ص79.

(2)- «الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة»، عبد الرحمن الحاج صالح، ص22.

(3)- المرجع نفسه، ص19

(4)- بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص38

(5)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، هامش ص23.

3 - تصحيح مصطلحات لغوية خاطئة:

وجاء في قوله «وأما الأخطاء التي شاعت في زماننا...النسبة إلى صيغة جمع المؤنث السالم مثل: مؤسساتي وآلاتي ومجتمعاتي...وقد كثرت إلى حد أن صارت قابلة للتصرف في مستوى التراكيب قالوا مؤسساتيا، بل القياس عليها. فيصير بذلك جوهر العربية المستعملة أعجميا، لا في الأسلوب، بل في صميم البنية اللغوية».[1]

- وقال أيضا:أما معلوماتية ففيه أيضا نسبة إلى الجمع ببقاء الألف والتاء، إلا أنه يمتازعن نظائره بزيادة تاء التأنيث على الياء المشددة للدلالة على معنى العلم، وهو ترجمة لكلمة(informatics)، فأما ما شاع من أسماء العلوم منذ عهد قريب جدا مما زيد فيه هذه اللاحقة مثل كلمة معجمية، وهي ترجمة حرفية لكلمة (lexicography)، وليست في الواقع مجرد نقل لمعنى بل هو أيضا نقل للفظ أجنبي. فإن هذا اللفظ الذي يدل على العلم(باللاحقةy أو ics)، جاء بصيغة المفرد، فلم يرتح المعرّب أن يأتي مقابله بصيغة الجمع في العربية، فقالوا: أسلوبية (stylistics)فحذا حذوهم من قال: معلوماتية، وهو خطأ[2]. وقد عرف عند سعد عبد العزيز مصلوح اختياره لمصطلح أسلوبيات بدل أسلوبية، الذي جاء في عنوان كتابه، وقد وضح سبب هذا الاختيار، حيث جاء في قوله: لقد كان إيثارنا لمصطلح (الأسلوبيات اللسانية) مقابلا للمصطلح الإنجليزي linguistic stylistics. واستبدالنا إياه بمصطلحين شائعين على اختلاف في الدرجة بينهما، هما (علم الأسلوب)، و(الأسلوبية)، وأما إيثارنا إياه على الأول فلأنه أحصر وأطوع في التصريف. وأما وجه إيثاره على الثاني فلأنه جاء على سنة السلف في سلك المصطلحات الشبيهة،

(1)-«الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة»، عبد الرحمن الحاج صالح، ص15

(2)- »الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة» «عبد الرحمن الحاج صالح، ص16.

كالرياضيات، والطبيعيات، ولأنه يتسق بهذا المعنى مع مصطلح (اللسانيات)، و(الصوتيات)، وغيرهما من المصطلحات[1].

- تعليميات بدل تعليمية، وقد صحح قولي «تعليمية» أثناء حواري معه قائلا: قولي «تعليميات»، ولا تقولي «تعليمية»، مثل اللسانيات، فالياء والتاء المربوطة لا تدل على الميدان الدراسي» . [2]

د- اقتراح تسميات تفتقدها اللسانيات الغربية

1 - لفظة (isoschemism): «فتوافق البناء الخاص ببناء الكلمة هو توافق بين المكونات للكلم المتصرفة: الأصلي إزاء الأصلي والزائد إزاء الزائد، وكذلك الحركات، والسكنات مع توافق العدة والنظم(توافق الموضع)، والتركيب الداخلي لكل كلمة، وهذا المفهوم العربي أطلقنا عليه باللغات الأوروبية لفظة (isoschemism) لعدم وجود لفظة بهذه اللغات تؤديه في النظريات اللسانية الحديثة».[3]

2 -(Schèmegènèrateur) أو(generatorpattem): يقول الحاج صالح: «المثال أطلقنا عليه اسم (Schème gènèrateur) أو(generatorpattem) بالفرنسية أو الإنكليزية حتى تكون له مكانته في اللسانيات العامة».[4]

و- كشف تناسب بين مصطلحات عربية وأخرى غربية

1 - الوضع عند العرب وسوسور: «أما مفهوم الوضع أو التواضع عند العرب فهو نفس التواضع الذي تكلم عنه سوسور. وهو اصطلاح التخاطب.»[5]

---

(1)- في البلاغة العربية والأسلوبياتاللسانية(أفاق حديدة)، سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ط1، 2003 م، ص21.

(2) - مقابلة مع الحاج صالح، بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 27/ 09/ 2012 م، من سا 10 إلى سا 11.

(3)-منطق العرب في علوم اللسان، ص170.

(4)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص251

(5)- الخطاب والتخاطب، ص202.

2 - **البراكماتيك والاستعمال:** «أما تسمية البراكماتيك التي يقابل بها النحو من جهة والدلالة من جهة أخرى فإنها تمثل الجانب الاستعمالي للغة. ففي هذه الكلمة نجد الكلمة اليونانية (pragma)ومعناها العمل أو الشيء الموجود الواقع، وفي كلمة الاستعمال التي جاءت في مقابل الوضع، أو وضع اللغة معنى العمل بالشيء، واستخدامه. وعلىهذا فلا توجد أية كلمة عربية يمكن أن تؤدي هذا المعنى بالتمام إلا الاستعمال.»[1]

3 -**الفصيح وnative[2]speaker:** «ومفهوم الفصيح عندهم هو قريب جدا مما يسميه تشومسكي وغيره: nativespeaker .»[3]

4 - **التفريع والتحويل:** مفهوم التفريع يساوي مفهوم التحويل عند تشومسكي.[4]

5 - **الإطالة وrocusiveness:** الإطالة عند سيبويه يساوي rocusiveness عند تشومسكي[5]

6 -**الاستغناء و ميراكانسا:** ميراكانسا، ومعناها ما لا يقتضي ولا يستلزم شيئا، يناسب هذا المفهوم شيئا ما ما يسمى عند سيبويه بالاستغناء.[6]

ز-مصطلحات تفتقدها اللسانيات الغربية وميزت اللسانيات العربية

(1)- المرجع نفسه، ص211. وهذا ما ذهب إليه محمد يونس علي في قوله: ما يسمى بـ (البراغماتية) pragmatics عند الغربيين، ترجمته الحرفية علم الاستعمال، ولكن علم التخاطب أكثر قبول. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004 م، .ص11

(2)-وتعني الشخص الذي يستمع ويتكلم لغة ما، وقد تعلمها منذ الولادة .routledge dictionary of language and linguistics,p785.

(3)-بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، هامش ص28.

(4)- بحوثودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص322

(5)-.المرجع نفسه، ص330

(6)- بحوث ودراسات في علوم اللسان، هامش ص63

1 - **الحركة والسكون:** يرى الحاج صالح وجود ألفاظ عربية كانت تدل عند القدامى على مفاهيم ربما لا يكون لها مقابل باللغات الأجنبية(وهو شيء كثير مثل الحركة والسكون وحروف المد في الصوتيات العربية(.[1]

- «الحركة والسكون وحروف المد مفاهيم لا يوجد لها مقابل في اللسانيات الغربية»[2]

2 - «**مفهوم الفضيلة(أو فضل الحرف):** فضيلة الحرف: «ويتميز حرف على آخر بفضيلة، أي بزيادة صفة لا توجد في مقابله.»[3]، فهي شيء لا يوجد مثله حتى في الصوتيات الحديثة.»[4]

3 - «**الوحدة اللغوية القابلة للامتداد** مفهوم لا يوجد إلا عند النحاة العرب القدامى، وهو سابق لأوانه.»[5] - « مفهوم اللفظة كوحدة قابلة للامتداد، وهو خاص بالعرب.»[6]

4 - **المثال:** «المثال مفهوم عربي، لا مقابل له في اللسانيات الغربية.»[7]

5 - **العمل:** «مفهوم العمل أخذه الغربيون من العرب قديما وحديثا.»[8]

6 - **الوزن:** «أما وزن الكلمة كما حدّده الرضي فقد ابتدعه النحاة العرب، ولا يعرف هذا المفهوم، وكيفية تطبيقه على اللغة اللسانيون الغربيون المحدثون.»[9]

(1)-بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص402.
(2)- المرجع نفسه، ص20
(3)-بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص67.
بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص61.
(4)- منطق العرب في علوم اللسان، هامش ص127.
(5)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص49.
(6)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص251.
(7)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص51.
(8)- منطق العرب في علوم اللسان، ص170.
(9)- المرجع نفسه، ص135.

7 -**الباب:** «الباب مفهوم رياضي محض لم يعرفه الفلاسفة القدامى من غير العرب.»[1]

ح ـ فرّق بين مصطلحات متقاربة:

1 - «الفوارق القائمة بين فقه اللغة وعلم اللغة وعلم اللسان قديما وحديثا.»[2]

وهي فوارق من حيث الموضوعات اللغوية، وقد وضحها الكثير من الباحثين.

2 - « القياس العربي عند النحاة الأولين وعند الأصوليين والمتكلمين.»[3]

وقد أثبت الحاج صالح اختلاف القياس النحوي العربي، عن القياس الذي عرف عند المتكلمين، والأصوليين، وقد خالف في هذا التوجه آراء الكثير من المحدثين.

3 - المسند والمسند إليه عند سيبويه، غير المسند والمسند إليه عند المتأخرين، وهما غير المبني والمبني عليه، وبناء كلمة على أخرى في التركيب، غير الإسناد والتفريع والشغل كما يظنه المتأخرون.»[4]

4 -الكلمة عند المتقدمين والمتأخرين: «الكلمة عند سيبويه غير الكلمة عند ابن مالك[5]ومن اتبعه، وكذلك الأمر فيما يخص لفظة(اللغة)، و(الكلام).»[6]

---

(1)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص22.

(2)- منطق العرب في علوم اللسان، ص170.

(3)- المرجع نفسه، ص183.

(4)- حدد ابن مالك مفهوم الكلمة فقال: «الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيا وتقدير»ا شرح التسهيل، جمال الدين بن عبد الله بن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة وللنشر والتوزيع، ط1، 1990 م، 1، ص2.

(5)- بحوث ودراسات في علوم اللسان، هامش ص183.

(6)- الخطاب والتخاطب، ص 263.

5 - «**البنية والنظام**»: أنكر التسوية بين هذين المصطلحين التي عُرفت عند أتباع سوسور، وبرّأ سوسور من هذه التسوية الخاطئة[1]

6 - **اللفظة والجملة**: اللفظة ليست هي الجملة المفيدة.[2]

7 - **التوزيع والقسمة**: يقول الحاج صالح:»لا أدري لماذا يختار بعض الناس معنى التوزيع في ترجمة كلمة (distribution) فهذا المعنى غير مقصود أبدا. وأقرب كلمة إلى مقصودهم هي القسمة.110

8 - **fonction وdistribution**ما يسميه بلومفيلد(fonction) ليس هو الوظيفة إطلاقا بل هو ما يسميه أتباعه بـ الـ(distribution) .[3]

9 - **معنىlangage في اللغتين الفرنسية والإنجليزية**: «ولا يوجد في الإنكليزية كلمة تؤدي تماما معنى(langage) بالفرنسية.»[4]

10 - **الإفادة والمعنى**: ويقول: «إن الإفادة بمعنى الإخبار التبست في استعمال النحاة بعد المبرد بالدلالة على المعنى.»[5]

11 **البنية والإسناد**: - ويقول أيضا «..وأخطر مما سبق هو التخليط بين البنية النحوية الخالصة، وما أسماه سيبويه والخليل إسنادا.»[6]

12 - **الفصاحة عند الخفاجي والمتأخرين**: ويقول الحاج صالح : «بعض أهل الاختصاص في زماننا قد يجهل الفرق بين الفصاحة الذي نجده عند الخفاجي، ومن تبعه من البلاغيين المتأخرين .»[7]

---

(1)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص49.

(2)- المرجع نفسه، الهامش ص12.

(3)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، الهامش ص33.

(4)- المرجع نفسه، الهامش ص13.

(5)-الخطاب والتخاطب، ص259.

(6)- المرجع نفسه، ص259.

(7)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص30.

13 - البناء والتفريع: وجاء في قوله: «وخلطوا أيضا بين ما هو بناء كبناء الخبر على المبتدأ، وما هو تفريع عامل بمعموله مثل شغل الفعل بفاعله، وليس بناء؛ إذ لا يوجد فعل بدون فاعل في الكلام.»[1]

14 - القياس والأنالوجيا: ويقول الحاج صالح: «القياس لم يهتم به الأوروبيون كان عندهم أنالوجيا لكنها فقيرة، فالعرب اهتموا به.»[2]

15 - الإحصاء والاستقراء في الرياضيات: «ومفهوم الإحصاء هو أقرب إلى الرياضيات من مفهوم الاستقراء الذي لا يتجاوز مجرد التصفح.»[3]

16 - الموضع والموقع: «الموضع[4] ليس هو بالضرورة موقع الكلمة، أو الحرف في مدرج الكلام الملفوظ؛ أي أحد المواقع المتسلسلة الواقعة في هذا المدرج.»[5] ويعتبر حسين رفعت حسين، الموضع والموقع شيئا واحدا، وجاء عنده مصطلح الموقعية بمعنى الموضع، فعرفها في قوله: إن كلمة الموقعية تشير إلى قيمة الموقع، والمعروف أن الموقع لا يكون منسوبا إلى الكلمة المفردة، وإنما يكون حين توجد الكلمة في سياق يربطها بكلمات أخرى في الجملة، فكلمة الموقع عبارة عن مكان الكلمة بالنسبة لما يصاحبها من الكلمات»[6]. وهذا ما ذهب إليه عبد العزيز العماري حيث يقول: أعتقد أن المصطلحين»موضع» و»موقع» مترادفان والفرق البسيط بينهما يتمثل في كون «الموضع» أقدم من الموقع على المستوى التاريخي وأعطى أمثلة لاستخدام مصطلح الموضع عند القدماء، ومن جهة أخرى أمثلة تبين استخدام مصطلح الموقع عند

(1)- الخطاب والتخاطب، ص260.

(2)- مقابلة مع الحاج صالح، بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 22/05/ 2011م، من سا 9 إلى سا 10 و30 د.

(3)- منطق العرب في علوم اللسان، ص363.

(4)- يعود على اللفظ فهوكيان هيكل، وإن الموضع يطبق في جميع مستويات اللغة.
Lingustique arabe et Lingustique générale, T2, p177.

(5)- منطق العرب في علوم اللسان، ص123,

(6)- الموقعية في النحو العربي(دراسة سياقية)، حسين رفعت حسين، عالم الكتب، ط1، 2005 م، ص19.

المحدثين»[1]

17 - **الحد والتعريف على المعنى:** «فالحد عند سيبويه...يتفق مع التعريف على المعنى(التعريف المفهومي)، في أن كلاهما وصف مميز، ويفترقان في كون الحد خاصا بمجرى الشيء؛ أي بمساره اللفظي وطريقة صوغه ليس إلا.»[2]

ط - تسميته الخاصة

1 - **الدلائل المبهمة:** يقول الحاج صالح:» وتدخل في الأسماء المبهمة المطلقة ما سميناه بالدلائل المبهمة».[3]

2 - **الدلائل من الدرجة الثانية:** حيث يقول أيضا:» ولذلك سميناها بالدلائل من الدرجة الثانية.[4]»

3 - **التعريف على المعنى:** وجاء في قوله: «كان التعريف النحوي تعريفا للمفهوم اللغوي العلمي...لا يمكن أن يستغنى عنه، وهو الذي سميناه التعريف على المعنى، لأنه يتناول المفهوم، ويقابله التعريف على اللفظ».[5]

4 -**لغة الثقافة:** اقترح لقبا للغة العربية غير الذي لقبت به، حيث يقول:»نرفض رفضا باتا اللقب الذي لقبتها به اللغات الأجنبية وهو (littèral أوlittèraire) ونرى أنه من الإنصاف للحقيقة أن يلقب بـ (langue cultivée)؛ أي لغة الثقافة تمييزا لها عن العلمية، وأحسن من ذلك [6](arab standard) لأنها اللغة العربية الموحدة الوحيدة.»[7]

(1)- قضايا لسانية، عبد العزيز العماري، مطبعة سندي مكناس، ط1، 2000 م، ص25.

(2) - منطق العرب في علوم اللسان، ص122.

(3)- الخطاب والتخاطب، ص254.

(4) - المرجع نفسه، ص255.

(5)- منطق العرب في علوم اللسان، ص113.

(6)-ويطلق عادة على الإنجليزية الفصيحة «standard english» . معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. إسكندرية، ط1، 2000 م، ص229.

(7)- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، هامش ص136.

لقد وجدنا الحاج صالح أعطى قيمة كبيرة للحديث عن المصطلحات اللسانية، رغم أنه لم يفرد لها دراسة مستقلة، لكنها كانت متناثرة في مؤلفاته. وما يمكن ملاحظته على جهود الحاج صالح في ميدان المصطلح، أنه حاول إحياء مفاهيم لغوية عربية قديمة، وإعطاءها حمولة لسانية حديثة، لتمييز اللسانيات العربية، وقد اقتنع الحاج صالح بإمكانية ذلك، خاصة وأنه يعتقد بوجود خصائص لسانية حديثة في هذه المفاهيم، وأنه طمس معناها الحقيقي بعد أن التبست بالمنطق الأرسطي، بعد دخوله على النحو العربي بعد القرن الرابع الهجري، وأثبت أن لهذه المفاهيم اللغوية العربية خصوصية رياضية، ومنطقية، وحاول تأكيدإمكانية استغلالها في ميدان حوسبة اللغة العربية. ونلاحظ أن الباحث قد عوّل كثيرا على ميدان المصطلح اللغوي، لإثبات أصالة النحو العربي، وذلك بمقارنتها بالمفاهيم الأرسطية. ومن جهة أخرى حاول إثبات مرونة اللغة العربية، وصلاحها للجانب الصوري. وقد رأى الحاج صالح أن المفاهيم العربية القديمة، قد تنوسي معناها الحقيقي. ومن جهة أخرى سجل أخطاء في ترجمة بعض المفاهيم الغربية ومقابلتها بمفاهيم عربية. خاصة وأن الباحث لم يكن ممانعا لنقل العلوم الغربية للعالم العربي، واعتماد الترجمة في ذلك، ومنها اللسانيات. وامتد تصحيح الحاج صالح في المصطلح اللساني العربي، ليشمل تصحيح بعض التسميات العربية، وأحيانا حتى الغربية. ومع ذلك نعتبر جهود الحاج صالح في ميدان المصطلح اللساني، جهودا مبعثرة. وكذلك هو الأمر بالنسبة لجهود الكثير من الباحثين العرب المحدثين. ولتخطي هذه السلبية، فإنه من الواجب تكثيف التأليف في هذا الموضوع، وأن يخصص له مؤلفات خاصة، ومن جهة أخرى تكثيف الملتقيات والأيام الدراسية لمدارسة هذه المصطلحات، بالإضافة إلى ضرورة عرضها على الهيئات المختصة، للحكم على صلاحها وتوحيدها، والتخفيف من الفوضى التي تميزّ المصطلحات اللسانية العربية الحديثة.

خامسا: جهوده في التكوين

أ- التكوين والتعليم

أما الشطر الثاني من حياته فهو الذي قضاه أستاذا وباحثا في جامعة الجزائر بعد الاستقلال. وعين في سنة 1964م رئيسا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات، ثم انتخب عميدا لكلية الآداب وبقي على رأس هذه الكلية إلى غاية 1968م، وتفرغ في ذلك الوقت للدراسة وللبحث في علوم اللسان حيث استطاع بمساعدة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي (وزير التربية آنذاك) أن ينشئ معهدا كبيرا للعلوم اللسانية والصوتية وجهزه بأحدث الأجهزة وأسس أيضا مجلة اللسانيات المشهورة (صدر منها ثمانية أعداد) وأكثر من يحمل درجة الدكتوراه في اللسانيات في الجزائر فهو من تلاميذ الحاج صالح، إلا من درس دراسة كاملة خارج الجزائروفي هذا المعهد واصل الحاج صالح بحوثه بفضل المختبرات المتطورة الموجودة فيه وأخرج تلك النظرية التي لقبت في الخارج بالنظرية الخليلية الحديثة وهي مطروحة في الرسالة التي نال بها دكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السوربون في سنة 1979م وفي عام1980 م أنشأ ماجيستيرعلوم اللسان وهو نسيج وحده لأنه متعدد التخصصات[1]، وقد نوقشت أكثر من 100 رسالة منذ أن أنشئ المعهد (معهد اللسانيات والصوتيات سابقا) بقي صامدا يؤدي مهامه بفضل سهر الحاج صالح على النوعية العلمية التي كان يهتم بتخريجها.

فقد قضى الحاج صالح خمسين عاما من حياته في التدريس، وقد أنشأ مشاريع دراسات عليا، إضافة إلى تأسيس المخابروفرق البحث[2].

---

(1)يقول الحاج صالح: «أنا من الأوائل الذين أنشأوا هذا التخصص المختلط في العالم العربي، هو موجود في أمريكا، وفي فرنسا قد نقل مني». مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري للغة العربية، بتاريخ: 29 /05/ 2012 م، من سا 10 إلى سا 11.

(2)- وثيقة السيرة الذاتية والعلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

ب- تأسيس المعهد والمخابر وفرق البحث

يعود الفضل في تأسيس هذا المعهد لعبد الرحمن الحاج صالح، ويعد من الأوائل الذين كان لهم الشرف في خوض هذه التجربة في الوطن العربي[1] حيث تم إنشاء معهد العلوم اللسانية والصوتية في 1968 م بمرسوم 80 66- الصادر في 11 /04 /1966. وإن فتح هذا المعهد جاء في ظروف سياسية خاصة ترمي إلى رفع التحدي بإحداث تغيير شامل يهدف أساسا إلى تحقيق ترقية اجتماعية واقتصادية وثقافية يكون مرتكزها توجها علميا يحتكم إلى استعمال مناهج وتقنيات العلوم الدقيقة والعلوم التجريبية التي تعد الوسائل الوحيدة التي تضمن للباحث النتائج الملموسة والمعارف الموضوعية. ومن الواضح أن قابلية تطبيق هذه الوسائل في مختلف المجالات شجع علماء اللسان على تجاوز مرحلة الدراسة الفيلولوجية الخالصة، والتصدي لمشاكل اللسان من المنظور الفيزيائي الرياضي على نحو ما تعالج الظواهر الطبيعية الأخرى.[2]

حيث يهدف المعهد إلى الإسهام في توسيع معرفتنا للظواهر اللسانية والاتصال اللغوي واقتراح عدد من الوسائل لحل المشكلات اللغوية كنشر اللغة القومية ومضاعفة مردود تعليمها. وتحقيقا لهذه الأهداف، فإن للمعهد مهام رئيسية منها: أن يثير وينسق أبحاثا علمية في مختلف ميادين الظواهر اللسانية كالدراسات اللسانية، وإحصاء المفردات والتراكيب وغير

(1)- يقول الفاسي الفهري: «معلوم أننا نحتاج إلى مؤسسات خاصة بالبحوث اللسانية، وهي وحدها الكفيلة بتقديم البحث في هذا الميدان، وإن كانت بعض البلدان العربية قد أنشأت معاهدا لسانية، أو شرعت في إنشائها، فإن المغرب للأسف مازال غير متوفر على مؤسسة من هذا النوع، على الرغم من مطالبتنا بذلك منذ سنوات» اللسانيات واللغة العربية(نماذج تركيبية دلالية)، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب، ط3 هامش ص62.

(2)- «الكلمة الافتتاحية»، رشيد بن مالك، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع11، 2006 م، ص7.

ذلك، وأن يضع إلى جانب ذلك برامج للتطبيقات اللغوية، ويراقب إنجازها، وذلك لتتمكن المؤسسات المختلفة في البلدان العربية من استثمارما يتوصل إليه البحث العلمي[1].وقد حقق الحاج صالح هذه النقلة النوعية بفتح أربعة أقسام:

1 - قسم الصوتيات التجريبية: إن البحوث التي يضطلع بها هذا القسم تخص المظهر الفيزيائي للكلام؛ أي دراسة أصوات اللغة من حيث إخراجها واستقبالها.

2 - قسم اللسانيات التربوية: ينهض هذا القسم على الاستعانة بباحثين في علم النفس والتربية يقومون بسلسلة من التجارب للتوصل إلى أنجع الوسائل المنهجية وأكثرها مردودية وفعالية في اكتساب اللغات..

3 - قسم اللسانيات الرياضية: تقع اللسانيات الرياضية بين أحد هذين التوجهين: التحليل الإحصائي والصياغة المنطقية الرياضية للغات البشرية. ويضطلع اللغويون الرياضيون بتحويل نظام اللغات إلى صيغ رياضية كفيلة بتوجيه مجاري اللغة ومخارج الكلام وتأويلها. وقد تكفل هذا القسم منذ 1969م بالتعاون مع قسم جغرافية اللغة

4 - قسم جغرافية اللغة: تهدف الدراسات في هذا القسم إلى تحديد التوزع الجغرافي للنزعات اللهجية الجزائرية في مختلف أنحاء البلاد. وتستثمر النتائج في وضع الأطلس اللغوي الجزائري[2].

وقد أنشئ مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية في شهر ديسمبر 1991م بالمرسوم التنفيذي رقم 91 - 447 خلفا لمعهد العلوم اللسانية والصوتية.[3]

---

(1)- الألسنية العربية، خافاني أصفهاني، عطا محمد أبو جبين، دار جرير للنشر والتوزيع، ط3، 2013 م، ص142.

(2)- «الكلمة الافتتاحية»، رشيد بن مالك، ص7، 8.

(3)- المرجع نفسه، ص9.

حيث قضى عبد الرحمن الحاج صالح قرابة الخمسين عاما من عمره في التدريس وقد أشرف على أكثر من مئتي رسالة ماجيستيرودكتوراه.[1]

يقول الحاج صالح عن أهم أعماله:

- أنشأت الماجيستير

- أسست معهد العلوم اللسانية والصوتية في الجامعة الجزائرية، وأيضا مراكز للبحوث.

- أنشأت ليسانس في الأرطفونيا.

- عربت اللسانيات والمصطلحات.

- أول من أنشأ مختبرا كاملا فيه كل الأجهزة الحديثة الصوتية في الوطن العربي.

- أول من استعمل الحاسوب في تحليل اللغة والإحصاء في الوطن العربي.

- عربت كل المواد في كلية الآداب، التاريخ، الجغرافيا، وعلم الاجتماع، وطنيا.

- المساهمة في أعمال كثيرة على المستوى الدولي، مؤتمرات كثيرة في كندا، فرنسا، انجلترا، السويد، ألمانيا، مصر، السعودية، تونس، المغرب، حوالي 150 مؤتمرا. أي شيء في اللغة إلا وقمت به، حتى المستشفيات، وأمراض الكلام.

- لم أهتم بالسياسة الاجتهاد العلمي شغلني عن السياسة[2] ولم أهتم بالأدب لست شاعرا[3].

ويقول الحاج صالح: لقد عانيت كثيرا في كفاحي ونضالي من أجل نصرة اللغة العربية، ولكنني لم أيأس، فقد كابدت الأمرين، وتعرضت لكثير من

(1)- المعلومات نقلت من وثيقتي السيرة الذاتية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.

(2)- مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري، بالمجمع الجزائري، بتاريخ/ 27/ 09/ 2012 م، من سا 10 إلى سا 11.

(3) - مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 03 /11 /2013 م، من سا 10 و30 د إلى سا 11 و30 د.

الظلم[1]. هناك من لم يعجبه كفاحي، وهدّم كثيرا مما بنيت في خمسين عاما، كم مؤسسة أسستها زوّلوها، أو ذوّبوها، منها معهد اللسانيات. وقد أعيد المعهد بعد ذلك من جديد في صورة المركز (مركز تطوير وترقية اللغة العربية)، ولكن أبعدت أنا !.[2]

الرئيس بوتفليقة أذكره بالخير؛ فقد أنصفني كثيرا، كان رفيقي، طبعا لم نكن رفقاء دراسة -وكثير من اعتقد ذلك- ولكن كنا رفقاء في الجهاد[3].

من كل ما سبق نستطيع القول أن للحاج صالح جهودا علمية وعملية في ميدان التكوين شاهدة على مساهمته المعرفية في اللسانيات العربية الحديثة، ويظهر ذلك من خلال جهوده في التدريس، والتي كانت ذات فاعلية في دفع عجلة تطور الدرس اللساني العربي الحديث، مقارنة مع الظروف التي رافقتها، ويرجع ذلك إلى فترة الستينات أين كانت الشعوب العربية حديثة الاستقلال، ومنها الجزائر، وقد حاول المستعمر طمس هويتها، بما فيها اللغة العربية. فقد ساهم الباحث في التعريف بعلم اللسانيات أولا، وتدريسه باللغة العربية لأول مرة في الوطن العربي ثانيا، كما عرّب عدة تخصصات في الجامعة الجزائرية، في كلية الآداب خاصة، وهو تحد من الباحث، للتقريب بين اللسانيات واللغة العربية، وله الفضل الكبير في شيوع ثقافة هذا العلم في الأوساط العربية، بلغتهم من جهة، ومن جهة أخرى أن تصبح اللغة العربية نفسها مادة علمية، لتطبيق الدراسات اللسانية عليها. وما اقترحه من مشاريع مبتكرة في الدراسات العليا. وهي مشاريع مختلطة بين تخصصات مختلفة، تعتبرها خطوة رائدة لخدمة اللسانيات العربية المنشودة، والتي

(1)- مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 31 /05 /2010 م، من سا 14 و30 د إلى سا 16.

(2)- مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري، بتاريخ: 03 /11 /2013 م، من سا 10 و30 د إلأآسا 11 و30 د.

(3)- مقابلة مع الحاج صالح بالمجمع الجزائري بتاريخ:31 /05 /2010 م، من سا 14 و30 د إلى سا 16.

تضمن للغة العربية الانفتاح على العلوم العصرية والدقيقة، وأيضا تسهل رقمنتها واستغلالها في الميادين التقنية والعلاج الآلي للغة العربية، وسعى إلى تحقيق ذلك من خلال جهوده في مشروع النظرية الخليلية الحديثة، التي تبناها طلبته بعد ذلك، وبصفة خاصة باحثي مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. ومع اعترافنا بجدية الأفكاروجدتها في مشروع النظرية الخليلية الحديثة، فإننا نسجل عليه غياب التطبيق الفعلي لهذه النظرية كما سطّر لها صاحبها،من خلال مشاريعه في ترقية اللغة العربية، وأيضا وجدنا أن أتباعها ومريديها لم يتجاوزوا باحثي المركز.

وربما كانت ملاحظتنا هذه، مشكل عام في اللسانيات العربية الحديثة، ومعوجود جهود لسانية لباحثين مغاربة ومشارقة، والتي قد نعتبرها آفاق وتطلعات لبوادرتشكيل لسانيات عربية حديثة، إلا أن هذه الجهود ما زالت متفرقة، لم يتجاوز بها الباحث اللساني محيطه القريب، وقد قوبل في كثير من الأحيان بالمجاملة، أو التجاهل. وكلاهما سلوك مضربالباحث، وبالبحث اللساني العربي عموما.

*****مصادرو مراجع البحث:**

1 -الألسنية العربية، خاقاني أصفهاني، عطا محمد أبوجبين، دارجريرللنشر والتوزيع، ط.3، 2013م.

2 - بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، 2007 م.

3 - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، 2007 م.

4 -تسجيلات صوتية: لعبد الرحمن الحاج صالح من خلال مقابلات شخصية معه : بالمجمع الجزائري للغة العربية: :

مقابلة : بتاريخ. 31 /05 /2010، من سا 14 و30 د إلى سا 16.

مقابلة : بتاريخ:21 /06 /2011، من سا 9 إلى سا 10 و30د.

مقابلة : بتاريخ:29 /05 /2012، من سا 10 إلى سا 11.
مقابلة :بتاريخ: 03 /11 /2013، من سا 10 و30 د إلى سا 11 و30 د.
5 - الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية،عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، 2013م.
الخطاب العربي المعاصر(دراسة تحليلية نقدية)، محمد عابد الجابري، مركزدراسات الوحدة العربية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية. بيروت، ط.5، 1994 م.
6 - دراسات وتعليقات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط.1، 1974 م.
7 - شرح التسهيل، جمال الدين بن عبد الله بن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، 1990 م.

8 - في الأمن اللغوي، صالح بلعيد، دارهومة، 2010 م.
9 -في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية(آفاق جديدة)، سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت، ط1، 2007 م.
10 -قضايا لسانية، عبد العزيز العماري، مطبعة سندي مكناس، ط.1، 2000م.
11 -كراسات المركز(النظرية الخليلية الحديثة)، عبد الرحمن الحاج صالح، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ع4، 2007 م.
12 -اللسانيات العربية الحديثة(دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية)، مصطفى غلفان، مطبعة فضالة. المغرب، [د.ت].
13 - اللسانيات واللغة العربية(نماذج تركيبية دلالية)، عبد القادر الفاسي الفهري، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب، ط3
14 -مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط.2.، 2006 م .
15 - معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، ط.1، 1993 م.

16 -مقاربات منهاجية، صالح بلعيد، دارهومة، 2004 م. معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، ط.1، 2000 م.
17 - مقالات لغوية، صالح بلعيد، دارهومة، 2009م
18 -المنصف(شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبو عثمان المازني)، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم. وزارة المعارف، ط.1، 1954 م.
19 - منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، دارراجعي للنشر، د.ط، 2010 م.
20 -المنوال النحوي العربي(قراءة لسانية جديدة)، عز الدين مجدوب، دار محمد علي الحامي للنشروالتوزيع، ط.1، 1998م.
21 -الموقعية في النحو العربي(دراسة سياقية)، حسن رفعت حسين، عالم الكتب، ط.1، 2005 م.

-المراجع الأجنبية

22- Bussmann Hadumod, Routledge dictionary of language and linguistics, translated and edited by Gregory Trauth and Kerstin Kazzazi, this edition published in the Taylor francise-library, 2006.

23--Hadj Salah Abderahman, Linguistique arabe et Linguistique générale (Essai de méthodologie et d'épistémologie de l'IlM Al-arabia), publication de l'académie algérienne de la langue arabe, 2013.

24-- Soutet.O, Linguistique, imprimerie des presses universitaires de France, décembre 1997.

-المجلات:

25 - مجلة الآداب واللغات، جامعة الجزائر2، ع12، ديسمبر 2015.
26 - التواصل (في اللغات والثقافة والآداب)، جامعة باجي مختار. عنابة، ع31، 2012 م.

27 -مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر، (العدد11، جوان 2010)، (العدد12، 2010).
28 -مجلة اللسانيات(مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر)، 20 شارع الشهيد خالد مصطفى، الأبيار الجزائر، (المجلد الأول، العدد01، 1971 م)، (العدد11، 2006 م).

-المطبوعات:

29 - السيرة الذاتية والعلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح
30 - مشروع الذخيرة أو الإنترنيت العربي(ماهيتها وفوائدها وأبعادها الثقافية)، منشورات جامعة الدول العربية.
31 -ملخصات مداخلات ملتقى(الأعمال العلمية للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح)، يومي 3 و4 جوان 2008 م. بفندق الجزائر- الجزائر العاصمة.

32-l'utilisation de l'articulograph AG100 dans l'étude acoustique articulatoire de la haraka et du sukun de l'arab standard et dans l'élaboration d'une base de données sonores, Mourad Abbas – GhaniaDroua
الندوة الدولية حول اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات، نصوص أعمال الندوة 28 و 29 ديسمبر 2002 م، نزل الأوراسي، الجزائر.

ـ المقالات الالكترونية

33 - الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات، منصوري ميلود، قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة وهران.
www. ebreview .dz 23 / 04 / 2013

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية - الجزائر -
2020
Achevé d'imprimer sur les pressesENAG, Réghaïa -Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

الإيداع القانوني : 2005-1513
ISSN : 1112-6523 ردمد